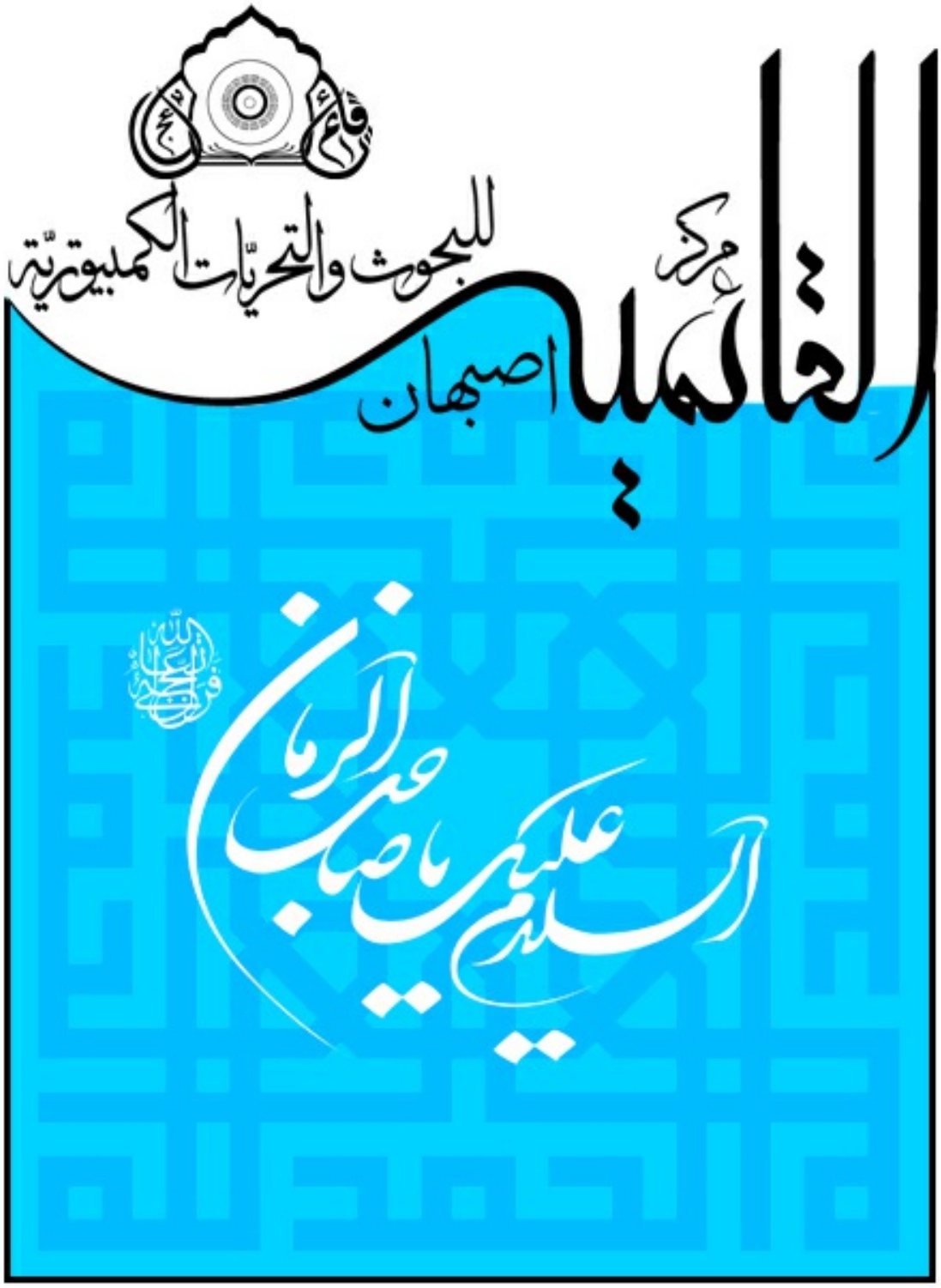

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مأساة الحسين

بين السائل والمجيب

الخطيب
الشيخ عبد الوهاب الكاشي

بسم الله الرحمن الرحیم

ماساة الحسينى عليه السلام بين السائل و المجيب

كاتب:

عبد الوهاب الكاشى

نشرت فى الطباعة:

دار العلوم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

مأساه الحسینی علیه السلام بین السائل والمجیب ----- ۷

اشاره ----- ۷

اشاره ----- ۷

الإهداء.. ----- ۱۲

تقدیم ----- ۱۳

مقدمه الطبعه الأولی ----- ۱۹

مقدمه الطبعه الثانیه ----- ۲۳

من هو الحسین (علیه السلام) نسبا وحسبا ومقاما فی المجتمع؟ ----- ۲۷

ما هو عاشوراء مفهوما وبدایه..؟ ----- ۳۵

لماذا فاق یوم الحسین (علیه السلام) أیام غیره من الشهداء؟؟ ----- ۴۲

هل ألقی الحسین (علیه السلام) بنفسه إلی التهلکه بثورته ضد الأمویین؟ ----- ۴۸

لماذا امتنع الحسین من البیعه لیزید بن معاویه؟ ----- ۵۵

لماذا لم یفعل الحسن (علیه السلام) مثلما فعل الحسین (علیه السلام) ؟ ----- ۶۵

لماذا لم یقم بالسیف أحد من الأئمه (علیهم السلام) بعد الحسین (علیه السلام) ؟ ----- ۷۲

هل یمتاز الحسین (علیه السلام) علی سائر الأئمه (علیهم السلام) فی الصفات التی اشتهر بها؟ ----- ۸۰

لماذا یوصف الحسین (علیه السلام) بسید الشهداء؟ ----- ۹۱

لماذا هاجر الحسین (علیه السلام) من المدینه؟ ----- ۹۷

لماذا حمل الحسین (علیه السلام) عیاله وأطفاله فی هجرته الثوریه؟ ----- ۱۰۵

لماذا توجه الحسین (علیه السلام) بهجرته فی البدایه إلی مکه المکرمه؟ ----- ۱۱۵

کیف وثق الحسین بأهل الکوفه ولماذا خرج إلیهم؟ ----- ۱۱۹

هل الذین قتلوا الحسین (علیه السلام) کانوا شیعه؟ ----- ۱۲۸

هل کان الحسین (علیه السلام) یطلب الحکم بثورته؟ ----- ۱۳۴

هل کان الحسین (علیه السلام) عالما بمصیره المعروف؟ ----- ۱۴۴

لماذا يأذن الحسين (عليه السلام) لأصحابه بالتفرق عنه؟ ---- ١٤٨
هل كانت ثوره الحسين (عليه السلام) ناجحه ومحققه لأهدافها؟ ---- ١٥٤
هل هناک ثمره من ثوره الحسين (عليه السلام) للمسلمين ككل؟ ---- ١٦٦
هل يصح البكاء على الحسين (عليه السلام) وهو الثائر الفاتح؟ ---- ١٧٥
ما الحكمه من زياره قبر الحسين (عليه السلام) ؟ ---- ١٨٥
هل فى مراسيم عاشوراء عمل حرام شرعا؟ ---- ١٩١
متى بدأت أعمال الاحتفال بذكرى عاشوراء؟ ---- ١٩٩
لماذا يلتزم الشيعه بالسجود على التربه الحسينيه من أرض كربلاء؟ ---- ٢٠٣
هل يحدث إحياء ذكرى الحسين (عليه السلام) تفرقه وحزازات طائفيه بين المسلمين كما يزعم البعض؟ ---- ٢٠٩
استنتاج العبر من ثوره الحسين (عليه السلام) ---- ٢١٥
من دفن الحسين (عليه السلام) وأصحابه ومتى وكيف؟ ---- ٢٢٩
شقيقات الحسين (عليه السلام) كم عددهن ومن هن؟ ---- ٢٣٣
الفهرس ---- ٢٤٢
تعريف مركز ---- ٢٤٥

مأساه الحسینی علیه السلام بین السائل والمجیب

اشاره

مأساه الحسینی(علیه السلام) بین السائل والمجیب

سوریا. دمشق. السیده زینب (ع) مکتبه الرسول الأعظم (ص)

الخطیب الشیخ عبد الوهاب الکاشی

التحقیق والطباعه

والنشروالتوزیع

دارالعلوم بیروت-لبنان

ص: ۱

اشاره

مأساه الحسینی علیه السلام بین السائل والمجیب

ص: ۲

الطبعه الأولى جميع حقوق الطبع محفوظه

١٤٢٣ه ٢٠٠٣م

من مراكز التوزيع

سوريا. دمشق. السيده زينب (ع) مكتبه الرسول الأعظم (ص)

هاتف ٦٤٧١١١٩ مقسم ١٠٩

إيران. قم المقدسه : مؤسسه برهيزكار للطباعه والنشر. شارع صفائيه.

فرع ممتاز تلفكس:٧٧٦٩١٨٢-٢٠١-٩٨..

البحرين. المنامه : مكتبه الرسول الأعظم (ص) تلفكس:٩٧٣٠٩١٩٢٧..

النقال: ٩٢١٩٢١٥

اللتحقيق والطباعه

والنشر والتوزيع

المكتبه : حاره حريک - بئر العبد - شارع السيد عباس الموسوى - الهاتف : ١٨٢ ٠١/٥٤٠ - ٠٢/١٣٩١١ - ص.ب : ١٣/٠٨٠

المستودع: حاره حريک - بئر العبد - مقابل البنک اللبنانى الفرنسى - تلفاكس : ١١/٠١١٠٠

E-mail : daraloloum@hotmail.com

www.daraloloum.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ۵

الإهداء..

إلى شبابنا الواعى الذى يقف عند كل ظاهره من ظواهر الحياه والمجتمع وقفه تأمل و تفحص وتفكير فى أسباب تلك الظاهره وآثارها ليتبين خيرها من شرها وحقها من باطلها.

إلى شبابنا الحر المثقف الطالب للعلم والمعرفه بواقع الحوادث وحقائق التاريخ بعيده عن التعصب الأعمى والتحيز العاطفى .

إلى شبابنا المؤمن بالله الحكيم وبالإنسانيه الكريمه وبنظامها الخالد المتمثل فى الإسلام وبقادته الأفذاذ محمد وآله عليهم الصلاه والسلام .

إلى شبابنا المتعطش إلى التعرف على مقاييس الأخلاق الفاضله وموازينها الدقيقه فى هذه الحياه التى ضاعت فيها معالم الحق واختفت فيها آثار العدل .

وأخيره : إلى كافه شبابنا المتحمس للإصلاح الباحث عن طريق السعاده والعداله الاجتماعيه الساعى وراء حياه حره كريمه .

إليكم جميعا أيها الأخوان ...

أهدى كتابى هذا على أمل أن يكون كاشفه عن بعض الجوانب الغامضه والنقاط الحساسه المثيره للتساؤل فى ثوره الحسين (عليه السلام) بإذن الله تعالى وتوفيقه .

المؤلف

تقديم

بقلم: سماحه الشيخ حسين معتوق

لقد أشرقت شمس التوحيد على دنيا الناس ، وبددت بسناها ظلمه الشرك وخرج الناس من الظلمات إلى النور ودخلوا فى دين الله أفواج. ولكن فريقا من الناس أبت له نفسه الملوثه أن ينصاع لدعوه الحق، وبقى من بعد إظهار الإسلام يمارس حياه الجاهليه ، ويستغل الفرص لمطارده الدعوه التى فيها خيره وحياته، فى الخفاء تاره وفى الجلاء أخرى ليخنقوها فى مهدها من قبل أن تستوى قائمه على الأرض.

وهذا الفريق لما رأى أن قواه قد انهارت أمام ضربات الحق الذى انتشر بسرعه البرق أظهر الإسلام كرها وتظاهر به كذبه وهو فى قراره نفسه كافر بالله وبرسوله، وعلى رأس هذا الفريق الحزب الأموى، الذى بقى يواصل تحركه ضد الحق وأهله كلما أمن من ضربات الحق، ولقد مر الزمن سراعا وتوالت الأحداث تباعا، وضرب الدهر ضربته لصالح الحزب الأموى غبموت النبى مباشره تحول فيه الحق عن مقره وأصبح مغلوب على أمره.

فالخلافه التى قربت إلى ساحتها رجلا من (تيم) وأقامت محله رجلا من عدى) هى التى دفعت بالحق إلى أعدائه، وهل ينتظر من أعداء الحق غير

القضاء عليه .

وهنا استصرخ الحق أهله عندما توالت عليه الأحداث فما وجد له ملبيه غير على وبنيه (عليهم السلام) الذين حملهم الحق مسؤوليه حمايته والدفاع عنه، لقدقرر فى هذا الدور أن يعيد للخلافه اعتبارها الذى فقدته من بعد ما انطوى على نفسه فى الدور الأول الذى لم يدع فيه إلى خلاف أو تأييد احتفاظ بحقه من جهه وحفاظا على الدين من جهه أخرى، قام الآن ليلتقى مع عهد الرساله له بالقتال على التأويل بعد القتال على التنزيل؛ وفى هذا العهد أكثر من دليل على أنه دون سواه هو المسؤول الثانى عن هذا الدين .

لقد كتب على الإمام على (عليه السلام) أن يحارب على جبهتين جبهه الكفر من الخارج وجبهه النفاق من الداخل، والإمام لا يملك الاختيار تجاه الحق وهو يستصرخه إلا أن يلبى دعوته ، وقضيه الحق فى حساب على وبنيه (عليهم السلام) جديره بالولاء الذى لا ينقطع وبالحمايه التى ينبغى أن لا تغيب عن معركه الحياه وإن أدت حمايته إلى الشهاده ، فالخلافه عند أهل البيت لا تشكل أكثر من تحمل مسؤوليه يفرضها الحق لا شىء سواه ، ومن طبيعه الظروفوأعنى بها ظروف المعركه التى يخوضونها وهى التى فرضت على الإمام على (عليه السلام) أن يعلن الثوره على الأوضاع الفاسده التى خلفتها من ورائها خلافه عثمان وإذا كانت الظروف هى نفسها لم تسمح له بتحقيق الأهداف الكامله التى حاول جاهده الوصول إليها من وراء خلافته فإنه استطاع من غير شك أن يربط الإسلام من جديد بقيادته الأولى ويفصله عن القيادات المستورده من هنا وهناك، إنه استطاع أن يفصل الإسلام عن قاعده الحكم الجديد ويجعل المسلم يفقد ثقته بالحاكمين وهذا ما كان يحرص عليه أهل البيت عندما حالت الأقدار بينهم وبين الوصول إلى حقهم، ومن هذه الزاويه نستطيع أن نجعل من صلح الإمام الحسن (عليه السلام) وسيله من أهم الوسائل للكشف عن زيف معاويه وانحرافه عن

خط الإسلام.

لقد خفى على كثير من الباحثين وجه المصلحه فى صلح الإمام الحسن (عليه السلام) وقرروا واهمين أنه آثر الصلح استسلام للراحه وطلباً للعافيه وكأن هؤلاءقد نظروا إلى حياه أهل البيت نظره واحده مجرده عن طبيعه الظروف التى عايشوها وعاشوا معها، وفات هؤلاء أن أهل البيت إنما يمثلون فى حمايه الرساله دوره مشتركه يكون للاحق دور الإكمال وللسابق دور التحضير وأن كل واحد منهم هو فى مستوى المسؤوليه بأبى عليه غناه الروحى كما يأبى عليه امتلاء نفسه بالبطوله الذاتيه إلا أن يثور فى وجه الباطل، وحياه كل واحد منهم هى ثوره على الظلم وله أسلوبه الخاص فى نشر الدعوه وإيضاح معالمها والدفاع عنها بما يناسب طبيعه عصره وظرفه ، ولكن إذا وضعنا فى اعتبارنا أن الثوره لا تختص بالكفاح المسلح وإنما يدخل فيها التخطيط والعمل ويكون الكفاح المسلح هو نهايه مراحلها، وارتجال الأمور التى يكون مركزها فى نهايه النضال إذا استبقنا بها الحوادث وجعلناها فى بدايه النضال ، يؤدى فى النتيجه إلى القضاء على أهداف الثوره وتسهيل الطريق لهزيمتها ومحوها من الوجود.

وما موقف الإمام على (عليه السلام) بثورته وموقف الإمام الحسن (عليه السلام) بصلحه إلا تمهيد وتخطيط لموقف الإمام الحسين (عليه السلام) الذى سار فيه من البدايه إلى النهايه فى إطار منهج موحد منتظم حياه أهل البيت فى الدفاع عن الدين بما يملك كل واحد منهم من الوسائل فى ظرفه وعصره وأن ثوره الإمام الحسين (عليه السلام) قد استكملت جميع العناصر التى سارت به نحو الهدف المنشود أو سار هو بها فخطط بنفسه لنفسه حتى النهايه وحتى بلوغ الأهداف إذ كان الوضع فى يومه لا يمكن علاجه بغير الكفاح المسلح وبغير الاستشهاد ، كما كان يتطلب أن يكون القائم بالثوره رجلا قد تعاظم فيه الجانب الروحى وامتلأت نفسه امتلاء يجعلها تندفع تلقائيه للتجاوب مع الحق ومن أجل الحق وحده .

ولا أريد الآن الدخول فی شرح معطیات الثوره الحسینیه وما ولده هذا الفداء من عطاء فلقد تناول أکثر من کاتب ثوره الحسین (علیه السلام) بالدرس والتحلیل وإن من الصعب تحدیدها وحصرها فی مقال أو فی مقدمه کتاب ، وحسبی أن أقول بأنها ثوره من أعظم شخصیه لأعظم غایه لها قدره الإشعاع علی الوجود بصوره جدیده ملهمه، تنعکس فیها الصوره النهائیه لما یمکن أن تسمو به الإنسانیه فی حاضرها ومستقبلها البعید، وإن شئت فقل بأنها قد احتضنت فی حرکتها کل أهداف الإسلام؛ وهل أهداف الإسلام شیء آخر وراء ما أعلنه الحسین (علیه السلام) عن أهداف ثورته بقوله:

(إنی لم أخرج أشره ولا بطره وإنما خرجت لطلب الإصلاح فی أمه جدی محمد أرید أن آمر بالمعروف وأنهی عن المنکر فمن قبلنی بقبول الحق فالله أولی بالحق(۱)).

لقد حدد أهداف ثورته بهذه الکلمات وأنه لا غایه له من ورائها إلا الحق، وأن قبوله یجب أن یکون علی حساب الحق لا علی حساب شیء آخر ومعنی ذلک أن من یرد علیه فإنما یرد علی الحق وفی ذلک انعکاس لثوره الإسلام وإن فی إطارها المنهجی الذی ارتفع عن مستوی الأفراد والأشخاص، وبذلک لم تعد ثوره الحسین (علیه السلام) تمثل حرکه شخصیه أو مصیبه فردیه لیقال أنه مضی زمانها وانتهی وقتها وإنما هی رمز للاستشهاد فی سبیل الحق وهی بذلک سوف تعیش فی ضمیر الإنسان ووجدانه ما بقی هذا الإنسان وما بقی فی الکون حق و باطل وإن مسؤولیه الإنسان عن الحق تفرض علیه إحیاءها فی الجفون والأفکار انطلاقه مع الحق وتجاوبا مع الصدق وتعاملا مع الوفاء لدین الله، وإنها لمسیره کبری فی حیاه هذا الکائن الحی أن یتمرس الیوم من جدید بروح

۱- بحار الأنوار: ج۴، ص۳۲۶ ح ۲.

النضال من أجل الحق وينطلق من هذه المسيره التى ألغت من اعتبارها كل شىء إلا شىء واحد اسمه الحق.

وإن مستقبل الأجيال الصاعده حيث تنظم مسيرتها من هذه القاعده مع قافله الشهداء من أهل البيت لا بد أن تقوم حياتها على حراسه المبادئ وصيانه القيم وتنظيم كافه الوسائل لحمايه المكاسب والمغانم التى يثرى معها العقل وينمو بها الإدراك كما أنها سوف تكون السبيل الوحيد لتطوير المجتمع وتحويل نظره إلى المستقبل الأفضل الذى يدفع أهله لتحمل المسؤوليه والصمود فى مواجهه الأحداث التى تحاك ليل نهار ضد الدين وأهله .

وكان لزاما على أن لا أخوض كما وعدت من قبل فى شرح معطيات ثوره الإمام المجيده وبيان الدوافع والأهداف لها بعد أن كانت كلمتى هذه مقدمه الكتاب يكاد أن يكون الفريد من نوعه فى شرح الأهداف التى تحددت بها نهضه الإمام الحسين (عليه السلام) ولا سيما أن مؤلف الكتاب فضيله الخطيب الشيخ عبد الوهاب الكاشى ممن قد برز فى هذا المضمار وحلق فى سماء الأفكار حتى صار ملء السمع والبصر فى أكثر الأقطار، وإن هذه الدراسه التى يجدها القارئ بين يديه لم تكن إلا صوره مصغره عن مكانه واضعها العلميه فالظروف القاسره كما تحكمت فى طبعها كذلك تحكمت فى وضعها .

لذلك و تجاوبا مع رغبه مقدرى فضله قرر أن يجعل من هذه الدراسه مقدمه لدراسه جديده وشامله بكل ما فى التجديد والشمول من معنى .

جزاه الله عن أهل بيت نبيه خير جزاء العالمين ..

مقدمه الطبعه الأولى

«وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (۱۷۹)»بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله ودلى على آلائه وعظمته والصلاه والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين المعصومين واللعنه الدائمه على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

وبعد فإن تاريخ الأجيال دروس وعبر ولذا كثر فى القرآن الكريم ذكر الحوادث السابقه وأحوال الأمم السالفه وسيره الأنبياء والملوك وغيرهم بما فيها من خير وشر وظلم وعدل لأجل العظه والاعتبار. ولنفس الغرض أيضا حثنا الأنبياء والمصلحون وأمرونا أن ننظر فى سير الماضين وآثارهم وندرس التاريخ . قال الإمام على (عليه السلام) فى وصيه إلى ولده الحسن (عليه السلام) .. «واعرض عليه أخبار الماضين وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين وسر فى ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا...!)(۱)

ووجه الاتعاظ والاستفاده من التاريخ واضح، وهو أن عمر الفرد الإنسانى فيهذه الحياه محدود وقصير نسبيه، حيث يتراوح معدله بين الستين والسبعين عامه ومعلوم أن نصف هذا المعدل تقريبا يذهب فى حالات اللاوعى والغفله القهريه الطبيعيه كفتره الطفوله والنوم والشيخوخه مثلا. والثلاثين سنه

۱- نهج البلاغه: ص ۳۹۱ من وصيه له (عليه السلام) للحسن بن على ××× ۲۱.

الباقيه غير كافيه للقيام بتجربه الحياه واختبارها أولا- بكل فروعها ونواحيها ثم تطبيق تلك التجارب والاختبارات ثانيه. أى أن يدرس الحياه أولا دراسه نظريه وعمليه ثم يسير على ضوء ما استنتجه من تلك الدراسات .

فإذا يجب على الإنسان إذا أراد أن يستفيد من حياته أن يأخذ بنتائج تجارب الآخرين من خير وشر و حق وباطل يطبقها على حياته لأن مصالح الإنسان واحده لا تختلف فى جوهرها وأصولها. ومن ثم جاء فى الأثر: السعيد من اتعظ بغيره. (١)وقال الإمام على (عليه السلام) : «من نظر فى عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه ..»(٢)وهؤلاء الناس الذين لا يعتبرون بما يرون ويسمعون من تجارب الآخرين وصفهم الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله :

«وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)»(٣)

فالخلاصه هى أن دراسه التاريخ والتعرف على الحوادث السالفه أمر ضرورى للوقوف على أسبابها ونتائجها والتمييز بين الحق منها والباطل والخير والشر وليعرف أيضا تسلسل الحياه وارتباط الحاضر منها بالماضى وتأثير بعضها ببعض. يقول الإمام على (عليه السلام) فى بعض وصاياه : «وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقى منها فإن بعضها يشبه بعضا وآخرها لاحق بأولها وكلها حائل مفارق»(۴)

۱- نهج البلاغه: ص ۱۱۶ عظه الناس وفيه: السعيد من وعظ بغيره .

۲- نهج البلاغه: ص ۵۲۶ من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ۳۴۹ .

۳- سوره الأعراف: ۱۷۹.

۴- نهج البلاغه: ص۴۵۹ من كتاب له (عليهم السلام) ۶۹.

وقال (علیه السلام) فی مقام آخر: «عباد الله إن الدهر یجری بالباقین کجریه بالماضین .. آخر فعاله کأوله).(۱)

وخاصه الحوادث المهمه التی غیرت وجه التاریخ وأثرت فی مجری الحیاه

لدی أمه أو مجتمع؛ فإنها یمکن أن تتکرر وتعاد فی کل مکان وزمان فإن کانت خیرا عملنا علی وقوعها والمساهمه فیها وإن کانت شرا عملنا علی منعها وعدم تکرارها أو تجنب المساهمه فیها علی الأقل. ولا شک أن ثوره الحسین (علیه السلام) من أغنی تلک الحوادث بالعبر والعظات الجدیره بالأخذ والالتفات فالمیها من تطورات وملابسات ولما تضمنته من شخصیات وأفراد یجب أن نعرفهم حق المعرفه ونمیز مواقفهم تجاه تلک الأحداث تمیزه دقیقه لکی نکون علی بصیره من أمرنا تجاه تلک التناقضات التی ظهرت فی مواقفهم وأعمالهم فنعرف الحق من المبطل والظالم من المظلوم لأن الحق والباطل لا یقاسان بالأشخاص بل بالعکس الأشخاص یقاسون بالحق والباطل؛ فمن عرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فنبذه فهو الإنسان الکامل الذی یجب أن یقتدی به ویحتذی حذوه ومن کان علی العکس من ذلک فهو المنافق الدجال الذی یجب أن یتبرأ منه ویحتقر وفاء لأمانه الحق فی أعناقنا أیا کان ذلک الشخص من حیث النسب والمکانه الاجتماعیه .. أجل إن ثورهالحسین (علیه السلام) بما سبقتها من مقدمات وتلتها من ثمرات وتضمنتها من قضایا وأحداث قد غیرت اتجاه المسلمین الخاطئ وأیقظتهم من سبات الغفله ونفضت عنهم غبار التخدیر والتنویم العقائدی والعملی وأدخلتهم فی دور جدید و مرحله جدیده ووضعت لهم النقاط علی الحروف والعلامات الواضحه علی سنن الطریق القویم وهدتهم إلی الصراط المستقیم وکل ما فی عالمنا الیوم من إسلام

۱- نهج البلاغه: ص ۲۲۱ من خطبه له (علیه السلام) ۱۵۷.

ومسلمين بالمعنى الصحيح فإنهما مدينان فى البقاء لفضل ثوره الحسين (عليه السلام) وإن بقائهما أهم ثمرات تلك الثوره المباركه. وهذا ما سنعرفه تفصيلا من فصول هذا الكتاب بإذن الله تعالى. والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم ..

عبد الوهاب الكاشى

بيروت فى ١ رجب ١٣٩٣

مقدمه الطبعه الثانيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصى نعماءه العادون ولايؤدى حقه المجتهدون.

وصلى الله على أشرف أنبيائه وخاتم رسله سيدنا محمد المصطفى. وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين .

وبعد، فإن من عظيم نعم الله سبحانه على أن وفقنى لتأليف هذا الكتاب منذ بضعه أعوام فجاء والحمد لله فريده فى موضوعه جديده بمضمونه. فنال رضا الكثيرين من قرائه والقبول الحسن فى أوساط المؤمنين ، الأمر الذى اقتضى إعاده طبعه تلبيه لطلب الراغبين، « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ » (۱)

ولعمرى إنها لظاهره طيبه تسر المؤمنين أن يقبل شبابنا المعاصر على أمثال هذه الكتب الإسلاميه رغم كل المحاولات التى بذلت وتبذل لصرفهم عن كل ما يمت إلى الدين والأخلاق بصله.

أجل؛ إنها لظاهره طيبه تبشر بالخير وتبعث على التفاؤل بأن الحق يعلو ولا

۱- سوره الأعراف: ۴۳.

يعلى عليه (١)، ولكنها وفى نفس الوقت تدل دلاله واضحه على عظم المسؤوليه التى نتحملها نحن رجال الدين عامه ورجال المنبر الحسينى خاصه؛ تلكالمسؤوليه التى تتجسد فى اغتنام هذه الفرصه واستغلال وعى الشباب الروحى للقيام بكل عمل مستطاع لدعم هذه الظواهر الخيره وتنميه هذا الوعى الروحى وتغذيه التوجه والإحساس الإسلامى لدى النشء الجديد .

أقول يجب أن نغتنم هذه الظواهر الخيره التى هى دليل عافيه الفكر عند الشباب ويقظه الضمير لديهم فنمدهم بما نستطيع من طاقات فكريه وعمليه ، وإنى لعلى يقين أن ثوره الحسين (عليه السلام) بما فيها من دروس وعظات وعبر لهى المدخل الأمثل والوسيله الفضلى للقيام بمهام التوجيه والتوعيه والتنظيم السليم إذ أن تلك الثوره المباركه مقدسه لدى كافه العقلاء فى العالم ومعبره عن آمال كل الشعوب وتمثل الإسلام الصحيح وتدل على الطريق الواضح نحو تحقيق الكرامه الإنسانيه والحياه الأفضل.

ومن ثم يوصف الحسين (عليه السلام) باب النجاه، أى أنه (عليه السلام) أرسى بثورته الخالده أسس بناء الحريه ووضع العلامه الفارقه على طريق النجاه من الذل والظلم والفساد، وقال بلسان القول والفعل : أيتها الإنسانيه المعذبه لا نجاه لك مما تعانين إلا بالبذل والفداء والتضحيه والإنفاق والجهاد بالمال والنفس مقرونه بالإيمان بالله وحده وباليوم الآخر.

إن الحسين (عليه السلام) جسد بثورته مضمون الآيه الكريمه من قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَهٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

١- إشاره إلى قول أبى عبد الله (عليه السلام) : السلام يعلو ولا يعلى عليه، وسائل الشيعه: ج٢٦ص ١٢٥ ح٣٢٦٤ .

وَتُجَاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِکُمْ وَأَنْفُسِکُمْ ذَلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »(۱)

ومثل (علیه السلام) بثورته المقدسه مصداق الحدیث الشریف عن جده رسول الله (صلی الله علیخ و آله) : «سید الشهداء عمی حمزه بن عبد المطلب ورجل قام فی وجه سلطان جائر فقتل).(۲)

والخلاصه هی: أننا یجب أن نستفید من الحسین (علیه السلام) أکثر مما استفدنا ولو کان الحسین (علیه السلام) عند غیرنا أی لو کان غیرنا نحن الشیعه یؤمن إیماننا بالحسین ویوالیه ولاءنا نحن الشیعه لکانت استفادتهم من ثورته المقدسه أکثر بکثیر مما نستفید ولجعلوا من الحسین شعاره لجمیع مظاهر الحیاه الاجتماعیه والسیاسیه والعسکریه یستوحون من ذکری حیاته وثورته دروسا لحیاتهم الیومیه فی جمیع المجالات.

إن الحسین (علیه السلام) مدرسه الحیاه الکریمه ورمز المسلم القرآنی وقدوه الأخلاق الإنسانیه وقیمها ومقیاس الحق..

فیا أیها العاملون المخلصون..

هذه أبواب الحسین (علیه السلام) ، فادخلوها وتلک سفینه الحسین (علیه السلام) فارکبوا فیها بسلام وإلی السلام.. والسلام.

المؤلف

۱۹۷۷/۸/۵

م ۱۹ شعبان ۱۳۹۷ه

۱- سوره الصف: ۱۰ و ۱۱.

۲- راجع أحکام القرآن: ج۲ ص۹.

من هو الحسين (عليه السلام) نسبا وحسبا ومقاما فى المجتمع؟

نسبه (عليه السلام) :

من المؤسف المؤلم حقا أن يوجد بين شباب المسلمين اليوم من يعرفون الكثير عن أقطاب الشرق والغرب والكثير من أحوال الشخصيات الأجنبيه وسيرتهم وحياتهم .. ولكن لا يعرفون إلا القليل وقد لا يعرفون شيئا أصلا عن أحوال نبيهم ورجال دينهم وقاده الإسلام. وهذا أوضح دليل على أن هؤلاء الشباب قد ابتعدوا عن الإسلام كثيره من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

فنقول لهؤلاء وما الذى تعرفونه عن الحسين (عليه السلام) صاحب تلك النهضه العظيمه والثوره المدهشه التى ستقرؤون بعض فصولها وتعرفون بعض تفاصيلها فى مواضيع هذا الكتاب ؟ إذ من المعلوم أن الأعمال لا تقدر إلا بمقدار أصحابها ولا تكتسب الأهميه والعظمه إلا من عظمه أهلها.

فالحسين (عليه السلام) هو أشرف إنسان فى الدنيا من حيث النسب، فهو الإمام ابنالإمام أخو الإمام أبو الأئمه صلوات الله عليهم أجمعين .

أبوه الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) وأخوه الإمام الحسن الزكى سيد شباب أهل الجنه (عليه السلام) وابنه الإمام على السجاد زين العابدين (عليه السلام) ومن ذريته ثمانيه أئمه معصومين .

أما أمه فهى فاطمه الزهراء (عليها السلام) بنت محمد المصطفى (صلى الله عليخ و آله) سيده نساء

العالمين ، وجده لأبيه هو شيخ البطحاء وكافل رسول الله وناصر الإسلام أبو طالب (عليه السلام) . وأما جده لأمه فهو خاتم الأنبياء والمرسلين وحبيب إله العالمين محمد بن عبد الله (عليه السلام) .

هذا نسب الحسين (عليه السلام) فأى إنسان فى العالم جمع نسبه شريفه كهذا النسب الشريف؟ أضف إلى هذا النسب الشريف مقامه الراقى عند الله تعالى ومنزلته العليا فى الإسلام فهو (عليه السلام) :

أولا: ثالث أئمه أهل البيت الاثنى عشر الذين عناهم الله تعالى بقوله : «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاهِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاهِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ »(١) ، وثالث أولى الأمر الذين أمرنا الله تعالى بطاعتهم فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ »(٢)وفى إمامته وإمامه أخيه الحسن نص نبوى متواتر وهو قوله (عليه السلام) : الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا..(٣)

ثانيا: فهو (عليه السلام) « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » (۴) ، أى أنه (عليه السلام) خامس المعصومين الأربعه عشر (عليه السلام)، محمد وعلى وفاطمه والحسن والحسين والأئمه التسعه من ذريه الحسين صلوات الله عليهم أجمعين .

ثالثا: هو (عليه السلام) أحد العتره الذين قرنهم رسول الله بكتاب الله العزيز وأحد الثقلين اللذين خلفهما فى هذه الأمه حيث قال: «إنى مخلف فيكم الثقلين

١- سوره الأنبياء: ٧٣.

٢- سوره النساء: ٥٩.

٣- غوالى اللآلى: ج، ص٩٣ ح ١٣٠.

۴- سوره الأحزاب: ٣٣.

كتاب الله و عترتى أهل بيتى ..(۱)

رابعا : إنه (عليه السلام) أحد الأربعه الذين باهل بهم النبى (صلى الله عليخ و آله) : نصارى نجران وهو أحد المعنيين بقوله تعالى :« أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ » .(۲)

وهكذا إلى غير ذلك مما لا يسع المقام إحصائه من فضائله ومناقبه (عليه السلام).

ولادته (عليه السلام) :

لقد ولد الحسين (عليه السلام) فى الثالث من شهر شعبان المباركه السنه الرابعهللهجره فى المدينه المنوره وسماه رسول الله (صلى الله عليخ و آله) حسينا كما سمى أخاه من قبل حسنه ولم يسم بهذين الاسمين أحد من العرب قبلهما، وكان رسول الله (صلى الله عليخ و آله) يحبهما حبا شديدا ويقول: «هما ريحانتاى من الدنيا»(۳) «اللهم إنى أحبهما وأحب من يحبهما،(۴) وقد قام بنفسه بتربيتهما حتى تركهما نموذجين مثاليين ولين كاملين للمسلم القرآنى الذى يريده الإسلام فكانا بذلك القدوه العليا الكل إنسان فى الدنيا وفى كل صفات الإنسانيه وشرائطها. ومن ثم منحهما النبى (صلى الله عليخ و آله) مقام السياده على كافه شباب أهل الجنه كما هو نص الحديث الشريف المتواتر: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنه (۵) ومعلوم أن السياده فى عرف الإسلام تعنى الأفضليه والأكمليه والتفوق فى العلم والعمل الصالح، ولا شك أن المراد بشباب الجنه هو كل أهل الجنه قاطبه ما عدا جدهما المصطفى وأبيها على المرتضى اللذين خرجا من تحت هذا العموم بأدله خاصه

۱- وسائل الشيعه: ج ۲۷ ص۱۸۸ ح ۳۳۵۶۵ .

۲- سوره آل عمران: ۶۱ .

۳- بحار الأنوار: ج ۳۷ ص ۷۳.

۴- بحار الأنوار : ج ۲۷ ص ۷۴

۵- من لا يحضره الفقيه: ج۴ ص ۱۷۹ ح۵۴۰۴.

أخرى .

فهما سيدا أهل الجنه جميعه لأن كل من فى الجنه شباب ليس فيهم شيخ ولا كهل ولا عجوز حسب ما ورد فى النصوص .

وبناء على ما سبق يكون الحسين (عليه السلام) قد عاش مع جده رسول الله (صلى الله عليخ و آله) ست سنوات وعاش بعده إحدى وخمسين سنه فكان عمره الشريف يوم شهادته نحوا من سبع وخمسين سنه وقيل ثمانيه وخمسين سنه بناء على أن ولادته كانت سنه ثلاث من الهجره . قضاها فى عباده الله وطاعه رسوله وخدمه الناس وختمها بأعظم تضحيه عرفها التاريخ حتى الآن، من حيث القدسيه والشرف.

كان (عليه السلام) أكثر الناس علم وأفضلهم عملا وأسخاهم كفأ وأحسنهم خلقا وأوسعهم حلمه وأكرمهم نفسه وأرقهم قلبا وأشدهم بأسا وشجاعه ، هذه كلها حقائق ثابته بالإجماع ومتواتره بين المؤرخين وأهل السير يعترف له بها حتى الأعداء .

قالوا تلقى معاويه بن أبى سفيان كتابا من الحسين (عليه السلام) يعدد له فيه جرائمه ومنكراته و رذائل صفاته ومفاسد أخلاقه وكان يزيد حاضره عند أبيه واطلع على كتاب الحسين وما يصم فيه أباه فغضب وقال : يا أبت لا تسكت عن الحسين وأجبه بمثل ما كتب إليك لتصغر إليه نفسه . فقال له معاويه : ولكن يا بنى لا أجد فى الحسين عيبا أذكره به ولا نقص أعيره به .. ويكفى أن قاتل الحسين وحامل رأسه وهو خولى بن يزيد الأصبحى (لعنه الله) أو الشمر بن ذى الجوشن (عليه اللعنه) دخل بالرأس الشريف على ابن زياد مفتخر بقوله يا أمير :

أوقركابى فضه أو ذهبا

إنى قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أم وأبا

وخيرهم أن يذكرون حسبا

فقال له ابن زياد (لعنه الله) إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته، والله لا نلت

منى شيئا .

يقول الأستاذ عباس العقاد فى كتابه (أبو الشهداء) ما نصه :

وقد عاش الحسين سبعه وخمسين سنه وله من الأعداء من يصدقون ويكذبون فلم يعبه أحد منهم بمعابه ولم يملك أحد منهم أن ينكر ما ذاع من فضله ...

ويقول أيضا فى مقام آخر:

فكان الحسين (عليه السلام) ملء العين والقلب فى خلق وخلق وفى أدب وسيره وكانت فيه مشابه من جده وأبيه ...

أولاده (عليه السلام):

فالذكور منهم أربعه وهم على الأكبر (عليه السلام) الشهيد، وعلى السجاد الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، وعلى الأصغر وهو طفل رضيع، وعبد الله وهو طفل رضيع أيضا وهؤلاء الأربعه لأمهات شتى لا لأم واحده . فعلى الأكبر (عليه السلام) أمه ليلى بنت مره بن مسعود الثقفى. وعلى السجاد الإمام أمه شاه زنان بنت الملك يزدجرد بن أردشير بن كسرى ملك الفرس وعبد الله أمه الرباب بنت امرء القيس الكلبى . وقد قتلوا جم يوم عاشوراء ما عدا الإمام زين العابدين الذى نجا بسبب مرضه ودفاع عمته زينب كما سنعرفه إن شاء الله .

وأما الإناث منهن فأربعه أيضا وهن : سكينه، وفاطمه الكبرى ، وفاطمه الصغرى ، ورقيه . وكلهن مع الحسين (عليه السلام) فى كربلاء ما عدا فاطمه الكبرى فإن الحسين (عليه السلام) تركها فى المدينه لمرضها .

أخوته (عليه السلام) :

إن إخوه الحسين كثيرون غير أن الذين كانوا معه فى كربلاء هم سته فقط وهم العباس بن على (عليه السلام) ، وأشقاؤه الثلاثه جعفر وعبد الله وعثمان أمهم فاطمه بنت حزام بن خالد الكلابيه المكناه بأم البنين (عليها السلام) ثم محمد بن على قيل اسمه عبد الله (عليه السلام) وكان يكنى بأبى بكر، وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد التميمى . ثم عمر بن على (عليه السلام) وأمه غير مشخصه فى التاريخ. وقيل أنه كان أيضا مع الحسين أخ له يسمى محمد الأصغر وأمه أم ولد.

فهؤلاء سته أو سبعه من أخوه الحسين (عليه السلام) استشهدوا بين يديه يوم عاشوراء وكان أفضلهم وأجلهم أبو الفضل العباس (عليه السلام) وهو أكبر الهاشميين سنه يوم كربلاء ما عدا الحسين (عليه السلام) حيث كان عمره أربعه وثلاثين سنه. لذا اختاره الحسين (عليه السلام) حاملا لرايته العظمى. وعبر عنه بكبش الكتيبه ، وكان (عليه السلام) وسيما جسيمه طويل القامه وجهه كفلقه قمر ومن هنا كان يلقب بقمر الهاشميين وهو آخر من قتل قبل الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء، وكان لقتله صدمه عنيفه فى نفس الحسين (عليه السلام) عبر عنها بقوله حين وقف على مصرعه :

(الآن انكسر ظهرى وقلت حيلتى وشمت بى عدوى) (1) وبان الانكسار فى وجهه وبكى عليه .

وقد نوه بفضله (عليه السلام) عدد من الأئمه المعصومين صلوات الله عليهم ومنهم أبوه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حيث قال فيه: «إن ابنى العباس زق العلم زقه»،ثم الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الذى قال عنه : «رحم الله عمى العباس لقد جاهد يوم كربلاء وأبلى بلاء حسنا حتى قطعت يداه و مضى شهيده وقد أبدله الله عن

١- راجع شرح الأخبار: ج٣ ص١٩٢.

یدیه بجناحین یطیر بهما فی الجنه مع الملائکه کما أعطی جعفر بن أبی طالب بموته».(۱) ثم الإمام جعفر بن محمد الصادق (علیه السلام) القائل فی جمله تصریح له :«ألا وإن لعمی العباس عند الله لدرجه یغبطه علیها جمیع الشهداء یوم القیامه (۲) وما دفنه الإمام زین العابدین (علیه السلام) وحده بمکان مصرعه إلا تنویها بفضله و علو مقامه بین بنی هاشم کما أن دفنه لحبیب بن مظاهر الأسدی رحمه الله فی قبر منفرد کان لهذا الغرض أی التنویه بفضل وعلو مقام حبیب بین باقی الأصحاب (رضوان الله علیهم). وبصوره عامه فشهداء کربلاء جمیعا هم أفضل الشهداء فی الدنیا من أولها إلی آخرها بعد الأنبیاء والأئمه (علیهم السلام).

هم أفضل الشهداء والقتلی الأولی

مدحوا بوحی فی الکتاب مبین

۱- راجع الأنوار العلویه: ص۴۴۲.

۲- راجع الأمالی للصدوق: ص ۴۶۲ ، ح ۱۰.

ما هو عاشوراء مفهوما وبدايه..؟

قوله عز من قائل :

«إِنَّ عِدَّهَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِی کِتَابِ اللَّهِ یَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَهٌ حُرُمٌ ذَلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِیهِنَّ أَنْفُسَکُمْ »(۱)

إن عاشوراء فی التاریخ یعنی الیوم العاشر من شهر محرم الحرام، وشهر المحرم کما هو معلوم أحد الأشهر الاثنی عشر فی السنه القمریه التی هی حسب منازل القمر فی مداره السنوی حول الشمس وهذه الأشهر القمریه لا تقل عن التسعه وعشرین ولا تزید علی الثلاثین یوما وعلیه فالسنه القمریه تنقص عن السنه الشمسیه بنحو من ثلاثه عشر یوما. ویبدأ الشهر القمریبظهور الهلال علی وجه الأفق الغربی عند غروب الشمس وینتهی بإکمال العده أو برؤیه الهلال ثانیه. فهو أسهل ضبطه ومعرفه من الشهر الشمسی بالنسبه إلی عامه الناس ولهذا السبب اعتبرها الإسلام رسمیا فی أحکامه وشعائره من صیام وإفطار وحج وغیرها. وأما أسماء هذه الشهور فهی عربیه قدیمه قبل الإسلام فالعرب من أقدم العصور اعتمدوا علی هذه الشهور القمریه وسموها بهذه الأسماء المعروفه المناسبات خاصه وقتیه ثم زالت تلک المناسبات وبقیت الأسماء.

۱- سوره التوبه: ۳۶.

يحس الوقت اعتبروا أربعه منها حرمه أى محرمه تبعا لما فى الشرائع السماويه السابقه، ومعنى اعتبار العرب لأربعه من الشهور المذكوره حرمه أنهم كانوا يتركون فيها الحرب والقتال والغزو والغارات وسفك الدماء لينصرفوا ويتفرغوا فيها إلى شؤونهم التجاريه والزراعيه والأدبيه وغيرها.. فيقيمون فيها الأسواق ويعقدون الأنديه والاجتماعات ويتفاخرون بإنتاجهم الصناعى والأدبى، والأربعه الحرم هى عباره عن الثلاثه السرد أى ذو القعده وذو الحجه ومحرم، والواحد الفرد أى شهر رجب . وكما قدمنا كان احترام العرب لهذه الشهور الأربعه تقليده دينيه لذا لما ضعف الدافع والشعور الدينى عند العرب الجاهليين ضعف تبعا لذلك هذا التقليد وصاروا يبدلون بعض هذه الأشهر الحرم بغيرها إذا دعت حاجتهم إلى ذلك كأن يحاربوا أو يغزوا فى رجب مثلا ويحترمون بدلا عنه شعبان أو غيره وهكذا وهذا ما يسمونه بالنسىء الذى حرمه الإسلام وندد به فى قوله تعالى : «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ».(1)

فالغرض أن المحرم هو أحد الشهور الأربعه الحرم أى المحترمه منذ القدم، وأما عاشوراء فهو يوم العاشر منه كانوا يعتبرونه أقدس أيام السنه وأكثرها خير وبركه يطعمون فيه الفقراء ويتفقدون فيه المساكين والأرامل واليتامى . ويعملون فيه الخير، هذا مفهوم المحرم ومفهوم عاشوراء من قديم الزمان إلى أن جاء الأمويون إلى الحكم فى العالم الإسلامى فهتكوا حرمه الأشهر الحرم فى جمله ما هتكوا من الحرمات وارتكبوا فى الشهر المحرم وفى يوم عاشوراء خاصه أبشع جريمه عرفها التاريخ فسفكوا فيه أقدس الدماء وقتلوا فيه أفضل وأشرف الذوات الإنسانيه وذبحوا فيه الأطفال وقتلوا النساء ومثلوا بالشهداء وأحرقوا الخيام على آل رسول الله ورضوا جثث أهل البيت بحوافر الخيول. فتبدل

١- سوره التوبه: ٣٧.

بفعلهم هذا معنى المحرم و عاشوراء وتحول مفهومهما عند المسلمين إلى أيام حداد وأسى وصار المحرم موسما خاصه للاحتفال بذكرى أولئك الأبطال الذين أقدموا على تحمل المآسى العظام دفاعا عن الحق والعدل وحقوق الإنسان؛ ففى الاحتفال بذكرى شهداء كربلاء وأبطال العاشر من المحرم سنه (٦١ه)، أحسن الأثر فى نفوس النشء الجديد والجيل الصاعد والشباب الواعى لأن ذكراهم ومواقفهم تلقن الشباب دروس العزه والكرامه والشعور بالشرف الإنسانى وتقوى فى نفسه روح التضحيه والفداء فى سبيل الحق والعدل. فنشر أنباء أولئك الأبطال هو فى رأى الخبراء أكثر خدمه اجتماعيه وتربويه تقدم للمجتمع. ألا ترى العاده الجاريه والتقليد السائد عند كافه الشعوب والأمم حيث يحتفلون بين حين وآخر بذكرى ثوراتهم الوطنيه وأبطالهم الثائرين وقادتهم المحررين ويقيمون لهم التماثيل ويرفعون صورهم فى الشوارع والساحات العامه تخليدا لذكراهم. لماذا؟ !!.

نعم يعللون ذلك بأنه أداء لحقهم وتقدير لصنيعهم أولا ثم تشجيع و تشويق للشباب والنشء الجديد نحو الاقتداء بهم والسير على مبدئهم وفى طريقهم والقيام بمثل أعمالهم، ويقول الخبراء لولا هذه الذكريات لماتت روح التضحيه فى نفوس الناس وسادت روح الأنانيه والفرديه . فإذا كان كذلك أليس يجدر بثوره الحسين وموقفه يوم عاشوراء أن يشاد بذكراها فى كل زمان ومكان.أى ثوره وطنيه فى العالم بلغت فى عمقها وشمولها ونبل أهدافها وبركه نتائجها مبلغ ثوره الحسين (عليه السلام) إنها لم تخدم الشيعه فحسب ولا المسلمين فقط بل خدمت الإنسانيه والحق العالمى.

فالمحرم إذا فى عرف العقلاء موسم سنوى لدوره دراسيه تلقى فيها دروس من سيره الحسين (عليه السلام) وأصحابه حول موضوع الإنسانيه المثاليه ولوازمها ومتطلباتها . ويوم عاشوراء منه هو فى الواقع يوم تظاهره عالميه تأييدا للحق

واستنكارا للباطل ذلك الحق المطلق الذى تجسد فى سيره الإمام الحسين (عليه السلام) وتضحيته . وذلك الباطل المطلق الذى تمثل فى جريمه الأمويين وسلوكهم. فهذه أبواب المدرسه الحسينيه مفتوحه فادخلوها بسلام آمنين، إن مدرسه الحسين يجب أن تفتح فى كل مكان وذكراه يجب أن تقام فى كل زمان تماما كما صورهما هذا الأديب القائل :

كأن كل مكان كربلاء لدى

عينى وكل زمان يوم عاشورا

ولقد حاول أعداء الصلاح والإصلاح ولا- زالوا يحاولون أن يخلقوا بعض المبررات لكى يتخذوا من أيام المحرم أعياده ومناسبات فرح لا- أساس لها من الواقع فمن ذلك مثلا- زعمهم أن هجره الرسول الأكرم (صلى الله عليخ و آله) إلى المدينه المنوره كانت فى أول يوم من المحرم فهم لذلك يتخذون من ذلك اليوم عيده وأسموه عيد الهجره). مع العلم أن هجره الرسول (صلى الله عليخ و آله) كانت أوائل شهر ربيع الأولحسب إجماع المؤرخين ، وقالوا : إن يوم عاشوراء يوم مقدس ومبروك فهم لذلك اتخذوه عيدا يظهرون فيه الفرح والسرور ويلبسون فيه الجديد وثياب الزينه ويقدمون التهانى بعضهم لبعض. مع العلم أن القدسيه والبركه لا يستلزمان التعيد وإظهار الزينه وتبادل التهانى. وعلى كل حال لا يوجد أى مبرر لاتخاذ أيام المحرم أو بعضها أعياده أبدأ بعد أن وقعت فيه تلك المأساه الخالده والكارثه الإنسانيه العظمى التى راح ضحيتها العشرات من ذريه رسول الله (صلى الله عليخ و آله) وأبنائه وأهل بيته الطاهرين فى تلك المجزره الرهيبه التى لم يسبق لها نظير .

ففى حديث الإمام على الرضا (عليه السلام) قال : «إن شهر المحرم كان أهل الجاهليه فيما مضى يعظمونه ويحترمونه ويحرمون فيه الظلم والقتال لحرمت لكن هذه الأمه ما عرفت حرمه شهرها ولا حرمه نبيها فقتلوا فيه ذريته وسبو

فيه نساءه من بلد إلى بلد.. . (۱)

وفى حديث آخر عنه (عليه السلام) قال : «إن يوم عاشوراء يوم تبركت به وفرحت فيه بنو أميه وآل مروان لقتلهم الحسين (عليه السلام) وأهل بيته فمن اتخذه يوم فرح وسرور جعل الله له يوم القيامه يوم حزن و خوف وكآبه ومن اتخذه يوم حزن ومصيبه جعل الله له يوم القيامه يوم فرح وسرور وقرت بنا فى الجنان عينه . (۲)

ولقد عبر بعض الشعراء عن منطق التدين والوجدان والضمير الإنسانيحيث قال رحمه الله:

ما انتظار الدمع هلا يستهلا

أو ما تنظر عاشوراء هلا

كيف لا تحزن فى شهر به

أصبحت آل رسول الله قتلا

كيف لا تحزن فى شهر به

أصبحت فاطمه الزهراء ثكلا

كيف لا تحزن فى شهر به

رأس خير الخلق فى الرمح معلا

كيف لا تحزن فى شهر به

ألبس الإسلام ذلا ليس يبلا

يوم لا سؤدد إلا وانقضى

وحسام للعلى إلا وفلا

يوم خر ابن رسول الله عن

سرجه لله خطب ما أجلا

ياقتى أصبحت دار العلا

بعده قفره وربع الجود محلا

مانعتك الخلق لكن قد نعت

فيك إحسانا ومعروفه وعدلا

وقال آخر يخاطب الحسين (عليه السلام) :

تبكيك عينى لا لأجل مثوبه

لكنما عينى لأجلك باكيه

تبتل منكم كربلا بدم ولا

تبت منى بالدموع الجاريه..؟

۱- راجع الأمالى للصدوق: ص۱۲۹ ح۵.

۲- راجع وسائل الشيعه: ج۱۴ ص۵۰۴ ح ۱۹۶۹۶ .

لماذا فاق يوم الحسين (عليه السلام) أيام غيره من الشهداء؟؟

فما رأى السبط للدين الحنيف شفا

إلا إذا دمه فى كربلا سفكا

وما سمعنا عليا لا علاج له

إلا بنفس مداويه إذا هلكا

نفسى الفداء لفادى شرع والده

بنفسه وبأهليه وما ملكا

يا ميتأترك الألباب حائره

وبالعراء ثلاثه جسمه تركا

فى كل عام لنا بالعشر واعيه

تطبق الدور والأرجاء والسككا

وكل مسلمه ترمى بزينتها

حق السماء رمت عن وجهها الحبكا

يرد هذا التساؤل بكثره وإلحاح وهو:

أولا: لماذا يعنى الشيعه بإحياء ذكرى شهاده الحسين (عليه السلام) وثورته أكثر من غيره من الثوار والشهداء..؟

وثانيا: لقد مضى على يوم الحسين (عليه السلام) زمن طويل يقارب الأربعه عشر قرنا فلماذا يعاد و تجدد ذكراه والاحتفال به فى كل عام بكل جديه واهتمام؟

فللإجابه على السؤال الأول نقول : لأن ثوره الحسين (عليه السلام) أظهر مصداق للثورات التحرريه فى تاريخ العالم كله واستشهاده (عليه السلام)، أوضح وأجلى صوره للاستشهاد فى سبيل الله تعالى وذلك هو لأن الحسين (عليه السلام) ، قام بأداء أعظم فريضه من فرائض الإسلام وهى فريضه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قام بأدائها على أصعب مراتبها وأشد صورها وأرفع مستوياتها ، فالله سبحانه

وتعالى احتفظ بيوم الحسين حيه خالده ليكون حجه على الناس وقدوه للمسلمين ، ومثلا أعلى لكل رجال الدين والمسؤولين فى كل زمان ومكان فى القيام بهذا الفرض الأعظم.

أما كون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أعظم الفرائض الإسلاميه فهو صريح الأحاديث الشريفه والنصوص المؤكده الصادره عن المعصومين (عليهم السلام) ففى الحديث عن النبى (صلى الله عليخ و آله) : «لا تزال أمتى بخير ما تآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا تركوا ذلك تسلط عليهم شرارهم ثم يدعون فلا يستجاب لهم.(١)

وفى حديث آخر عنه (صلى الله عليخ و آله) : «إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فتودع منها.(٢)

واشتهر عنه (صلى الله عليخ و آله) قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..» (٣)

وهاك استمع إلى هذا النص الجلى عنه (صلى الله عليخ و آله) حيث يقول : « ما أعمال البر كلها فى جنب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كقطره فى البحر المحيط، (٤) وأخيره قوله (صلى الله عليخ و آله) : «كيف بكم إذا فسق شبانكم وفسدت نسائكم وتركتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ قالوا: أويكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم وشر من ذلك ، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؛ قالوا: أو يكون ذلك يا رسول الله؟ قال : نعم وشر من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفه والمعروف منكرا».(٥)

١- راجع مستدرك الوسائل: ج١٢ ص ٣٣ ح ١٤٢١٨ .
٢- راجع مستدرك الحاكم النيسابورى: ج٤ ، ص ٩٦٠ .
٣- غوالى اللآلى: ج١ ص١٢٩ ح ٢.
٤- راجع وسائل الشيعه: ج١٦ ص ١٣٤ ح ٢١١٧٠.
٥- راجع بحار الأنوار : ج٢، ص١٨١ ح ٢.

ولاـ تنس قوله (صلى الله عليخ و آله) : «سيد الشهداء عمى حمزه بن عبد المطلب ورجل قام فى وجه سلطان جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله (۱)وقوله (صلى الله عليخ و آله) : من رأى منكم منكره فلينكره بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ..) (۲)وفيما ورد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله فى عهده إلى نجله الإمام الحسن (عليه السلام) قال : «يا بنى وأمر بالمعروف تكن من أهله وأنكر المنكر بيدك ولسانك و باين من فعله بجهدك وخض الغمرات إلى الحق ولاـ تأخذك فى الله لومه لائم»(۳) وقال (عليه السلام) فى وصيته قبيل وفاته : «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم.. (۴) وفيما ورد عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قوله : «يأتى فى آخر الزمان أناس حمقى لا يوجبون أمر بمعروف ولا نهيه عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر يقبلون على الصلاه والصيام مما لا يكلفهم شيئا من أموالهم وأبدانهم ولو كلفتهم الصلاه شيئا فى أموالهم وأبدانهم لتركوا الصلاه والصيام كما تركوا أشرف الأعمال»،(۵) أى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهكذا وإلى غير ذلك مما لا يسعنا فى هذا المقام استقصاؤه ؛ ومن الواضح أن كل هؤلاء يعبرون عما نطق به القرآن الكريم حيث أعطى هذه الفريضه أهميه كبرى فوق كل الفرائض الأخرى . كما هو صريح قوله تعالى : «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (۶)

۱- راجع أحكام القرآن : ج۲ ص ۹.

۲- راجع مستدرك الوسائل: ج۱۲ص۱۹۲ ح ۱۳۸۵۳ .

۳- راجع نهج البلاغه: ص ۳۹۱ من وصيه له (عليه السلام) للحسن (عليه السلام) ۳۱.

۴- راجع مستدرك الوسائل: ج۱۲ ص۱۷۹ ح۱۳۸۱۹.

۵- راجع الكافى: ج۵ ص ۵۵ ح۱.

۶- سوره آل عمران: ۱۱۰.

انظر کیف حصرت الآیه أفضلیه هذه الأمه علی سائر الأمم فی الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ثم فی الإیمان بالله .. وقال سبحانه وتعالی :«وَالْعَصْرِ «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِی خُسْرٍ * «إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (۳)»(۱) انظر کیف خصص التواصی بالحق عن عمل الصالحات ، حیث یوحی بأن کل أعمال الصالحات فی جهه والتواصی بالحق والصبر فی جهه أخری .. وقال سبحانه وتعالی فی معرض بیان الأسباب التی أدت إلی شقاء بعض الأمم السالفه : «کَانُوا لَا یَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْکَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا کَانُوا یَفْعَلُونَ ».(۲)

والخلاصه أن فریضه الأمر بالمعروف أعظم الفرائض أهمیه فی الإسلام وذلک الأن علی قیام هذه الفریضه یتوقف قیام الشریعه کلها فهی فریضه المحافظه علی النظام وضمان تطبیقه والرقابه الشعبیه القائمه علیه ولذا لم تسقط عن أی مسلم ومسلمه فی أی مستوی کان ، الساکت عن الحق شیطان أخرس .(۳)

ولا خلاف ولا شک فی أن کافه الأنبیاء والأوصیاء والعلماء من الصحابه والتابعین وکثیر من المؤمنین قاموا بأداء هذه الفریضه العظمی وأدوا هذا الواجب حسب ظروفهم وأحوالهم وإمکانیاتهم، غیر أن الحسین (علیه السلام) قامبأداء هذا الواجب علی نحو من الصعوبه والمشقه لم یسبقه فیه سابق ولم یلحقه لاحق. أجل لقد وقف الأنبیاء والأوصیاء فی وجه الطغاه و الظالمین وکلفهم ذلک تضحیات کبیره فی أموالهم وأبنائهم وأنفسهم وأهالیهم ولکن لم یتفق لأحد منهم أن ضحی بکل هذه الأشیاء و غیرها مجتمعه وفی آن واحد مثل الحسین (علیه السلام) ضحی بسته أو سبعه من أخوته و بثلاثه من أبنائه اثنان منهم

۱- سوره العصر : ۱-۳.

۲- سوره المائده: ۷۹.

۳- راجع الانتصار للعاملی: ج ۷ ص۱۵۸.

أطفال رضع ؛ وسبع عشر شابه من بنى عمومته وأبناء أخوته وبنيف وسبعين رجلا من خلص أصحابه وأخيره بحياته الزكيه وبعياله وحرمه وخيامه وماله ومتاعه وكل ما ملكت يداه ، ضحى بكل هذه الأشياء وغيرها بشكل من القسوه والعنف والشده تقشعر منه الجلود ويستعصى على الشرح والبيان فهو (عليه السلام) بكل حق وجداره قدوه الآمرين بالمعروف والمثل الأعلى بين رجال التضحيه والفداء :

وما سمعنا عليا لا علاج له

إلا بنفس مداويه إذا هلكا

نفسى الفداء لفادى شرع والده

بنفسه وبأهليه وما ملكا

فلا عجب بعد هذا إذا عرفنا السبب والعله حيث يقال إذا عرف السبب زال العجب ، ومنه نعرف أسباب حرص المسلمين عامه والشيعه منهم خاصه على إحياء ذكرى الحسين ونشرها ولفت الأنظار إليها بكل الوسائل والشعائر، لأن الحسين (عليه السلام) أعظم داعيه للجهاد فى سبيل الله وأظهر مثل للثبات والاستقامه على المبدأ وأرفع منار على طريق الشعور بالمسؤوليه وأدائها . ولولا حرمه النحت والتماثيل فى الإسلام لكان من المفيد جدا بالإضافه إلى ذلك ؛ أن نقيم التماثيل للحسين (عليه السلام) فى كل الساحات والشوارع بل فى كل بيت لأننا كلما تذكرنا الحسين (عليه السلام) تذكرنا الله والدين والحق والعدل والإنسانيه المثاليه . وكلما نسينا أو تغافلنا عن الحسين التبس علينا وجه الحق وفقدنا الموازين الإنسانيه والمقاييس التى تفرق وتشخص الحق عن الباطل، وعند ذلك الويل والشقاء حسب ما ورد فى الحديث الشريف : «كيف بكم... كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكره والمنكر معروفا»(۱)

ولقد أحسن من قال :

۱- وسائل الشيعه: ج۱۹ ص۱۲۲ ح۲۱۱۳۸.

لقد تحمل من أرزائها محنا

لم يحتملها نبى أو وصى نبى

وقال الآخر:

أحسين فيما أنت قد حملته

أشغلت فكر العالمين جميعا

وأما جوابنا عن السؤال الثانى فنقول : ليس كل حادثه تتأثر بطول العهدومرور الزمن عليها فتفقد أهميتها وأثرها فى النفوس أو يطويها الزمن فى ملف المهملات . كلا.. بل نرى بالوجدان أن فى العالم حوادث وشخصيات يستحيل على الزمن هضمها وعلى التاريخ استهلاكها وتصريفها. فمن الحوادث مثلا الثورات الشعبيه الكبرى كالثوره الفرنسيه وأمثالها التى يحتفل بذكراها رغم مرور الزمن الطويل عليها، ومن الشخصيات مثلا السيد المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) الذى لا يزال يحتفل بذكرى ميلاده كل عام رغم مرور ما يقارب الألفى سنه على ولادته. فإذا خلود الشخصيات والحوادث أو عدم خلودها إنما يدور مدار آثار تلك الحوادث والشخصيات لا مدار مرور الزمن .

ومما لا شك فيه بين ذوى البصائر والمعرفه أن شخصيه الحسين بن على (عليه السلام) وثورته ضد الدوله الأمويه هما فى رأس قائمه الشخصيات العالميه والحوادث الجليله من حيث الآثار والنتائج لأنها غيرت أو أثرت فى مجرى تاريخ الأمه الإسلاميه وصانت الشريعه الإسلاميه من التحريف والتزييف وحفظت كيان المسلمين من الزوال والذوبان. ولذا فليس من مصلحه الإنسانيه نسيان تلك الشخصيه المثاليه أو تناسى تلك الثوره المقدسه ، حيث أن فى نسيان شخصيه الحسين نسيان للإنسانيه المثلى فى كل زمان كما أن فى تناسى ثورته المقدسه فقدان الأعظم درس فى الحريه والعزه والتضحيه المقدسه، فإلى مزيد من تذكر الحسين (عليه السلام) وإلى مزيد من إحياء ذكرى ثورته المقدسه أيها المؤمنون .

هل ألقى الحسين (عليه السلام) بنفسه إلى التهلكه بثورته ضد الأمويين؟

أول الشبهات التى ترد على ذهن السامع أو القارئ لمصرع الحسين (عليه السلام) هى شبهه أن الحسين بعمله هذا قد ألقى بنفسه إلى التهلكه التى نهى الله تعالى عنها بقوله : «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَهِ»(۱) والقيام بمثل ذلك العمل الانتحارى يعتبر غريبه من مثل الحسين (عليه السلام) العارف بشريعه الإسلام والممثل الشرعى لنبى الإسلام جده محمد (صلى الله عليخ و آله) . لذا فالجواب عن هذه الشبهه يتوقف على تقديم مقدمه للبحث فى الآيه الكريمه والتعرف على معنى التهلكه المحرمه ومتى تصدق وهل ينطبق ذلك على عمل الحسين (عليه السلام) وننظر هل يصدق عليه صلوات الله عليه أنه ألقى بنفسه إلى الهلكه والتهلكه أم لا..؟.

قوله سبحانه : (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التملكه وأحسنوا إن الله المحسنين)

التهلكه .. يعنى الهلاك وهو كل أمر شاق ومضر بالإنسان ضرره كبيرهيشق تحمله عاده من فقر أو مرض أو موت

۱- سوره البقره: ۱۹۵.

والآـيه الكريمه أمرت أولاـ بالإنفاق فى سبيل الله أى التضـحيه والبـذل فيما يرضـى الله تعالى ويقرب الإنسان إلى الله ثم نهت عن الإلقاء بالنفس إلى التهلكه وذلك بترك الإنفاق فى سبيل الله . ثم قالت : (وأحسـنوا) أى كونوا محسـنين فى الإنفاق والبذل إذ أنه ليس كل تضـحيه حسـنه وشـريفه ولا كل بـذل هو محبوب وحسن عند الله ، وإلا لكانت تضـحيات المجانين والسـفهاء أيضـا شريفه وفى سبيل الله .

فالتضحيه الشريفه المقدسه والتى هى فى سبيل الله تعالى تعرف بتوفرشروط فيها وتلك الشروط نلخصها فيما يلى:

الشـرط الأـول: أن تكـون التضـحيه والبـذل والإنفـاق فى سبيـل شـيء معقول محبوب عقلاـ وعرفه أى فى سبيـل غرض وهـدف عقلانى، وإلا خرجت عن كونها تضحيه عقلائيه ودخلت فى عداد الأعمال الجنونيه أو اللاإراديه .

الشـرط الثانى: أن يكون المفدى والمضحى له أشرف وأفضل من الفداء والضحيه لدى العقلاء والعرف العام كأن يضحى بالمال مثلا لكسب العلم أو الصـحه أو يضـحى بالحيوان لتغـذيه الإنسان. وهكذا كلما كانت الغايه أفضـلوأثمن كانت التضـحيه أشـرف وأكمل .

هذان العنصـران هما الشـرطان الرئيسـيان من الشروط التى لابد منها فى كل بذل وإنفاق وتضحيه حتى تكون حسنه وشريفه وفى سبيل الله . وعلى هذا يظهر جليه وبكل وضوح أن ثوره الحسـين (عليه السـلام) كانت فى سبيل الله مئه بالمئه وأن كل ما قدم فيها وأنفق من مـال وبنين ونفس ونفيس وغـال و عزيز كـان إنفـاقه حسـنا وبـذلا شـريفا وتضـحيه مقـدسه يسـتحق عليهـا كل إجلال وتقديس و شكر . بداهه توفر الشرطين الآنفين فى ثورته عليه، على أتم صورهما حسبما نعرف ذلك مفصلا فيما يأتى ..

وكذلك يتضح زيف وبطلان الهراء والتهريج القائل أن الحسين (عليه السلام) بنهضته تلك ألقى بنفسه إلى التهلكه لأنه قام بدون عده وعدد كافيين فى وجه قوه تفوقه عده وعدده بأضعاف مضاعفه .

إنا نقول لهم: لقد قام قبل الحسين (عليه السلام) كثير من الأنبياء والرسل فى وجه أعداء لهم أقوى عده وعدده وقام كثير من الصلحاء وهم عزل فى وجه الطغاه الأقوياء ولاقوا صنوفه من العذاب والأذى والقتل فهل كان كل أولئك على خطأ وباطل فى مواقفهم؟

أما استدلالهم بفعل أمير المؤمنين (عليه السلام) مع معاويه حيث قبل الصلح أو التحكيم وكذلك فعل الحسن الزكى (عليه السلام) حيث صالح معاويه وقبل ذلك كله فعل النبى (صلى الله عليخ و آله) مع المشركين عام الحديبيه ..

فإنه استدلال فاسد و قياس مع الفارق حيث صالح هؤلاء أعداءهم لأنهم أيقنوا بعدم جدوى الحرب والقتال وعدم الوصول إلى الغايه المطلوبه مع الاستمرار فى الحرب وهى ظهور الحق وإزهاق الباطل، بل بالعكس ظهر الحق بصبرهم ومهادنتهم أكثر وأكثر. فصلح الحديبيه مثلا أظهر عطف الرأى العام العربى نحو محمد (صلى الله عليخ و آله)وأظهر حسن نواياه للعرب وأنه رجل سلام وداعيه حب وموده لا رجل حرب ، وبالتالى مهد ذلك الصلح لفتح مكه بدون قتال ثم الدخول الناس فى دين الله أفواجه. وأما قبول على (عليه السلام) للتحكيم فى صفين وصلح الحسن مع معاويه فلم يكن عن شعور بالعجز عن المقاومه ولا بدافع قله العدد وكثره العدو بل لغرض فضح نوايا معاويه وكشف مؤامراته العدوانيه أمام أعين البسطاء الذين كانوا قد خدعوا بنفاقه ودجله، وكذلك سكوت على الكشف عن حقه بعد وفاه النبى (صلى الله عليخ و آله) كان لعلمه (عليه السلام) أن استعمال السيف لا يجدى نفعا لمصلحه الإسلام بل يعرض ذلك لخطر أعظم وضرر أشد وفساد أكبر.

والخلاصه: إن آیه التهلکه لا تشمل مطلق الإقدام علی الخطر ولا تحرم

التضحیه بالنفس والنفیس إذا کانت لغایه أعظم وأفضل وهدف أنبل وأشرف کالذی قام به الحسین (علیه السلام) ، بثورته الخالده وحیث توفرت فی تضحیاته کل شروط التضحیه الشریفه والفداء المقدس علی أکمل وجه لأنه (علیه السلام) ضحی وفدی وبذل وأنفق فی سبیل أثمن وأغلی شیء فی الحیاه مطلقه ألا وهو الإسلام دین الله وشریعه السماء ونظام الخالق للمخلوق ودستور الحیاه الدائم؛ الذی لولا تضحیات الحسین (علیه السلام) لدفن تحت رکام البدع والتشویهات والانحرافات التی خلفتها عهود الحکم السابقه کما دفنت الدیانات السابقه علی الإسلام تحت ترسبات البدع والتحریف حتی لم یبق منها أثر حقیقی حیث لم یقیض لها حسین فیستخرجها ویزیل عنها المضاعفات کالذی فعله الحسین بن علی بالنسبه إلی الدیانه الإسلامیه الخالده.

وهنا قد یرد سؤال وجیه یجدر بنا التعرض له والإجابه علیه .

والسؤال هو: کیف یکون الإسلام أغلی وأثمن وأشرف وأفضل من کل الموجودات والکائنات حتی الإنسان نفسه فضلا عن المال والولد ألیس الله تعالی خلق الکون لأجل الإنسان فکیف یضحی بحیاه الإنسان فی سبیل الدین الذی هو بدوره وجد لأجل سعاده الإنسان و خدمه الإنسان وخیره؟.

والجواب: نعم إذا تعرض الدین الخطر الزوال أو التحریف فمعنی ذلک أن سعاده الإنسان تعرضت للخطر وکرامه الإنسان تعرضت للزوال ولا شک أن الإنسان إذا دار أمره بین أن یعیش بلا سعاده ولا کرامه أو یموت دفاعا عنهما وإبقاء لهما لغیره؛ وجب الدفاع والصیانه حتی الموت. إذا دار الأمر بین أن یعیش الإنسان بلا سعاده وکرامه أو یموت سعیده کریمه؛ فلا شک أن الموت بسعاده وکرامه أفضل من الحیاه بدونهما. إذا دار الأمر بین أن یعیش الإنسان فی مجتمع لا یشعر بکرامته الإنسانیه ولا یخضع لنوامیس الحیاه الطبیعیه أو

یموت ؛ فلا خلاف فی أن الموت خیر له وأفضل. ففی الحدیث الشریف عن النبی (صلی الله علیخ و آله) قال : «إذا کان أمراؤکم خیارکم وأغنیاؤکم سمحانکم وأمرکم شوری بینکم فظهر الأرض خیر لکم من بطنها، وإذا کان أمراؤکم شرارکم وأغنیاؤکم بخلائکم وأمرکم إلی نسائکم فبطن الأرض خیر لکم من ظهرها (۱)

وقال الحسین (علیه السلام) فی خطبه : «إنی لا أری الموت إلا سعاده والحیاه مع الظالمین إلا برما.. (۲) إذ أن کل الأشیاء إنما تخدم مصلحه الإنسان وتکون خیره للإنسان إذا کانت مقرونه مع الدین الصحیح. فالمال مثلا إنما یکون خیره وسعاده إذا کان بید إنسان متدین یؤمن بالمبدأ والمعاد ویتقید بحدود الدین فی کسب المال وصرفه، أما المال إذا کان بید الملحد الإباحی المتجرد من کل قیود الدین والعقل والنظام الاجتماعی الإنسانی فإنه وسیله هدم و تخریب وشقاء لصاحبه ولغیره («کَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَیَطْغَی*«أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَی »(۳)وقال (علیه السلام) :

«هلک خزان الأموال وهم أحیاء.»(۴) وکذلک الأولاد إنما یکونون خیره للوالدین وقره عین لهما إذا کانوا مؤمنین بالله والیوم الآخر وبما فرض علیهم الدین من حقوق الوالدین واحترامهما . أما لو کانوا بخلاف ذلک فهم وبال علی الوالدین یرهقونهما طغیانا وکفره. وهکذا کل شیء فی الحیاه نافع وخیر إذا ساده النظام والدین وما أحسن الدین والدنیا إذا اجتمعا ولا سعاده فی دنیا بلا دین.. وقال تعالی :«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَایَ فَلَا یَضِلُّ وَلَا یَشْقَی*وَمَنْ أَعْرَضَ

۱- بحار الأنوار: ج ۷۴ ص ۱۴۱ ح ۱۴.

۲- کشف الغمه: ج۲ ص۲۲.

۳- سوره العلق: ۶ و ۷.

۴- غرر الحکم و درر الکلم: ص۴۷ حه ۲۱۵.

عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا » (۱)

ونعود فنقول : إن الحسين (عليه السلام) ضحى فى سبيل أقدس قضيه وأشرف غايه فى الوجود ألا وهو الإسلام الذى تعرض لأكبر الأخطاء على يد ألد أعدائه وهم الأمويون فكان (عليه السلام) بذلك القيام أصدق مثال وأظهر مصداق للشهداء الذين قال الله تعالى فيهم: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ »(۲).

ولله در من قال :

كذب الموت فالحسين مخلد

كلما مرت الدهور تجدد

وقال الأستاذ حسين الأعظمى:

شهيد العلا ما أنت ميت وإنما

يموت الذى يبلى وليس له ذكر

ومادمك المسفوك إلا قيامه

لها كل عام يوم عاشوره حشر

ومادمك المسفوك إلا رساله

مخلده لم يخل من ذكرها عصر

وما دمك المسفوك إلا تحرر

الدنيا طغت فيها الخديعه والمكر

وهدم لبنيان على الظلم قائم

بناه الهوى والكيد والحقد والغدر

ومجمل القول هو: أن الحسين (عليه السلام) بثورته المقدسه لم يلق بنفسه إلى التهلكه كما يزعمون .. بل ألقى بها إلى الخلود والسعاده الأبديه والعزه والشرف فى الدنيا والآخره فاحتل المرتبه الأولى فى قائمه العظماء العالميين فى الدنيا ، وأخذ مكانه فى الصف الأول من صفوف الأنبياء والمرسلينوالشهداء والصالحين .. وحسن أولئك رفيقا .. فيا ليتنا كنا معه فنفوز فوزا عظيما..

۱- سوره طه: ۱۲۳.

۲- سوره آل عمران: ۱۶۹.

لماذا امتنع الحسين من البيعه ليزيد بن معاويه؟

قوله تعالى :«إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا »(۱)

البيعه لغه من البيع ضد الشراء، وفى الاصطلاح العرفى إعطاء المحكومين ثقتهم للحاكم وانتخابهم له وقبولهم به حاكما وأميره.

وفى الشرع ومنطوق الآيه الكريمه عباره عن معاهده وميثاق مع الله تعالى يوقعها المسلم بواسطه النبى (صلى الله عليخ و آله) أو نائبه الشرعى. معاهده و عقد وميثاق على الطاعه والانقياد والعبوديه الكامله فى كل ما يأمر به وينهى عنه على لسان أنبيائه وحججه . ومرجع هذا المعنى إلى المعنى اللغوى السابق أى البيع ضد الشراء فالبيعه تعنى بيع الإنسان نفسه لله تعالى على حد قوله سبحانه إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه.. فالمبايع للنبى (صلى الله عليخ و آله) أو نائبه يعنى سلم نفسه وإرادته بيد المبايع له مقابل قيام الأخير بأداء واجبه تجاهه من تبليغ وإرشاد وتنظيم على أكمل وجه وكل إخلال أو تقصير بلوازم هذه البيعه وهذا الميثاق من الطرفين يعد خيانه لله تعالى كما أن تنفيذ مقرراتها

۱- سوره الفتح: ۱۰.

والالتزام بشروطها يؤتى الأجر العظيم فى الدنيا والآخره..

وعليه فيجب على المبايع أن لا يمد يد البيعه إلا بعد التحقق والتأكد حتى يعرف إلى من يمد يده ومن من يبيع نفسه ولمن يسلم مقدراته ومقدرات أمته ومجتمعه. لله تعالى أم للشيطان، للحق أم للباطل، للعدل أم للجور،للوفاء والصدق أم للخيانه والكذب ، إن البيعه فى عصرنا الحاضر عباره عن الانتخاب أو قريبه منه فكل صوت يعطى للمرشح للرئاسه أو النيابه هو بمثابه البيعه معه فإذا كان المرشح شيطان من شياطين الإنس يكون مثله مثل شيطان الجن إبليس . إن قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إنى برىء منك.

والخلاصه: إن البيعه فى الدنيا على قسمين بيعه حق وهدايه ، أو بيعه باطل وضلال لأن هناك شروطأ وصفات يجب أن تتوفر فى المبايع له حتى تكون البيعه بيعه حق وهدايه وقد لخص تلك الشروط والصفات الإمام على (عليه السلام) فى خطبه له من نهج البلاغه فقال :

وقد علمتم أنه لا ينبغى أن يكون على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامه المسلمين : البخيل فتكون فى أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافى فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للدول فيتخذ قوم دون قوم ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنه فيهلك الأمه .(١) وعلى ضوء كل ما ذكر يظهر جليه الجواب الكافى عن السؤال القائل لماذا لم يبايع الحسين (عليه السلام) يزيد بن معاويه ؟.

وحاصل الجواب هو أن يزيد لم يكن أهلا لأن يبايع من قبل أى مسلم كان ، فضلا عن الحسين (عليه السلام) المسلم الأول فى عصره و سيد شباب أهل الجنه ، بل أن يزيد لم يكن مسلمه بالمره فكيف يبايع بإمره المؤمنين و خليفه على

۱- نهج البلاغه: ص۱۸۸ من كلام له (عليه السلام) ۱۳۱.

المسلمين فإن كفر يزيد وزندقته وإلحاده و استهتاره بكل القيم والمقدسات أشهر من الشمس فى رابعه النهار ولقد أجمع المؤرخون و أهل السيره على أن يزيد بن معاويه كان فاسق فاجره خماره سكيره يضرب بالطنبور ويلعب بالفهود والقرود فرضه أبوه معاويه خليفه على المسلمين بقوه السيف مع علمه بفساده حيث كان يقول لولا هواى فى زيد لأبصرت رشدى . وإليك تصريحات بعض الخبراء بيزيد من الأولين والآخرين :

من هو يزيد بن معاويه؟

ولنبدأ بكلمه الحسين (عليه السلام) نفسه عن يزيد التى قاله بمحضر واليه على المدينه الوليد بن عتبه وبمحضر قريبه مروان بن الحكم فلم ينكر عليه أحد منهما . فقال (عليه السلام) :

«... ويزيد رجل فاسق فاجر شارب للخمر قاتل للنفس المحرمه معلن بالفسق والفجور ومثلى لا يبايع مثله» (١) وقال أيضا لمروان لما أشار عليه بأن يبايع يزيد. . قال : «.. إنا لله وإنا إليه راجعون و على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمه براع مثل يزيد بن معاويه.(٢)

آراء العلماء الأقدمين والمعاصرين فى يزيد:

وهذا عبد الله بن حنظله غسيل الملائكه الصحابى الجليل ورئيس وفد أهلالمدينه إلى الشام بعد قتل الحسين (عليه السلام) فلما عاد إلى المدينه جمع الناس فى مسجد الرسول (صلى الله عليخ و آله) وقال : أيها الناس قد جئناكم من عند رجل يترك الصلاه ويشرب المسكرات وينكح الأمهات والأخوات ويلعب بالقرود والكلاب وإذا

١- راجع بحار الأنوار: ج١، ص ٣٢۴ ح٢ .

٢- اللهوف: ص ٢۴ .

لم تخلع بيعته أخشى أن نقذف بالحجاره من السماء.(۱)

وهـذا الحسن البصـرى العالم والنابغه المعروف بزهـده وعلمه قال فى معرض بيان جرائم معاويه العظيمه الموبقه التى لخصـها فى أربعه، وهى: اغتصابه الخلافه . ثم اسـتلحاقه زياد بن سـميه بأبيه أبى سـفيان ثم قتله لحجر بن عـدى الكنـدى وأصـحابه . وأخيره فرضه لابنه يزيد الحمير السـكير خليفه على المسـلمين بعده .. ويشارك اللاحقون من العلماء من سبقهم فى الرأى فى يزيد. فهذا مثلاـ العـالم والفيلسـوف الشـهير ابن خلـدون يـدعى الإجمـاع على فسق يزيـد وفجوره من قبـل كـافه علمـاء المسـلمين. ثم هـذا الفيلسوف الآخر المعروف بالتفتازانى يحكم بجواز لعن يزيد ولعن أتباعه فيقول بالنص فى كتابه (شـرح العقائد) : الحق إن رضـا يزيد بقتل الحسـين (عليه السـلام) واستبشاره به وإهانته أهل بيت النبى (صلى الله عليخ و آله) مما تواتر معناه ونحن لا نتوقف فى شأنه بل فى إيمانه لعنه الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه .

وقال ابن حزم العالم المعروف قال فى رسائله ما نصه : قيام يزيد بن معاويهكان لغرض الدنيا فقط فلا تأويل له فهو بغى مجرد.

وقـال الجاحـظ بـالحرف: المنكرات التى اقترفها يزيـد من قتل الحسـين وحمله بنات رسول الله سـبايا و قرعه ثنايا الحسـين بالعود وإخافته أهل المـدينه وهدمه للكعبه المشـرفه ، تدل على القسوه والغلظه والنصب والحقد والبغضاء والنفاق والخروج عن الإيمان فالفاسق ملعون ومن نهى عن شتم الملعون ملعون .

وهـذا القـدر من آراء الشخصـيات العظـام والعلماء الأعلام فى سـقوط يزيـد عن مسـتويات الإنسانيه وانحطاطه إلى أسـفل درك الشقاء والوحشيه والرذيله يكفى للدلاله على أن الحسين (عليه السلام) عمل بما يفرضه الواجب الإسلامى

۱- راجع الغدير للعلامه الأمينى: ج۱ ص۲۵۵ .

والإنسانى عندما امتنع من إعطاء البيعه ليزيد وأبى أن يعترف بشرعيه خلافته .

قال الأستاذ المسيحى الكبير جورج جرداق فى كتابه (على وعصره):

نشأ يزيد فى الأسره الأمويه التى كانت تنظر إلى الإسلام كحركه سياسيه قامت طلبا للرئاسه والملك والزعامه بدليل قول زعيم تلك الأسره أبو سفيان بنحرب عند دخول الرسول إلى مكه قال للعباس بن عبد المطلب لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمه. فقال له العباس : ويلك يا أبا سفيان إنها النبوه . فقال : أجل. ولابد لهكذا حركه أن تنتقل من أسره إلى أسره. واجتمع إلى هذه النشأه جهل وتحلل وعدم الشعور بالمسؤوليه لذا كانت نتيجته العبث والمجون. وهكذا عرف يزيد بالإدمان على شرب الخمر واللعب بالكلاب والقرود وذكر أنه سابق قرده فسقط عن فرسه سقطه كان فيها هلاكه لعنه الله وكان يلبس كلابه الكثيره أساور من ذهب وخلاخل من فضله وأثمن أنواع الحرير والدمقس فيما كانت السياط من عماله تلهب ظهور الفقراء والكادحين لجمع الضرائب والخراج والجزيه منهم .. » انتهى ما قاله جرداق .

الشعر يدين يزيد:

ولا بأس أن تسمع إلى بعض ما نظمه الشاعر الكبير الأستاذ بولس سلامه فى (ملحمه الغدير) عن هذا المخلوق الحقير يزيد بن معاويه (لعنه الله)، قال يخاطب المؤذن :

رافع الصوت داعيا للفلاح

أخفض الصوت فى أذان الصباح

وترفق بصاحب العرش مشغولا

عن الله بالقيان الملاح

ألف (الله أكبر) لا تساوى

بين كفى يزيد نهله راح

تتلظى فى الكأس شعله خمر

مثل أج اللهيب فى المصباح

عنست فى الدنان بكره فلم

تدنس بلثم ولا بماء قراح

إلى أن يقول مخاطبا معاويه :

يابن هند أبيت إلا يزيداً

رايه للرشاد والإصلاح

أنت رغم العيوب كالليل جنحا

قطره فى هتونه الضحضاح

رغم آثامك الجسام بن هند

أنت منه كريشه فى جناح

وإليك الآن نزر قليلا مما حفظه لنا التاريخ من شعر يزيد نفسه المعلن فيه بالكفر والإلحاد والمصرح فيه بفسقه و فجوره واستهتاره بالمقدسات . من باب من فمك أدينك .. قالوا كان يقضى ليله ساهره على موائد الخمر و فى مجلس الغناء . فقيل له يوما وقد صاح المؤذن بصلاه الصبح الله أكبر ، قم يا أمير المؤمنين إلى المسجد لأداء الصلاه، فأنشد يزيد قائلا :

دع المساجد للعباد تسكنها

وقف على دكه الحمار واسقينا

ما قال ربك ويل للذين شربوا

بل قال ربك ويل للمصلينا

إن الذى شربوا فى شربهم طربوا

إن المصلين لا دنيا ولا دينا

وطلع الفجر من ليله وهو سكران مع الندماء والمغنين ثم طرق سمعه نداء المؤذن (حى على الصلاه)، فقال اللعين :

معشر الندمان قوموا

واسمعوا صوت الأغانى

واشربوا كأس مدام

واتركوا ذكر المعانى

أشغلتنى نغمه العيدان

عن ص وت الأذان

وتعوضت عن الحور

خموره بالدنان

ومما ينسب إليه أيضا (لعنه الله عليه) قوله :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم

وداعى صبابات الهوى يترنم

ص: ٥٢

خذوا بنصيب من نعيم ولذه

فكل وإن طال البقا يتصرم

وقال فى حفل الترحيب بعبيد الله بن زياد (لعنه الله) قال وهو يخاطب ساقى الخمر:

اسقنى شربه تروى فؤادى

ثم مل بعدها إلى ابن زياد

صاحب السر والأمانه عندى

ولتسديد مغنمى وجهادى

قاتل الخارجى أعنى حسينا

ومبيد الأعداء والحاد

وعلى هذا فهل يوجد فى العالم دين وضمير وقانون يبيح لإنسان أن يعترف بيزيد بن معاويه إمامه لأمه وقائدا لشعب وحاكمه مطلقه على مجتمع إنسانى فضلا عن كونه خليفه لرسول الله ونائبا عن خاتم الأنبياء (صلى الله عليخ و آله) ؟ . الجواب طبعا كلا وألف كلا .. ومع غض النظر عما تقدم نتساءل .. هل كان الحسين يسلم على حياته من يزيد لو بايعه و صالحه ..؟ الجواب : كلا ، بدليل أن الحسن (عليه السلام) بايع لمعاويه ولم يسلم. ولله در القائل :

يأبى بن فاطمه والسيف فى يده

أن ابن ميسون جهره يعبد الوثنا

وقال الآخر مخاطبه الحسين (عليه السلام) :

وترفعت يدك الكريمه عن يد

لم تتخذغير الجريمه مأربا

شلت يد ترضى بيعه ظالم

طاغ وتخشى أن تثور وتغضبا

فالموت فى ظل الكرامه منهل

عذب وميت من يعيش معذبا

يا صارم الحق الصريح تداركَ

الدنيا فسيل البغى قد بلغ الزبا

بكَ نستعين على الطغاه ونزدرى

بالنائبات ونستعيد تصلبا

ونقود ركب الحق لاستقلاله

حتمأ وإن تكن المشانق مركبا

ص: ٥٣

لماذا لم يفعل الحسن (عليه السلام) مثلما فعل الحسين (عليه السلام) ؟

إن ثوره الحسين (عليه السلام) تثير التساؤل غالبا حول ما فعله أخوه الحسن (عليه السلام) من قبل مع طاغيه زمانه معاويه بن أبى سفيان من الصلح والمهادنه والبيعه له مع العلم أن كلا منهما ××× إمام معصوم من الخطأ والمعصيه فإذا كانت الحكمه والمصلحه فيما فعله الحسين فلماذا لم يفعل الحسن عليه مثله؟ وإذا كانت الحكمه والمصلحه فيما فعله الحسن (عليه السلام) فلماذا لم يفعل الحسين (عليه السلام) مثل فعله؟.

والجواب : هو إن كلا الفعلين والسيرتين حكمه ومصلحه وحق وصواب ولكن المصلحه والحق والحكمه تختلف صورها ومواردها باختلاف الأحوال والظروف والأشخاص. وأهم تلك الفوارق بين الحالين هو أن فساد الحكم الأموى وتذمر الرأى العام منه فى عصر الحسن (عليه السلام) كان بعد لم يبلغ من الاشتهار والشده إلى المستوى الذى بلغ إليه فى عصر الحسين (عليه السلام) وعليه فتضحيه الحسن (عليه السلام) بنفسه وأهل بيته حينئذ ما كانت تفسر لدى الرأى العام بأنها ثوره ضد الفساد والظلم أو أنها تضحيه فى سبيل الدين والمصلحه العامه كما فسرت تضحيه الحسين (عليه السلام) بل كانت تضحيه الحسن (عليه السلام) فيذلك الوقت تفسر غالبه بأنها صراع على السلطه وتنافس وتزاحم وتنازع حول الملك والخلافه. وكانت النتيجه حينئذ فشل قدسيه الثوره وعقم تلك التضحيه واستفاده العدو منها أكبر فائده دعائيه لنفسه وضد أهل البيت (عليهم السلام) والنتيجه

الأسوأ من ذلك هو فراغ الجو وخلو الميدان لمعاويه ولآل أبى سفيان فيطلقون أيديهم هدماً و تحطيمه لكل ما تبقى من أصول الإسلام وأركانه تحت ستار كثيف من الدجل والتضليل والخداع.. فهل ترى بعد كل هذا حكمه ومصلحه للإسلام والمسلمين فى تلك التضحيه لو قام بها الحسن (عليه السلام) ؟.

أجل : إن السنوات العشرين التى استولى فيها معاويه على مقاليد الملك والسلطه المطلقه بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعد صلح الحسن . نعم تلك السنوات هى التى ملأ فيها معاويه وبطانته وأقاربه ملأوا العالم الإسلامى بالظلم والفساد والدمار والخراب وهتك المقدسات وانتهاك الحرمات تماما كما تنبأ به من قبل رسول الله حيث قال فى الحديث المشهور المتواتر عنه (صلى الله عليخ و آله) : «رأيت بنى أميه فى المنام ينزون على منبرى نزو القرده ويضربون وجوه الناس فيردونهم القهقرى)(۱) فأنزل الله فيهم «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا»(۲)

وعنه (صلى الله عليخ و آله) ، قال : «لكل شىء آفه وآفه هذا الدين بنو أميه)(۳)، وروى مسلم فيصحيحه عن رسول الله (صلى الله عليخ و آله) حديثا حول بنى أميه جاء فيه: «هلاك أمتى على يد هذا الحى من بنى أميه»(۴) وقال أيضا (صلى الله عليخ و آله) : «لو لم يبق من بنى أميه إلا عجوزه درداء لبنت دين الله عوجا» رواه صاحب كتاب صلح الحسن ص۴۵. (۵)

وروى البخارى فى صحيحه عن النبى (صلى الله عليخ و آله) أيضا أنه قال: «هلاك أمتى على يد أغيلمه سفهاء» ثم فسرها ببنى أميه ، وذكر ابن حجر عن الحاكم قال

۱- راجع الصحيفه السجاديه: ص۱۶ ح۷

۲- سوره الإسراء: ۶۰.

۳- نهج الحق: ص۳۱۲.

۴- راجع الصراط المستقيم: ج۱ ص ۱۹۶ .

۵- وراجع أيضا بحار الأنوار : ج۴۴ ص ۴۳ ح۴.

كان أبغض الأحياء إلى رسول الله (صلى الله عليخ و آله) و بنو أميه .

ومن المفيد أن نشير هنا إلى ما صرح به بعض الكتاب المعاصرين والسابقين ومنهم الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه (أبو الشهداء) من أن بنى أميه ليسوا من قريش بل ولا من العرب أصلا وذلك لأن أميه لم يكن ابن صلبيه لعبد شمس بل كان غلام روميه تبناه عبد شمس على سنه التبنى فى الجاهليه فعرف به وسمى أميه بن عبد شمس، ونعود إلى أحاديث الرسول الله (صلى الله عليخ و آله) فى تلك الأسره المشؤومه فنقرأ منها هذا الحديث المتواتر وهو قوله (عليه السلام) : «إذا بلغ آل أبى العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ودينه دغلا وعباده خولا .(١)

ونكتفى بهذا القدر من الأحاديث النبويه وننتقل إلى أقوال الكتاب الناطق والإمام الصادق على (عليه السلام) فى نهج البلاغه حيث يقول فى خطبه له فى الملاحم :

ألا- إن أخوف الفتن عندى عليكم فتنه بنى أميه فإنها فتنه عمياء مظلمه عمت خطتها وخصت بليتها وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمى عنها وأيم الله لتجدن بنى أميه لكم أرباب سوء بعدى كالناب الضروس تعدم بفيها وتخبط بيدها وتزين برجلها وتمنع درها ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشيه وقطعه جاهليه ليس فيها منار هدى ولا- علم يرى والله لا يزالون حتى لا يدعون لله محرمه إلا- استحلوه ولا- عقده إلا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا ودخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان باك يبكى لدينه وباك يبكى لدنياه .. .(٢)

وذكر السيد المقرم الله عنه فى المقتل الكبير عن كتاب ضحى الإسلام لأحمد أمين المصرى قوله فى (ج١ ص٢٧) : الحق إن الحكم الأموى لم يكن حكمه(١)

١- راجع بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٢٦ .

٢- شرح ابن أبى الحديد: ج۴

إسلاميه يسوى فيه بين الناس فى الحقوق والواجبات ويكافأ فيه المحسن أيا كان ويعاقب فيه المجرم أيا كان وإنما كان حكمه شعاره التعصب الممقوت وتسوده النزعه الجاهليه ومظاهرها لا النزعه الإسلاميه .

أقول: إن تلك الأعوام العشرين التى قبض فيها معاويه على مقاليد الحكم بدون رادع ولا مانع هى التى كشفت الحجاب عن مدى فساد السياسه الأمويه الرعناء وأظهرت للناس عمق العداء والحقد الذى يحمله الأمويون ضد الإسلام ونبى الإسلام والمسلمين جميعا وفى خلال تلك السنوات تيقظ الرأى العام الإسلامى إلى عظيم أخطار البدع والانحرافات التى أحدثها الأمويون منذ أن تسللوا إلى مراكز السلطه والحكم أفرادا وجماعات ابتداء من عهد الخليفه الأول أبى بكر فما بعد وفى أعقاب تلك الفتره المظلمه المشؤومه فتره سلطان معاويه صار الفرد المسلم العادى يشعر فى قراره نفسه وأعماق شعوره نفوره شديده وكرهه مريره تجاه الجهاز الأموى الحاكم خليفه وعمالا وولاه وبطانه. فكان الشعب المسلم ينظر إليهم كعصابه لصوص وقطاع طريق وجلادين لا هم لهم إلا نهب الأموال وسلب الحقوق واغتصاب الأعراض وسفك الدماء والتمادى فى المتع الحقيره وإشباع الشهوات . وغير ذلك مما لا يسع المقام وصفه حسب ما هو مسطور فى كتب التاريخ والتراجم، وليس أدل على نقمه المسلمين وتذمرهم من حكامهم الأمويين منهذه الأبيات لشاعر عاش تلك الفتره القاسيه وهو عبد الله بن همام السلولى حيث يقول :

فإن تأتوا برمله أو بهند

نبايعها أميره مؤمنينا

إذا ما مات كسرى

قام كسرى نعدثلاثه متناسقينا

فيالهفه لون لنا الوفا

ولكن لا نعود كما بدينا

إذا لضربتموا حتى تعودوا

بمكه تلعقون بها السخينا

حشينا الغيض حتى لوشربنا

دماء بنى أميه مارونا

لقد ضاعت رعيتكم وأنتم

تصيدون الأرانب غافلينا

ففى البيت الأول منها يبين أنه قد ضاعت موازين الخلافه الإسلاميه ومقاييسها بحيث لو جاءتنا رمله أو هند ابنتا معاويه المعروفتان بالمجون والفسوق لوجب علينا نحن المسلمين أن نبايعهن بالخلافه عن الرسول والإمره على المؤمنين، لأننا إن رفضنا قتلنا.

وفى البيت الثانى يقول أن الخلافه الإسلاميه تحولت إلى ملك وراثى تماما النظام الملكى عند الأكاسره ملوك الفرس قبل الإسلام كلما مات كسرى الأب قام كسرى الابن مقامه . وهنا كذلك مات عثمان كسرى الأمويين الأول الذى جعل الدوله الإسلاميه بما فيها من خيرات ملكا خاصا له ولأسرته الأمويين، قام كسرى الثانى مقامه وهو معاويه ثم مات فقام كسرى الثالث مقامه وهويزيد. فالنظام نفس النظام مع الاختلاف فى الأسماء والعناوين فقط .. وباقى الأبيات ظاهره المعنى واضحه الدلاله على مدى النقمه التى كان يكنها المجتمع الإسلامى والكبت الذى كان يشعر به من رعونه الحكام واستهتارهم. فجاءت ثوره الحسين (عليه السلام) تعبيرا كاملا عن شعور ذلك الشعب المكبوت وتجسيده حقيقيه لآمال ورغبات تلك الأمه المضطهده . فكانت القلوب معها تؤيدها وتبارك خطاها .. وأعطيت صفه الثوره التحرريه المثاليه بين جميع الثورات فى العالم..

أما فى عصر الحسن (عليه السلام) وبعد أبيه أمير المؤمنين حيث كان معاويه بعد لم يصل إلى الخلافه العامه والسلطه العامه ولم يظهر أمام الرأى العام على حقيقته الفاسده وواقعه الخبيث فإن الأمر كان يختلف عنه فى عصر الحسين (عليه السلام) ويزيد اختلافا كبيره. ولذا يجزم الخبراء بأن صلح الحسن (عليه السلام) مهد الطريق لثوره الحسين (عليه السلام) وهيأ لها الجو والمناخ الملائم لتبرز إلى الوجود كأقدس ثوره إنسانيه فى العالم، وأظهر مصداق لصراع الحق ضد الباطل وأعظم جوله فى معركه الخير مع الشر فى حياه البشريه من أولها إلى آخرها .

أجل؛ كل هذه الصور المثاليه التى اكتسبتها ثوره الحسين (عليه السلام) تعود فى جمله ما تعود إليه من عوامل وأسباب إلى صلح الحسن (عليه السلام) مع معاويه وبعد هذا كله يمكننا أن نقول بأن الحسن والحسين ××× كانا واجهتين الرساله واحده واجه التخطيط والتمهيد التى أبرزها الحسن (عليه السلام) بصلحه ومسالمته ثمواجه التطبيق والتنفيذ التى أبرزها الحسين (عليه السلام) بقيامه ونهضته، وتضحيات الحسن (عليه السلام) فى سبيل أداء سهمه من الرساله وحصته من المسؤوليه لم تكن قليله ولا بسيطه . بل كانت تضحيات شاقه وغاليه كثيره، إنها تضحيات أعصاب وعواطف ، تضحيات قلب و فكر وروح، فصلوات الله وسلامه عليك يا أبا محمد بما صبرت واحتسبت وأثابك الله أجر الصابرين ، ورحم الله شيخنا الأصفهانى حيث يقول :

زكت ثمار العلم بالزكى

أكرم بهذا الثمر الجنى

أعطاه جده نبى الرحمه

سؤدده وعلمه وحلمه

يهنيك يا أبا الولاه الساده

وقاده الخلق إلى السعاده

بمن تسامى شرفا ومجدا

أخا وأما وأبا وجدا

بشراك يا حقيقه المثانى

بواحد الدهر بغير ثانى

بالحسن المنطق والبيان

ومن حوى بدايع المعانى

من رشحات بحر علمه الخضم

جرت ينابيع العلوم والحكم

وحلمه له المقام السامى

فى حلمه ظلت أولو الأحلام

صبره العظيم فى الهزاز

يكاد أن يلحق بالمعاجز

من حلمه أصابه من البلا

ما لا تطيقه السماوات العلا

رضاه فيما كان الله رضا

قضى على حقوقه بما قضى

وسلمه فى موقع التسليم

من رشحات قلبه السليم

ص: ۶۰

لماذا لم يقم بالسيف أحد من الأئمه (عليهم السلام) بعد الحسين (عليه السلام) ؟

من الأخطاء التى وقع ويقع فيها بعض الناس هو القياس فى سلوك الأنبياء والأوصياء فإن أحد منهم قام بعمل بارز و حساس بحيث يعجبهم ويتلائم مع رغباتهم وأفكارهم، فحينئذ يتوقعون من الآخرين أيضا أن يفعلوا نفس ذلك الفعل ويقوموا بمثل ما قام به فلان لأنه أعجبهم ووافق أهوائهم. وعلى هذا الأساس يقولون :

لماذا لم يقم أحد من الأئمه بثوره مسلحه بعد الحسين (عليه السلام) ومن ثم رفض بعض المسلمين إمامه أى إمام لم يقم بالسيف ضد أعداءه فالإمامه عندهممشروطه بشرط الكفاح المسلح ولذا فهم يعترفون بإمامه على عليه ثم الحسن (عليه السلام) ثم الحسين (عليه السلام) ثم زيد بن على بن الحسين (عليه السلام) وابنه يحيى بن زيد وهكذا، أما زين العابدين ومحمد الباقر و جعفر الصادق فليسوا عندهم من الأئمه لأنهم لم يقوموا بالسيف، وهؤلاء الطائفه الزيديه الموجودون بكثره فى اليمن وغيرها .

والواقع أن هؤلاء وأمثالهم يظنون أن مصلحه الأمه دائما تدور مدار استعمال السيف والكفاح المسلح وجودا وعدمه، فالإمام الذى لا يقوم بهذا الكفاح لم يخدم مصلحه الأمه، غافلين عن أن استعمال السيف هو علاج اضطرارى ومن باب آخر الدواء الكى. فهذا رسول الله (صلى الله عليخ و آله) مثلا لم يستعمل

السيف إلا بعد مضى ثلاثه عشر سنه أو أكثر من بدء الدعوه وبعد أن اضطر الاستعماله دفاعا عن النفس وفى وجه أناس كان موقفه معهم موقف حياه أو موت . وبعده الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أغمد سيفه خمسه وعشرين سنه وصار يدعو إلى سبيل الله بالحكمه والموعظه الحسنه ويجادلهم بالتى هى أحسن وأخيرا اضطر إلى استعمال السيف ضد أناس فشلت معهم جميع الوسائل السلميه. وبعده الإمام الحسن (عليه السلام) الذى جرد السيف فى بدء الأمر ضد العدو ولكن لما ثبت لديه أن الكفاح السلمى والحرب البارده فى ذلك الظرف وفى تلك الأحوال أنجح وأنفع للمصلحه العامه والإسلام من السيف، ترك الحرب وجنح للسلم والمصالحه .

فالغرض أنه لا شك فى أن مصلحه الحق والدين ليست منحصره فى الحرب بالسيف وفى الثوره الدمويه دائمه . بل فى بعض الأحيان والأحوال وفى حالات شاذه نادره، فالحق لا يفرض بالسيف والعقيده لا تركز بالقوه، ودين الله لا يقوم على الإكراه والإجبار وقد ذكرنا فيما سبق أن ظروف الحسين (عليه السلام) كانت ظروفاً شاذه انعدمت فيها كل وسائل الدعوه السلميه ولم يجد الحسين (عليه السلام) معها بدا من أن يقوم بحركه غريبه ومدهشه لجلب الرأى العام وإلفات الأنظار وتحريك الضمير الإنسانى. وقد تحقق كل ما أراده بحركته وبقى استغلال ذلك النتاج وصيانه تلك الثمره بالبيان والتوجيه ورعايه تلك المكاسب بالدعم الفكرى والعلمى والعملى . وهذا هو بالذات كان دور الأئمه (عليهم السلام) من أبنائه بعده وقد قاموا به على أحسن ما يرام وأنتم ما يكون. فالحسين (عليه السلام) وجه بثورته الأفكار ولفت الأنظار إلى عداله قضيه أهل البيت (عليهم السلام) وإنهم مع الحق والحق معهم وإن خصومهم مع الباطل. ولكن ياترى ما هى تفاصيل تلك القضيه أى قضيه أهل البيت ؟ وما هو مفصل هذا الحق الذى لهم ومعهم وما هو وجه الخلاف بينهم وبين غيرهم، فهذه التفاصيل و الشروح والبيانات

للناس قام بها أبناؤه (علیه السلام) بعده بشتی الوسائل الممکنه لدیهم وبذلک ظهر الحق وانتشر علی الصعید الفکری عامه وعلی الصعید العملی إلی حد کبیر نسبه ، أما إذا قلت لماذا قعدوا عن استعاده حقهم المغتصب ولم یقوموا بثوره لاسترجاع الخلافه و الإمره والحکم؟!.

قلت : إن ذلک لم یکن مقدوره لهم جمیعا ولم تتوفر لأحدهم الإمکانیات لذلک الغرض. کما لم تتوفر للحسن (علیه السلام) ولا للحسین (علیه السلام) کما قدمنا سابقا وأعنی بتلک الإمکانیات اللازمه لاسترجاع الخلافه من أیدی الغاصبین . الأعوان والأنصار بالقدر اللازم والعدد الکافی والنصاب الشرعی المعروف وهو النصف من عدد العدو وحسب نصوص الآیه الکریمه سوره الأنفال آیه ۶۶ (آلئن خفف الله عنکم وعلم أن فیکم ضعفا فإن یکن منکم مائه صابره یغلبوا مائتین وإن یکن منکم ألف یغلبوا ألفین بإذن الله والله مع الصبرین)

وکان النصاب الموجب للقتال قبل هذا هو العشر کما فی صریح الآیه الکریمه التی قبلها : «یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ عَلَی الْقِتَالِ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ وَإِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَهٌ یَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا »(۱)

فکان النصاب المبرر للقتال أولا هو العشر ثم نسخ وصار النصف من قوه العدو ولا شک فی أن النصاب الشرعی بصورتیه الأولی والثانیه لم یحصل الأحد الأئمه (علیهم السلام) بعد النبی (صلی الله علیخ و آله) سوی علی بن أبی طالب (علیه السلام) فإنه الوحید من بینهم الذی حصل علی النصاب المذکور وتمکن من القیام و استحصال حقه. وأما الباقون فلم یحصلوا علی أعوان وأنصار حتی بمقدار النصاب الأول وهو العشر فضلا عن النصف. فالحسن (علیه السلام) مثلا بقی بعد خیانه الجیش

۱- سوره الأنفال: ۶۵.

فی أهـل بیته وعـدد قلیل من الأصـحاب والأنصار لا یتجاوزون المائه رجل وفی قباله معاویه ومعه سـتون أو سـبعون ألف مقاتل، فأی توازن وأی تقارب بین القوتین؟ لـذلک سـقط عنه تکلیف الجهاد الشـرعی ولم یبق أمامه إلا التضـحیه والشـهاده أو الصـلح والمهـادنه، فاختـار الصـلح لأـنه کـان أصـلح یومئـذ وأنفع المصـلحه الإسـلام العلیا من التضـحیه حسب ما فصـلناه سابقا، فراجع، وکذلک الأمر مع الحسـین (علیه السـلام) کما تعلم حیث بقی فی نیف وسـبعین رجل فی مقابل سـبعین ألف من الأعداء، ولکنه (علیه السلام) آثر الشهاده والقیام بعمله الفدائی الخاص نظرا لظروفه الخاصه حسبما فصلناه سابقا.

وأما باقی الأئمه (علیه السلام) فحالهم لم تختلف عن حال الحسن والحسین ××× بل ربما کان أشد وأحرج، یلتفت ذلک الرجل إلی الإمام الصادق (علیه السـلام) وهو یمشی معه فی ضواحی المدینه فیقول له: یا سیدی کیف یجوز لک السکوت والقعود عن حقک وأنت صاحب هـذا الأمر وابن رسول الله (صـلی الله علیخ و آله) ؟ فسـکت عنه الإمام الصادق (علیه السـلام) حتی مر بهم راع یسوق قطیع من الغنم فقال له الإمام (علیه السلام) : یا فلان کم تعد هذا القطیع ؟ فقال الرجل: لا أدری ، فقال (علیه السلام) : والله لو کان لی أنصار عدد هذا القطیع لنهضت بهم، فعطف الرجل علی القطیع فعده فإذا هو سبعه عشر رأسا.

ودخـل سـهل بن الحسن الخراسـانی علیه ذات یوم وقال : یا بن رسول الله لا یجوز لک القعود عن حقک ولک فی خراسان مائه ألف رجل یقاتلون بین یدیکمن شیعتک. فقال له الإمام الصادق (علیه السلام) : وأنت منهم یا سهل؟ فقال : نعم جعلت فداک یا سیدی . فقال له : اجلس فجلس ثم أمر الإمام علیشه الجاریه وقال یا جاریه اسـجری التنور فسـجرته حتی صار اللهب یتصاعد من فم التنور فالتفت الصادق (علیه السـلام) إلی سـهل الخراسانی وقال : یا سـهل أنت من هؤلاء الـذین ذکرت أنهم یطیعون أمری ؟ فقال : نعم سیدی أفدیک بروحی.

فقـال (عليه السـلام) : قم وادخل فى هـذا التنور . فقال سـهل : أقلنى أقالك الله يا بن رسول الله (صـلى الله عليـخ و آله) عليه : قد أقلتك فبينا هم كذلك إذ دخل أبو هارون المكى رحمه الله فسلم فرد عليه السلام وقال له :

يـا أبـا هارون أدخل فى التنور ، فقال : سـمعا وطاعه ثم ألقى نعله وشـمر عن ثيابه ودخل فى التنور فقال الإمام (عليه السـلام) : يا جاريه اجعلى عليه غطاءه فغطته ، ثم التفت الإمام (عليه السـلام) إلى سـهل بن الحسن وصار يحدثه فقال سهل إأذن لى يا سيدى أن أقوم وأنظر على هـذا الرجـل، فقـال (عليه السـلام) : نعم . ثم قام ومعه سـهل وكشف الغطاء عن التنور و إذا أبوهارون جالس على رماد بارد، فقال له الإمام أخرج فخرج صـحيح سالما لم يصـبه أى أذى فقال على : يا سهل كم تجد مثل هذا فى خراسان ؟ فقال سهل: ولا واحد يا بن رسول الله .

وهـذه العمليه هى كرامه ولاـ شـك أظهرهـا الإمـام الصـادق (عليه السـلام) عبر بهـا عن أنأهـل البيت إنمـا هم بحاجه إلى جيش عقائـدى يطيع الأوامر الصادره إليه من الإمام (عليه السـلام) مهما كانت لا يعرف التردد والهزيمه ولا يفكر بغير الشـهاده أو الغلبه لثقته التـامه بالإمـام (عليه السـلام) واعتقـاده الراسـخ المـتين بـأن أوامره من أمر الله ورسوله وهو أعرف بالصالـح والفاسـد والحق والباطـل من جميع النـاس فهم بحـاجه إلى هكـذا جيش متوفر لـديهم قـدر النصـاب الشـرعى على الأقـل وقبل القيام بالحركه أو الثوره. لكى لا تتكرر نكسه صفين أو مأساه كربلاء أو نكبه الحسن على يد جيشه يوم ساباط .

وخلاصه الكلام: هو أن نقول أما القيام لأجل أخـذ حقهم فى الخلافه وانتزاع السـلطه من أيدى الظالمين فإنه كان مسـتحيلا عاده بالنسـبه لهم لعـدم توفر الشـرائط و اللوازم الضـروريه لمثل هذا القيام لديهم وأهمها الأنصار والأعوان المخلصون. غير أنهم كانوا يدعمون معنويا وماديه وفكريه قدر استطاعتهم كل الثورات الحره والحركات الإصلاحيه التى كانت تقوم بين حين

وآخر ضد الأمويين أو العباسيين مثل ثوره أهل المدينه على يزيد (لعنه الله)ن وثوره زيد ابن على بن الحسين على عبد الملك بن مروان، وثوره المختار الثقفى فى الكوفه وثوره محمد ذو النفس الزكيه على المنصور العباسى وبعدها ثوره أخيه إبراهيم أحمر العينين على المنصور أيضا وغيرها ..

وأما القيام لأجل التضحيه والشهاده مثل قيام الحسين (عليه السلام) فإنه لم يكن ضروريه فى عصرهم لأن وسائل الإعلام والدعوه إلى الحق وطرق إتمامالحجه وتبليغ الرساله لم تنعدم كليه فى عصر الأئمه (عليهم السلام) كما انعدمت فى عصر الحسين (عليه السلام) حتى اضطر إلى القيام بالإبلاغ والإعلام عن طريق التضحيه والشهاده . فالإمام الباقر (عليه السلام) والإمام الصادق (عليه السلام) مثلا قاما بأوسع حركه إعلاميه مستطاعه فى ذلك العصر عن طريق المدرسه والتدريس ونشر العلم واستقطاب العلماء وتربيه ثله من الشباب المؤمن بالتربيه الإسلاميه وبثهم فى الأقطار والأمصار يبشرون ويرشدون ويعلمون. فكان عصرهما ××× أحسن عصور الإسلام ازدهاره بالعلم والمعرفه وتقدم الثقافه وكثره المدارس والمجالس العلميه. وبقى الحال على هذا الوصف بل وازداد تقدما وازدهاره إلى عصر الإمام الرضا (عليه السلام) والجواد (عليه السلام) .. وهما اللذان كونا بجهودهما وبمعونه المأمون العباسى وتعاون المجتمع معهما كونا من المسلمين أساتذه للعالم الغربى اليوم بكل علومه واكتشافاته المدهشه .

قال ابن الوشا: دخلت إلى جامع الكوفه فى أيام الرضا (عليه السلام) فرأيت تسعمائه شيخ يحدثون ويدرسون ويقولون حدثنا جعفر بن محمد ×××.

وفى الختام نكرر القول بأن خدمه المصلحه العامه ونصره الحق ومكافحه الباطل والظلم ليست فى الحرب دائمه، بل الأمر يختلف باختلاف الظروف والأحوال والحرب الدمويه هى آخر وسيله يفكر فيها المصلحون المخلصون الأمتهم وللصالح العام بعد اليأس من الوسائل السلميه وإلى هذا يشير حيث

يقول الإمام على (عليه السلام) فى كلماته القصار: رأى الشيخ أحب إلى من جلد الغلام.(۱)

وإلى هذا يشير المتنبى الشاعر فى أبياته المعروفه فيقول :

الرأى ثم شجاعه الشجعان

هو أول وهى المحل الثانى

فإذا هما اجتمعا لنفس حره

بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أعداءه

بالرأى قبل تطاعن الأقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم

أدنى إلى شرف من الإنسان

وقد جاء فى الحديث الشريف قوله (عليه السلام) : «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء .. (۲)

۱- غرر الحكم و درر الكلم: ص ۴۱ ح۱۴

۲- راجع من لا يحضره الفقيه: ج، ص۳۹۸ ح ۵۸۵۳

هل يمتاز الحسين (عليه السلام) على سائر الأئمه (عليهم السلام) فى الصفات التى اشتهر بها؟

«أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَهَ وَيَرْجُو رَحْمَهَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)»«أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَهَ وَيَرْجُو رَحْمَهَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)»يعرف الحسين (عليه السلام) لدى الرأى العام بصفه الثوريه والصلابه والشجاعه وإباء الضيم فهل هذا يعنى أن الحسين كان متفوقا على سائر الأئمه (عليهم السلام) فى هذه الصفات أو أن غيره من الأئمه (عليهم السلام) أو بعضهم على الأقل كان محرومه من هذه الصفات ؟ الجواب : كلا ..

فالواقع هو أن الأئمه الاثنى عشر الذين أولهم على بن أبى طالب (عليه السلام) وآخرهم المهدى المنتظر (عج) كلهم فى مستوى واحد من حيث جميع الفضائل الكماليه والصفات الإنسانيه ومكارم الأخلاق، وهم بمجموعهميفوقون كافه الناس فى التحلى بالفضائل والكمالات، أى ليس فى العالم مثلهم بعد الرسول (صلى الله عليخ و آله) ولا نظير لهم فى أى فضيله أو كمال نفسى، لأن ذلك شرط العصمه ولازمها ، وقد ثبت بدليل العقل والنقل أنهم معصومون ولا يكفى فى تحقق العصمه لشخص ما أن يكون مؤمنا صالح العمل والسيره والأخلاق فحسب بل يجب أن يكون أيضا فوق مستوى الناس فى العلم والإيمان والعمل الصالح ومكارم الأخلاق، ومن ثم يستحق منصب الإمامه على الناس، ومن شواهد ذلك قول الخليل بن أحمد العالم النحوى عندما سئل ما الدليل على إمامه على (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليخ و آله) دون سائر الصحابه فقال: الدليل

استغناؤه عن الكل واحتياج الكل إليه .. وهذا الدليل يجرى بالنسبه إلى باقى الأئمه الأحد عشر من أبنائه أيضا وهو أمر يفرضه العقل والمنطق والعدل، إذ أنه لو وجد شخص آخر فى عصر الإمام المعين هو مثل الإمام ومساوى له فى الفضل والكمال يكون حينئذ تقديم أحدهما على الآخر للإمامه والقياده باطلا عقلا لأنه ترجيح بلا مرجح.

أما إذا وجد من هو أفضل من الإمام وأرفع مستوى فى العلم والقدره والعمل فتقديم الإمام عليه أقبح عقلا وأشد بطلانه لأنه من باب تقديم المفضول على الفاضل، أو تقديم الفاضل على الأفضل وهو فاسد، فالله تعالى إنما اختار عليا (عليه السلام) وأبناءه الأحد عشر المعروفين للخلافه عن الرسول الأكرم (صلى الله عليخ و آله) ولقياده الأمه بعده علما منه تعالى بأن هؤلاء هم أكمل الناس وأفضلهم جميعاإيمانا وعلما وعملا. وأشار تعالى فى كتابه العزيز إلى أن ملاك الإمامه والإماره إنما هى الأفضليه لا غير.

فقال تعالى :«هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ »(۱)

وقال تعالى : «أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»(۲)

وقال تعالى : «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»(۳)

وقال تعالى : « قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ »(۴)

وقد نص الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذا الملاك للسياده والإمامه

۱- سوره الزمر : ۹.

۲- سوره يونس: ۳۵.

۳- سوره المجادله: ۱۱.

۴- سوره البقره: ۱۲۴.

والإمره فی کلماته القصار فقال : «أحسن إلی من شئت تکن أمیره، واحتج إلی من شئت تکن أسیره، واستغن عمن شئت تکن نظیره»(۱) وقد کشف رسول الله النقاب عن أن هذا الملاک متوفر ومتحقق فی أهل بیته الطاهرین فقال فی وصیته العامه قبیل وفاته : «أیها الناس لا تتقدموهم فتهلکوا ولا تتأخروا عنهم فتضلوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منکم.. . (۲)

وفی بعض خطب الإمام أمیر المؤمنین فی نهج البلاغه قوله :

«لا یقاس بآل محمد من هذه الأمه أحد ولا یسوی بهم من جرت نعمتهم علیه أبدا ، هم أساس الدین وعماد الیقین إلیهم یفیء الغالی وبهم یلحق التالی ولهم خصائص حق الولایه وفیهم الوصیه والوراثه .. .(۳)

وقال (علیه السلام) فی مقام آخر: «نحن صنایع ربنا والخلق بعد صنایع لنا»،(۴) أی إن کمالهم من کمال الله سبحانه وکل کمال وصلاح وفضل یوجد فی الناس فهو من طهرهم و فضلهم وصلاحهم (علیهم السلام) وبعباره أخری إنهم تربیه الله تعالی والصالحون من الناس تربیتهم هم صلوات الله علیهم.

فالغرض أن أهل البیت (علیهم السلام) أفضل الخلق وأکملهم بعد جدهم رسول الله (صلی الله علیخ و آله) ، وأما هم و فیما بینهم فلا تفاضل ولا امتیاز لأحدهم علی الآخر فی هذا الأصل، أی أصل الکمال والعصمه. نعم قد یوجد تفاضل بینهم ولکن باعتبارات ثانویه کالأبوه والبنوه مثلا .

ولعلک تقول :

إذا کان الأمر کذلک فلماذا عرف واشتهر بعضهم فی بعض الصفات

۱- راجع مجموعه ورام: ج۱ ص۱۶۹ .
۲- راجع الاحتجاج: ج۱ ص ۱۵۰
۳- نهج البلاغه: ص۴۷ من خطبه له (علیه السلام) ۲.
۴- راجع نهج البلاغه: ص۲۸۵ من کتاب له (علیه السلام) إلی معاویه ۲۸.

الكماليه دون الآخرين، كالإمام على (عليه السلام) مثلا الذى عرف بالبطوله والشجاعه والإمام الحسن (عليه السلام) الذى عرف بالحلم والصبر وكظم الغيظ والإمام الحسين (عليه السلام) الذى عرف بإباء الضيم والثوريه والشده مع العدو والإمام زين العابدين الذى عرف بالعباده والإمامين الباقر والصادق ××× الذين عرفا بالعلم.. وهكذا؟.

فنقول فى الجواب :

إن السبب فى اشتهار هؤلاء بتلك الصفات لا يعود إلى تفوق ذاتى وإلى أن هؤلاء توفرت فيهم هذه الصفات دون الآخرين أو أكثر من الآخرين. كلا، فالشجاعه التى كانت فى الإمام على (عليه السلام) مثلا مثلها تماما كان فى الحسن والسجاد والباقر والصادق ××× وغيرهم.. وكذلك الحلم الذى كان فى الحسن وإباء الضيم والثوريه اللذان كانا فى الحسين وهكذا وعلى هذا القياس .. .

وإنما السبب فى ذلك أى فى اشتهار بعضهم ببعض الصفات الكماليه دون البعض الآخر يعود بصوره رئيسيه إلى الظروف الخاصه والمقتضيات الزمنيه التى عاشها كل منهم، فالإمام على (عليه السلام) عاش فتره خاصه وظروف معينه اقتضت منه أن يبرز شجاعته ويظهر بطولته بسبب الحروب التى خاضها دفاعا عن الإسلام وصيانه له مع الرسول (صلى الله عليخ و آله) وبعد الرسول (صلى الله عليخ و آله) وأى واحد من الأئمه (عليهم السلام) لو كان فى عصر الإمام على وفى مثل ظروفه ومسؤولياته لأظهر من الشجاعه مثل ما أظهره الإمام على (عليه السلام).

وأما الحسن (عليه السلام) فبالعكس فإنه عاش فى ظرف كانت مصلحه الإسلام تقتضى منه المسالمه والمصالحه والصبر فلذلك عرف بالحلم.

لكن الحسين (عليه السلام) كانت ظروفه تفرض غير ذلك أى الاعتماد على الشده والثوره ورفض أى مسالمه ومصالحه مع حكام عصره لذلك عرف بالإباء والثوريه والصلابه والعزيمه .

وأى إمام آخر لو كان بمكان الحسين وفى عصره وظروفه لما كان يعمل إلا ما عمله الحسين (عليه السلام) وما قام به من الثوره والتضحيه حسب ما شرحنا ذلك فى بعض الفصول السابقه .

أما عصر الإمام الباقر وابنه جعفر الصادق فإنه كان يتطلب منهما الاعتماد

على نشر العلم وبث الوعى العلمى وإرسال البعثات العلميه وفتح المدارس والدورات الدراسيه لمكافحه الدسائس الفكريه والتطرف العقائدى والفلسفات الماديه التى تسربت إلى المسلمين بحكم اتصالهم بالأمم والشعوب الأخرى لذلك فلقد أسسا أكبر جامعه علميه فى العالم الإسلامى حيث انتمى إليها أكثر من أربعه آلاف طالب . ومن هنا عرفا بالعلم وكثره الأحاديث والأخبار التى رويت عنهما، حتى روى راو واحد عن الإمام الباقر (عليه السلام) ثلاثين ألف حديث وهو جابر الجعفى وهكذا .. وكل من الأئمه (عليهم السلام) لو كان بمكانهما لعرف بمثل ما عرفا به ونشر من العلم مثل ما نشر الباقر والصادق ×××.

والخلاصه أن من الغلط الفاحش والخطأ الكبير ما يظنه البعض من أن اشتهار بعض الأئمه ببعض الصفات كانت بسبب ذاتى وملكات خاصه ومواهب فطريه معينه. كلا ليس كذلك .. فثوريه الحسين وإبائه للضيم وشدته مع الأعداء مثلا ليست ناشئه عن حراره دمويه ومزاج عصبى خاص به ولا من كبت نفسى كما يزعم الكتاب الجاهلون بحقيقه الحسين (عليه السلام) ومقامه وحقيقه أهل البيت (عليهم السلام) وكذلك مسالمه الحسن (عليه السلام) وصفته السلميه وحلمه مع الأعداء لم تكن أثره لبروده دمه وهدوء أعصابهومزاج خاص به حسبما يصوره لنا بعض المتطفلين على الكتابه عن أهل البيت (عليهم السلام).

بل الحقيقه هو أن كل ما قام به الحسن أو الحسين ××× وغيرهما من أئمه أهل البيت (عليهم السلام) إنما هو شىء ناشئ ونابع عن إراده الله وأمره وإيعاز من النبى (صلى الله عليخ و آله) من قبل خدمه لمصلحه الإسلام العليا وتمشيا مع متطلبات الظرف

والأحوال ، إن أهواء النفس والعواطف والغرائز والحالات الفطريه العضويه لا تأثير لها مطلقا على تصرفات أهل بيت العصمه (عليهم السلام).

إن سيره أهل البيت وسلوكهم فى هذه الحياه كيفتها الحكمه والمصلحه لا الغرائز والأمزجه وعواطف النفس الحيوانيه، وكل حركه أو سكون أو فعل أو ترك وكل وجه من أوجه النشاط قام به أحدهم كان بوحى من الله ورسول همطابقه للكتاب والسنه، هذا ما أثبتته الأحاديث الشريفه الصحيحه عن الرسول الأكرم (صلى الله عليخ و آله), وأكدته التجارب والنتائج الواقعيه، فمن الأحاديث المؤكده قوله (عليه السلام) : «إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدأ فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض (١)، وقوله (عليه السلام) فى حق على بن أبى طالب (عليه السلام) : «على مع الحق والحق مع على يدور معه حيثما دار»(٢)

وقال (صلى الله عليخ و آله) فى دعائه يوم الغدير: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار»(٣)

وقال (صلى الله عليخ و آله) فى حق الحسن والحسين ××× : «هما إمامان قاما أو قعدا).(٤)

وأخيرا قوله (عليه السلام) : «مثل أهل بيتى فيكم كسفينه نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى».(٥)

وهناك أخبار صحيحه ومعتبره مفادها أن رسول الله خلف لأوصيائه الاثنى عشر صلوات الله عليهم خلف لهم اثنى عشر صحيفه لكل إمام منهم

١- راجع تحف العقول، ص۴۵٨

٢- الفصول المختاره: ص ٢٢۴

٣- راجع نهج الحق: ص ١٧٣

۴- روضه الواعظين: ج١ ص١۵۶

۵- راجع بحار الأنوار: ج٢٣ ص١۵۵

وصحيفته الخاصه وفيها تكاليفه المفروض عليه القيام بها فى دور إمامته. وقد عمل كل منهم على ضوء ما فى صحيفته من أوامر و نواهى وأحكام. وهذا ما أشار إليه الحسين (عليه السلام) فى حديث مع الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الأنصارى لما دخل عليه وهو فى مكه المكرمه وقال له : يابن رسول الله إنى لا أرى لك إلا أن تسالم وتصالح يزيد كما صالح أخوك الحسن (عليه السلام) معاويه من قبل فإنه كان موقف رشيده . فقال له الحسين (عليه السلام) : «يا جابر إن أخى فعل ما فعل بأمر من الله ورسوله وأنا أفعل ما أفعل بأمر من الله ورسوله .. الخبر .

وعلى كل حال فلقد عرف الحسين (عليه السلام) أكثر ما عرف بصفه الثوريه وإباء الضيم، وبلغت شهرته فى هذه الصفه حده كبيره حتى اعتبره الرأى العام قدوه الأحرار والمثل الأعلى للثوار فى العالم وسيد أباه الضيم فى التاريخ، فهذا مثلا العلامه المعتزلى عقد فصلا فى كتابه (شرح نهج البلاغه)، ذكر فيه المعروفين بإباء الضيم من العرب فى الجاهليه والإسلام، ثم يقول فى الختام: وسيد أباه الضيم جميعا والذى علم الناس كيف يختارون الموت مع العز وتحت ظلال السيوف على الحياه مع الذل هو أبو عبد الله الحسين (عليه السلام).

هذا ولا تزال بعض كلمات الحسين مبدءا وشعارا يعلنه ويرفعه كل الثوار فى كل زمان ومكان، مثل قوله (عليه السلام) : «ألا وإنى لا أرى الموت إلا سعاده والحياه مع الظالمين إلا برما..(١) وقوله (عليه السلام) : «ألا وإن الدعى ابن الدعى ركز بين اثنتين بين السله والذله وهيهات منا الذله ..»(٢) وقوله عليه : «لا أعطيكم بيدى إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد.(٣)

ومما يتحدث به المؤرخون بإعجاب من صفات الحسين عليه هى شجاعته

١- راجع مجموعه ورام: ج٢ ص١٠٢.

٢- اللهوف: ص٩٧.

٣- بحارالأنوار: ج٤٥ ، ص٧.

المدهشه التى أبداها يوم كربلاء فى ذلك الموقف الرهيب ، فقد ورد عن لسان بعض مقاتليه من جيش عمر بن سعد قوله :

والله ما رأيت مكثوره قط قد قتل ولده وأخوته وأهل بيته أربط جأشأ ولا أقوى جنان من الحسين (عليه السلام) فلقد كانت الرجال تشد عليه من كل جانب فكان يشد عليها فتهزم من بين يديه انهزام المعزى إذا حل فيها الأسد وكانوا ينكشفون عنه يمينا وشمالا كأنهم الجراد المنتشر وقد تكاملوا ثلاثين ألفا وهو وحيد فإذا أبعدهم عن المخيم عاد إلى موقفه أمام البيوت وهو يكثر من قول لا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم.

وذكر أرباب المقاتل أن الحسين (عليه السلام) حمل على الجيش فى ذلك اليوم عده حملات قتل منهم فى مجموعها ألف وتسعمائه وخمسين رجلا حتى صاح عمر بن الحجاج الزبيدى وهو أحد قاده الجيش صاح بالناس مستثيره لهم عليه قائلا : ويلكم أتدرون لمن تقاتلون، هذا ابن الأنزع البطين هذا ابن قتال العرب احملوا عليه حمله رجل واحد.

هذا كله بالإضافه إلى ما كان يكابده فى تلك الحال من العطش الشديد والجهد والإرهاق قالوا كان العطش قد أثر فى شفتيه حتى ذبلتا وأثر فى لسانه حتى صار كالخشبه اليابسه وأثر فى عينيه حتى صار يبصر ما بين السماء والأرض كالدخان وأما آلامه الجسديه والنفسيه التى تراكمت عليه حينئذ فإنها تهد الجبال، فلقد كان (عليه السلام) يعانى أشد الآلام النفسيه بسبب ثكل الأولاد وفقد الأخوه والأقارب والأصحاب والشعور بالوحده والاغترابومشاهده النساء والأطفال حيارى مدهوشين مذهولين من تراكم المصائب وألم الضما على أبواب الخيام وداخلها إلى جنب ابنه المريض المسجى على الأرض الفاقد الوعى من شده السقام.

هذا وأكثر من هذا مما يضيق البيان عن وصفه ويعجز اللسان عن ذكره

وتفصيله ومع ذلك كله فلقد كان (عليه السلام) كما وصفه السيد الحلى رحمه الله:

ركين وللأرض تحت الكماه

رجيف يزلزل ثهلانها

أقر على الأرض من ظهرها

إذا ململ الرعب أقرانها

تزيد الطلاقه فى وجهه

إذا غير الخوف ألوانها

وأضرمها لعنان السماء

حمراء تلفح أعنانها

ولما قضى للعلا حقها

وشيد بالسيف بنيانها

ترجل للموت عن سابق

له أخلت الخيل ميدانها

كأن المنيه كانت لديه

فتاه تواصل خلصانها

جلتها له البيض فى موقف

به أثكل السمر خرصانها

فبات بها تحت ليل الكفاح

طروب النقيبه جذلانها

وأصبح مشتجر للرماح

تحلى الدمامنه مرانها

فما أجلت الحرب عن مثله

صريعا يجبن ش جعانها

ص: ٧٧

لماذا يوصف الحسين (عليه السلام) بسيد الشهداء؟

من المتداول على ألسنه الشيعه أن يصفوا الحسين (عليه السلام) بسيد الشهداء ...

فهل هذا صحيح ومنطقى؟ .

نقول، أجل: لأن كلمه (شهيد) مصطلح إسلامى خاص يعنى ذلك المسلم الذى يقتل فى ساحه حرب مع أعداء الإسلام دفاعا عن الإسلام بشرط أن تكون تلك الحرب بأمر أو إذن من النبى (صلى الله عليخ و آله) أو الإمام أو نائبه الخاص أو العام.

وحكم هكذا قتيل أن لا يغسل ولا يكفن بل يصلى عليه فقط ويدفن بثيابه التى قتل فيها، ويسمى حينئذ (شهيده) لأنه يبعث يوم القيامه على هيئته التى دفن عليها وبدمائه وجراحاته فيشاهده الناس فى المحشر ويعلمون أنه مقتول فى سبيل الله تعالى . وقيل فى تسميته بالشهيد وجوه أخرى وما ذكرناه أقرب إلى الصواب. وأجر الشهيد عظيم جده عند الله سبحانه بحيث لا يوجد عمل بعد الإيمان بالله أفضل من الشهاده فى سبيله ، الشهاده كفاره لكل الذنوب ، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

ولكن ليسوا فى الفضل سواء ولا فى الأجر والمقام على مستوى واحد، بل يتفاوتون فى الفضل والمقام والدرجات حسب تفاوت مواقفهم ونياتهم، فكلما كان موقف الشهيد أشد حراجه وأكثر تأثيرا وأصعب ظروفا كان أجره أكثر ودرجته عند الله أرفع كما أنه كلما كان موقف الشهيد أكثر إخلاصا وأبعد عن

آمال النصر والغنيمه والربح المادى كان فضله أكثر، فشهداء معركه بدر مثلا أفضل من شهداء معركه أحد لهذا السبب بالذات ونحن إذا علمنا أن موقف شهداء كربلاء يوم العاشر من المحرم فاق مواقف جميع الشهداء فى العالم حراجه وشده ومن حيث النتائج والآثار لصالح الحق. إذ وقف بضع عشرات من الرجال والصبيان وهم عطاشى جياعا محصورين، أمام عشرات الآلاف من الجنود المدججين بالسلاح والمجهزين بكل وسائل القوه، هذا من حيث حراجه الموقف، وأما من حيث خلوص النيه فنحن إذا تذكرنا أن شهداء الطف لم يكن عندهم أدنى أمل ولا أقل احتمال فى الغلبه والنصر على العدو ولا فى غنيمه أو جائزه أو أى نوع من الربح المادى من وراء ذلك الموقف ، ثم إذا عرفنا أن موقفهم أحيا الدين وأبقاه وصانه من المحو وحفظه من خطر الزوال الكلى على يد أعداء الله بنى أميه كما شرحنا ذلك مفصلا فيما سبق .

أقول : إذا علمنا بكل ذلك واعترفنا به فحينئذ لا نستغرب القول بأن شهداءكربلاء وعلى رأسهم سيدهم الحسين (عليه السلام) هم سادات الشهداء فى العالم كله أى أفضلهم مقاما وأكثرهم أجره عند الله ورسوله، وإن لقب سيد الشهداء أليق وأجدر بالحسين (عليه السلام) من كل شهيد آخر الذى له فضله وأجره ومقامه العظيم عند الله تعالى أيضا.

ولابد من التنبيه إلى أنه قد تداول بين بعض الذين كتبوا عن الحسين (عليه السلام) فى عصرنا الحاضر أن يعطوا الحسين عليه لقب (أبو الشهداء) ولعلهم يظنون أن هذا اللقب أليق بمقام الحسين (عليه السلام) من لقب سيد الشهداء) وهو ظن خاطئ لأنه لا تلازم بين كون الشخص أبا الشهداء وبين كونه شهيده بذاته أيضا، وكثيرا ما يكون شخص أبا لشهداء ولكنه هو غير شهيد وغير حائز على مقام الشهاده الرفيع ، فهذا عقيل بن أبى طالب (عليه السلام) عنه مثلا قدم تسعه من أبنائه وأحفاده شهداء بين يدى الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء ولكنه هو لم يكن شهيدا

بل مات فى المدينه بعد مقتل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بضع سنوات فهو أبو شهداء وليس بشهيد، ولذا نقول إن لقب أبو الشهداء لا يدل على شهاده الحسين عليه، فضلا عن سيادته على الشهداء وبالتالى لا يشعر بهذا الشرف الرفيع والمقام المنيع الذى فاز به الحسين (عليه السلام) بالإضافه إلى أنه (عليه السلام).محور للشهداء من كل الجوانب فهو الشهيد ابن الشهيد أخو الشهيد وأبو الشهداء والشهاده سمه أبنائه وآله وأحفاده فهم كما قيل فيهم: «القتل لهمعاده وكرامتهم من الله تعالى الشهاده ١ ، ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبا». .

من المضحكات المبكيات فى عصرنا الحاضر هو التلاعب والتحريف بالمفاهيم الإنسانيه ومسخ الصفات الفاضله، ومنه تحريف كلمه الشهيد والتلاعب بمفهوم الشهاده ومسخ صفتها الإنسانيه النبيله . حتى صاروا يطلقون اسم الشهيد على مجرم يقتل بجرمه وهدام يصرع تحت أنقاض هدمه وتخريبه وانتهازى وصولى يفقد حياته القذره فى طريق أطماعه وشهواته وعميل للعدو الكافر والمستعمر الظالم يلاقى جزاء خيانته ومتهور طائش يصيبه أثر طيشه وتهوره. وهكذا.. وإذا كل هؤلاء أو بعضهم يمنحون لقب الشهداء ووسام الشهاده على صفحات الصحف والمجلات وأبواق الدعايه ووسائل النشر.

وسلام الله تعالى على الإمام أبى الحسن على أمير المؤمنين حيث تنبأ بظواهر هذا العصر فقال فى خطبه له (عليه السلام) :

سيأتى عليكم من بعدى زمان ليس فيه شىء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب ..(١)

١- راجع الكافى: ج٨ص ٣٨٦ ح ٥٨٦.

ووليس عند أهل ذلك الزمان سلعه أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه ولا فى البلاد شىء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر ...

ولأجل المزيد من الإيضاح نعود إلى أصل الموضوع فنقول أن للإسلام اصطلاحا خاصا ومفهومه مبتكره لكل من كلمه شهيد، وكلمه سيد، أما المفهوم الإسلامى الخاص لكلمه شهيد هو ما ذكرنا من أنه عباره عن المسلم الذى يقتل فى سبيل الدفاع عن الإسلام فى ساحه القتال بأمر من الرسول أو الإمام أو نائبه الخاص أو العام.

وأما المفهوم الإسلامى الخاص بالنسبه إلى كلمه (سيد) فهو عباره عن الأفضليه أو الأكمليه فى الشىء فسيد العلماء مثلا هو أكثرهم علما وأحسنهم عملا، وسيد الأنبياء هو أكثرهم فضلا وأكملهم صفات وسيد الأوصياء هو أكثرهم جهادا وأشدهم عناء وأحرصهم على حفظ الوصيه وصيانه الرساله . وسيده النساء هى أكثرهن تمسكا بواجبات المرأه وأشدهن حرصا على القيام بمسؤوليات المرأه أمام الله تعالى والمجتمع.. وهكذا وعلى هذا القياس.

فملاك السياده الإسلاميه فى أى شىء من الأشياء إنما هو فى الأكمليه والأميه والأفضليه فى ذلك الشىء، ولقد نص القرآن الكريم على تعيين هذا الملاك وهذه القاعده للسياده الإسلاميه بقوله تعالى : « أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»(۱)وإلى هذه القاعده يشير الحديث الشريف : «اليد العليا فوق اليد السفلى»، أى أن المستغنى عن الناس بعلمه وعمله وجهده المفيض عليهم من ثمرات علمه ومواهبه ، هو سيد على من هو محتاج فقير إلى الآخرين لتكاسله وإهماله،

۱- سوره يونس: ۳۵.

على حد القول المأثور لأمير المؤمنين (عليه السلام) : «أحسن إلى من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره» و بهذا الملاك استدل الخليل بن أحمد على سياده الإمام أمير المؤمنين على كافه الناس بعد رسول الله (صلى الله عليخ و آله) لما سئل ما دليلك على إمامه على بعد الرسول (صلى الله عليخ و آله) دون سائر الصحابه ؟ فقال : استغناؤه عن الكل واحتياج الكل إليه.

والخلاصه هى أن السياده فى أى شىء إنما تدور مدار الكمال الذاتى فى صفات ذلك الشىء، والشهداء أيضأ طبقه من الناس فى العالم قاموا بعمل التضحيه بالحياه فى سبيل الله تعالى فنالوا صفه الشهاده . فالحسين (عليه السلام) هو الفرد الأكمل فى القيام بهذه التضحيه كما قدمنا لذلك استحق مقام السياده بين كافه الشهداء وهو أمر طبيعى منطقى ليس فيه مبالغه ولا مغالاه...

هم أفضل الشهداء والقتلى الأولى

مدحوا بوحى فى الكتاب مبين

وقال الآخر:

فماتوا وهم أزكى الأنامى نقيبه

وأكرم من يبكى له فى المحافل

ولم تفجع الأيام من قبل يومهم

بأكرم مقتول لأئلم قاتل

لماذا هاجر الحسين (عليه السلام) من المدينه؟

قوله عز من قائل:

«إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * «فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا »(۱)

الهجره لغه عباره عن ترک بلد الإقامه إلی غیره والانتقال من الوطن الآخر، وهی تاره تکون واجبه وأخری تکون مباحه وربما تکون محرمه حسب اختلاف الغایه من الهجره والنتائج المترتبه علیها من باب أن المقدمه تتبع لدیها فی الحکم الشرعی فإذا کانت الهجره لغرض طلب علم ضروری أو أداء واجب أو التخلص من ارتکاب محرم فالهجره حینئذ واجبه وترکها یوجب اللوم والعقاب کما فی الآیه الکریمه السابقه ، حیث نزلت فی لوم جماعه من المسلمین الذین تخلفوا عن رسول الله (صلی الله علیخ و آله) فی مکه ولم یهاجرواإلی المدینه فکانوا مضطهدین فی مکه من قبل قریش فی أنفسهم ودینهم بعیدین عن معرفه

۱- سوره النساء: ۹۷-۹۹.

الأحكام والآيات التى كانت تنزل على رسول الله (صلى الله عليخ و آله) جاهلين بشرائع الإسلام وتفاصيله، فكانوا بذلك مقصرين ومعاقبين حسب صريح الآيه الكريمه السابقه وهذا الحكم سارى المفعول بالنسبه إلى كل مسلم يعيش فى بلد يضطهد فيه ولا يسعه القيام بواجباته ومسؤولياته ولا يحصل فيه على حقوقه المشروعه فإن الواجب عليه أن يهاجر إلى حيث العلم والأمان والحريه الدينيه وإلا فهو من الأعراب المذمومين فى الكتاب والسنه، لأن الأعرابى فى المصطلح الشرعى هو كل من يعيش فى بلد جاهلا لا يمكنه فيه التعلم والعمل الصالح وقيامه بمسؤولياته الشخصيه والاجتماعيه .. قال تعالى :«قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»(۱) .«الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »(۲) وفى الحديث الشريف: «سته أصناف من الناس يدخلون النار بست خصال : الأمراء بالجور، والعلماء بالحسد، والتجار بالخيانه، والدهاقين بالكبر، وأهل الرسائيق بالعصبيه، والأعراب بالجهل ... (۳)

والجهل لا يرفع المسؤوليه عن الإنسان إلا إذا كان قاصره عن المعرفه أيعاجزه عنها حقيقه وواقعا كالذين استثنوا فى الآيه الكريمه بقوله تعالى : «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * «فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا».(۴)

۱- سوره الحجرات: ۱۴.

۲- سوره التوبه: ۹۷.

۳- راجع الكافى: ج۸ ص۱۶۲ ح ۱۷۰.

۴- سوره النساء: ۹۸- ۹۹.

الواجب والحرام من أقسام الهجره:

وإذا كانت الهجره لعكس الغرض السابق أى لأجل القيام بعمل محرم من ظلم أو غصب أو ما شاكل ذلك أو أن يعلم بأن هجرته إلى ذلك البلد تفوت عليه واجبا ويضيق عليه هناك فى عقيدته ودينه فالهجره حينئذ تكون محرمه بل مجرد السفر المؤقت لأمثال هذه الغايات الفاسده يكون حرام مثل السفر للصيد لهوه أو فى ركاب ظالم وما أشبه ذلك وهو معبر عنه فى عرف الفقهاء بسفر المعصيه وإذا كانت الهجره لأمر راجح مثل التجاره المباحه والتوسع فى طلب العلم وزياره المشاهد المقدسه والحج المندوب. فالهجره مستحبه والسفر فى هذه الغايات أيضاً مستحب، وإذا كانت لأمر مرجوح شرعا تكون الهجره مكروهه كالانتقال من المدينه إلى القريه ومن البلد إلى البادیه حيث لاتتوفر فيها وسائل السعاده والراحه وفى النهى عن هكذا هجره يوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) ولده الحسن (عليه السلام) فى وصيته الكبيره قائلا : «يا بنى واسكن الأمصار العظام(١)، أى المدن الواسعه الكبيره لأنها أجمع للوازم الحياه السعيده ووسائل الراحه .

وقد أكد الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك فى الخبر الوارد عنه حيث يقول فيه : لا يستغنى أهل كل بلد عن ثلاث : فقيه ورع، وطبيب حاذق، وحاكم عادل، وإن عدموا ذلك فهم همج رعاع (٢)، أى لا يشعرون بالكرامه الإنسانيه ولا يتمتعون بلذه الحياه، فالفقيه للتوجيه والتعليم والحاكم للتنفيذ وإقامه النظام والطبيب للوقايه والعلاج من الأمراض وهذه النواحى الثلاثه هى دعائم الحياه السعيده والسعاده الاجتماعيه : العلم والصحه والأمان ...

١- نهج البلاغه: ص۴۵۹ من كتاب له (عليه السلام) ٩۶.

٢- راجع تحف العقول،ص ٣١٩

هجره الأنبياء ورجال الإصلاح:

فالخلاصه أن الهجره من المواضيع التى تخضع لكافه الأحكام الإسلاميه الخمس الوجوب والحرمه والندب والكراهه والإباحه حسب ماينتج منها من نتائج . وبعد هذا العرض الموجز للهجره ككل نأتى إلى هجره الأنبياء (عليهم السلام) لأننا نجد الهجره تكاد أن تكون ظاهره ملازمه لحياتهم الرساليه فقل أن نجد نبيه لم يهاجر من بلد إلى بلد ولم ينتقل من محيط إلى آخر فهذا خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) بعث فى العراق ثم هاجر إلى مصر ثم انتقل إلى الشام وفلسطين واستقر بها إلى أن مات ثم من بعده يعقوب وأولاده ثم موسى الكليم هاجر من مصر إلى مدين ثم عاد إليها ثم هاجر نحو الشام. وهذا عيسى بن مريم (عليه السلام) كان لا يستقر فى بلد حتى لقب بالمسيح وأخيرا خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليخ و آله) هاجر من مكه أولا إلى الطائف ثم هاجر إلى المدينه واستقر بها إلى أن قبض، ثم هاجر وصيه وخليفته على (عليه السلام) من المدينه إلى الكوفه.

الهجره إذا ظاهره مألوفه فى حياه الأنبياء والمرسلين والمصلحين فلماذا هاجر هؤلاء ومن أى قسم من أقسام الهجره كانت هجرتهم؟ طبعا بدون شك أن هجره الأنبياء كانت واجبه ومفروضه عليهم من الله سبحانه تمشيه منهم مع متطلبات رسالته ، حيث كانوا لا يجدون القدره الكافيه فى أوطانهم على تبليغ رسالاتهم نظره للعراقيل والعقبات التى وضعها المعارضون فى طريقهم ولما كان يتهددهم من خطر القتل على أيدى أعدائهم قبل أداء وتبليغ دعوتهم لذا كان لازمه عليهم أن يتركوا الأوطان إلى بلاد أخرى يستطيعون فيها القيام بمسؤولياتهم.

سيره الإمام الحسين امتداد لسيره الأنبياء:

والحسين (عليه السلام) وإن لم يكن نبيه إلا أنه قام بمهام الأنبياء وصبر كما صبر أولو العزم من الرسل مسئوليته امتداد لمسئوليه جده وأبيه حيث أنيطت به

مسؤوليه أداء رساله الإسلام وصيانتها من كل زيف و تحريف كما صرح هو (عليه السلام) على تحمله لهذه المسئوليه بقوله فى عهده لأخيه محمد بن الحنفيه... وإنى لم أخرج أشره ولا بطره ولا ظالمه ولا مفسده وإنما خرجت لطلب الإصلاح فى أمه جدى محمد ولا أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيره جدى وأبى.. (١)فهو إذا شعر بأنه مسئول عن أن يسير بسيره جده المصطفى وأبيه على المرتضى.

فهاجر (عليه السلام) من المدينه فرارا من كيد آل أبى سفيان ومؤامراتهم ضده تماما كما هاجر جده محمد (صلى الله عليخ و آله) قبله بستين عاما من مكه فرارا من كيد أبى سفيان وحزبه . السبب فى الهجرتين واحد والغايه واحده . فالنبى (صلى الله عليخ و آله) هاجر خوفا من القتل المحتم الذى كان ملاقيه لو لم يهاجر وذلك على يد أربعين رجلا من قريش بتدبير من أبى سفيان وحزبه الذين عزموا على قتل محمد (صلى الله عليخ و آله) تلك الليله المعبر عنها بليله الهجره بقصد قتل الرساله الإسلاميه فى مهدها ومنع انتشارها.

التشابه بين هجره الحسين (عليه السلام) وهجره جده محمد (صلى الله عليخ و آله) :

كذلك الحسين (عليه السلام) هاجر من المدينه ليلا خوفا من أن يقتل على يد أعوان وعمال يزيد الذى أرسل أوامره المشدده إلى واليه على المدينه يأمره بقتل الحسين (عليه السلام) فوره وبدون تردد وإرسال رأسه إليه إن هو لم يبايع. وذلك أيضا الخنق صوت المعارضه فى مهدها ومنعها من الانتشار.

وكما أن هجره محمد (صلى الله عليخ و آله) أنتجت توسعه كبيره فى الرساله المحمديه فى أنحاء الجزيره العربيه وبلغ صداها إلى أنحاء أخرى من العالم وبعدها ببضع

١- المناقب: ج۴ ص۸۹.

سنوات فقط انهارت زعامه أبى سفيان تمام بفتح مكه ...

كذلك كانت هجره الحسين (عليه السلام) فإنها كسرت الحصار الذى ضربه آل أبى سفيان حول المعارضه الحسينيه فعلا صوتها وبلغ صداها إلى أنحاء العالم الإسلامى وما مضت عليها إلا بضع سنوات حتى انهار سلطان آل أبى سفيان وتقوضت أركان الدوله السفيانيه انهياره كليا بموت معاويه الثانى بعد ثلاثه أشهر من موت يزيد ثم قامت على أنقاضها دوله مروانيه بقياده مروان بن الحكم. وكل ذلك بعد هجره الحسين (عليه السلام) بأقل من خمس سنوات .

حق ما أقرب الشبه وأشد التطابق والتقارب بين الهجرتين فى العوامل والثمرات ... بل وحتى فى الحالات النفسيه، فليله الهجره كانت أشد ليله على النبى (صلى الله عليخ و آله) مرت فى حياته من حيث الهموم والأفكار والقلق النفسى حتى أنزل الله تعالى عليه سكينته وهو فى الغار حسب صريح الآيه الكريمه (سوره التوبه: ۴۰): (إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصحبه، لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده. بجنودهم لم تروها).

وكذلك الحسين (عليه السلام) حيث يصف الواصفون أن ليله هجرته من المدينه كانت أشد الليالى عليه فى حياته لما كان يعانيه تلك الليله من الحيره والقلق والتفكير فى المستقبل والمصير. لذا كان (عليه السلام) يتردد على حرم جده رسولالله و يناجى ربه ويشكو إلى جده ما يعانيه ويقول فى مناجاته مع الله سبحانه بعد أن صلى ركعات فى الحرم ثم رفع طرفه نحو السماء وقال... اللهم إن هذا قبر نبيك محمد (صلى الله عليخ و آله) وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرنى من الأمر ماقد علمت اللهم إنى أحب المعروف وأنكر المنكر وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لى ما هولك رضى ولرسولك رضى ... ثم بكى عليه السلام... ووضع رأسه على قبر جده وقال : يا رسول الله أنا

الحسين بن فاطمه فرخك وابن فرختك وسبطك الذى خلفتنى فى أمتك فاشهد عليهم يا نبى الله أنهم قد خذلونى وضيعونى ولم يحفظونى وهذه شكواى إليك حتى ألقاك ... قالوا: وغفت عينا الحسين ورأسه على قبر النبى (صلى الله عليخ و آله) فرأى جده رسول الله فى كتيبه من الملائكه عن يمينه وشماله وبين يده فضم الحسين إلى صدره وقبله ما بين عينيه وقال له حبيبى يا حسين كأنى أراك عن قريب مرملا بدمائك مذبوحا بأرض كرب و بلاء بين عصابه من أمتى وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى وظمأن لا تروى وهم بعد ذلك يرجون شفاعتى لا أنالهم الله شفاعتى يوم القيامه .

حبيبى يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قدموا على وهم مشتاقون إليك . فبكى الحسين (عليه السلام) فى منامه وقال : يا جداه خذنى معك وأدخلنى فى قبرك فلاحاجه لى فى الرجوع إلى الدنيا ...(۱)

ضمنى عندك يا جداه فى هذا الضريح

علنى يا جدى من بلوى زمانى أستريح

ضاق بى يا جد من رحب الفضا كل فسيح

فعسى طود الأسى يندك بين الدكتين

فقال له الرسول (صلى الله عليخ و آله) : يا بنى لابد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهاده لتنال ماقد كتبه الله لك من الأجر والثواب العظيم. فانتبه الحسين (عليه السلام)وقص رؤياه على أهل بيته فاشتد حزنهم وكثر بكاؤهم حتى ورد عن سكينه بنت الحسين (عليه السلام) قالت : لم يكن فى شرق الأرض وغربها أهل بيت أشد خوفأ وهما وغما منا آل بيت رسول الله (صلى الله عليخ و آله) . ولله در السيد حيدر

۱- راجع بحار الأنوار: ج۴۴، ص۳۲۶

الحلى حيث قال :

من أين تخجل أوجه أمويه

سكبت بلذات الفجور حيائها

مابل أوجهها الحيا ولو أنها

قطع الصفابل الحيا ملسائها

قهرت بنى الزهراء فى سلطانها

واستأصلت بصفاحهاأمرائها

ملكت عليها الأمر حتى حرمت

فى الأرض مطرح جنبها وثوائها

ضاقت بها الدنيا فحيث توجهت

رأت الحتوف أمامها وورائها

فاستوطنت ظهر الحمام وحولت

للعز عن ظهر الهوان وطائها

ص: ٩٢

لماذا حمل الحسين (عليه السلام) عياله وأطفاله فى هجرته الثوريه؟

فى نهضه الحسين (عليه السلام) نقاط استفهام كثيره لدى شبابنا اليوم لأنها نهضه فريده من نوعها غريبه فى مظاهرها حسب مظهرها الخارجى. هذا ولا يسعهم تفسيرها بأعمال تهوريه عاطفيه وحملها على خلوها من الحكمه والمصلحه. لا يسعهم ذلك طبعا لأن الذى قام بها رجل أقل ما يقال فيه أنه شخصيه عالميه كبيره خالده ذو حكمه ودهاء استطاع بحكمته وسياسته أن يؤثر فى مجرى التاريخ الإسلامى ويخلد لنفسه ذكره رفيعه واسعه عبر القرون والأجيال هذا فضلا عن كونه إمام معصوم من الخطأ والغلط حسب النصوص النبويه الشريفه . فإذا لا بد أن تكون هناك حكمه وراء تلك التصرفات وهى كذلك بالفعل. وها نحن نتعرض لأهم تلك النقاط بالبحث والتحليل لنوقف أبناء جيلنا الأعزاء على أسرار تلك الثوره المقدسه والتضحيه المثاليه رجاء أن يتأثروا بها ويستوحوا مبادئها وأهدافها ويسيروا على أضوائها وهديها المبارك إن شاء الله تعالى .

تحدثنا فى الفصول السابقه عن أول حلقه فى سلسله الحركه الحسينيه وهى:لماذا عارض الحسين (عليه السلام) خلافه يزيد وأعلن العصيان والخلاف على حكومه الأمويين القويه المسيطره بكل وسائل القوه والقدره؟ أعلن ذلك بامتناعه من

البيعه ليزيد بن معاويه رغم ضعفه (عليه السلام) ماديه وعسكريه إلى أقصى حدود الضعف.

وتحدثنا أخيره حول الحلقه الثانيه فى تلك السلسله وهى ... لماذا ترك الحسين (عليه السلام) مدينه جده رسول الله (صلى الله عليخ و آله) , وهاجر عنها وهو أشرف إنسان فيها وأعز فرد على أهلها ...

والآن نبدأ بالحديث عن ثالث نقاط الاستفهام. والسؤال حولها.

وهو: لماذا حمل الحسين (عليه السلام) معه النساء والعائله والأطفال وهو خارج فى معارضه دوله ومكافحه حكومه فعرض تلك العقائل للأسر والسبى والتشريد وغير ذلك؟

والجواب عن هذا السؤال : هو أن الحسين (عليه السلام) حامل رساله هو مسئول عنها وعليه أن يؤديها إلى العالم الإسلامى وخرج من المدينه لهذه الغايه فلو كان قد ترك العائله فى المدينه لعرض تلك العقائل لخطر الأسر والسبى من قبل الأمويين ومعلوم أن الرجل الغيور لا يسعه الصبر مهما كان وهو يرى عائلته فى أسر العدو لا بد له حينئذ أن يستسلم للعدو لأجل إنقاذ عياله وقدكان من صور الإرهاب فى سياسه الأمويين أنه إذا هرب رجل من قبضتهم يلقون القبض على نسائه وعائلته حتى يضطر فيسلم نفسه إليهم. كما فعلوا بزوجه عمرو بن الحمق الخزاعى لما هرب من الكوفه عندما طلبه زياد ليقتله فكتب معاويه إليه أن أحمل إلى زوجته فألقى زياد القبض على زوجته آمنه بنت رشيد رحمهما الله وحملها أسيره إلى معاويه فأمر بها إلى السجن فسجنت حتى جيء برأس زوجها عمرو إلى الشام بعد أن ألقى القبض عليه فى غار قرب الموصل من قبل والى معاويه عليها. وطعن بتسع طعنات ثم قطع رأسه و حمل على قناه إلى معاويه فى الشام فقال معاويه للحرسى أنطلق بهذا الرأس و ضعه فى حجر زوجته آمنه واحفظ ما تقول فلم تشعر وهى السجن إلا ورأس زوجها عمرو فى

حجرها فضمته إلى صدرها وبكت وقالت غيبتموه عنى طويلا وأهديتموه إلى قتيلا فأهلا وسهلا بها من هديه غير قاليه ولا مقليه ثم قالت للحرسى أبلغ معاويه عنى ما أقول وقل له أيتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك وعجل لك الويل من نقمه وطلب منك بدمه فلقد جئت شيئا فريه وقتلت باره تقيه . فلما سمع كلامها أمر بإحضارها فى المجلس فأحضرت وصار يشتمها ويتهددها ...(١)

وكما فعلوا بزوجه المختار بن أبى عبيده الثقفى لما هرب من سجن ابن زياد فألقى القبض على زوجته وزجها فى السجن إلى أن اجتمع قومها عندهو تشفعوا فيها فأطلقها .

والشواهد التاريخيه على هذه السياسه اللاإنسانيه عند الأمويين واتباعهم كثيره جدا والحسين كان يعرفها منهم تماما ويعلم يقينا أنه بمجرد أن يخرج من المدينه . فى اليوم التالى يلقى الأمويون القبض على عقائل الرساله ويحملوهن سبايا إلى يزيد فى الشام فكيف يستطيع الحسين (عليه السلام) حينئذ أن يؤدى رسالته ويستمر فى معارضته وثورته . حتما كان لا يسعه ذلك أبدا. فالسبى لا بد منه لتلك العقائل سواء أخذهن معه أو إبقائهن فلم لا يأخذهن معه ليؤمن الضغط عليه من جهتهن ويؤدى رسالته بحريه واطمئنان ويدافع عنهن مادام فيه عرق ينبض وهكذا كان فإذا قتل فلقد قضى ما عليه ويبقى ما عليهن... هذا أحد وجوه الحكمه فى عمله هذا والوجه الآخر الذى لا يقل دلاله على بعد نظر الحسين (عليه السلام) وعمق حكمته. هو أن الحسين (عليه السلام) يعرف أنه إذا قتل لا يوجد رجل فى العالم الإسلامى يمكنه أن يتكلم بشىء ضد سياسه الأمويين مهما كان عظيمه حيث أنهم قطعوا الألسن وكموا الأفواه فكان قتله يذهب سدى وقد لا

١- راجع الغدير للعلامه الأمينى: ج١١ ص٤٤.

يعرف أحد من المسلمين ما جرى عليه ، حيث أن وسائل الإعلام كلها كانت محصوره بأيدى الدوله من شعراء وخطباء ورواه وقصاصين، وفعلا- كانأناس يعيشون فى الكوفه ولا- يعلمون بما جرى ومن تكلم بشىء فمصيره القتل كما فعل بهانى بن عروه وعبد الله بن عفيف الازدى . فأراد الحسين (عليه السلام) أن يحمل معه ألسنه ناطقه بعد قتله لتنشر أنباء تلك التضحيه فى العالم الإسلامى ومذياعه سياره يذيع تفاصيل تلك المأساه الإنسانيه والجرائم الوحشيه فلم يجد سوى تلك المخدرات والعقائل اللواتى سبين وسيرن بعد الحسين فى ركب فظيع مؤلم يجوب الأقطار يلقين الخطب فى الجماهير وينشرن الوعى بين المسلمين وينبهن الغافلين ويلفتن أنظار المخدوعين ويفضحن الدعايات المضلله حتى ساد الوعى وتنبه الناس إلى فظاعه الجريمه وانهالت الاعتراضات والانتقادات على يزيد والأمويين من كل الفئات والجهات وبات يزيد يخشى الانفجار والانقلاب حتى فى عاصمه دولته الشام وصار يظهر التنصل والندم ويلقى التبعه واللوم على ابن زياد وأخيرا اضطر أن يغير سياسته تجاه أهل البيت فأحسن إليهم وأكرمهم وصار يتطلب عفوهم ومرضاتهم بالأموال وغيرها . كل ذلك بفضل الخطب والبيانات التى صدرت من تلك العقائل فى المجالس والمجتمعات وبفضل المظاهر المشجيه التى سار بها ركب السبايا من بلد إلى بلد ومن مجلس إلى مجلس مما جعل الرأى العام يعطف على قضيه أهل البيت (عليهم السلام) ويشجب جرائم أعدائهم فكان فى ذلك نصره كبيره لحق آل محمد ونشره للتشيع لهم فى العالم. فالواقع الذى يجب أن نؤكده هو أن زينب العقيله شريكه أخبها الحسين (عليه السلام) فى ثورته سواء بمؤازرتها له فى حياته أو بقيامها بمسئوليه الدعوه والتوعيه بعد شهادته فلولا سبى النساء لكانت ثوره الحسين عقيمه الأثر لا تذكر إلا فى بطون بعض كتب التاريخ كتبأ بسيط مشوه عن حقيقته تمام التشويه كما شوه التاريخ قضايا كثيره هامه جدا لأنها لم تحصل على القدر الكافى من

النشر والبيان والتعقيب مثل حادثه يوم غدير خم وقد بلغ من أثر الإهمال والإخفاء لواقعه غدير خم أن بعض الكتاب يذكرها بأنها واقعه من وقائع العرب فى الجاهليه . أجل هكذا يضيع الحق ويخفى الواقع إذا لم تتوفر له الدعوه الكافيه كقضايا وفاه الرسول الأكرم (صلى الله عليخ و آله) وما جرى على ابنته فاطمه وآل البيت بعد وفاته من غصب وهضم للحقوق واعتداء على الحرمات والكرامات .. وغيرها .

وبعد أن تبينا هذين الوجهين من وجوه الحكمه فى حمل الحسين (عليه السلام) للعيال معه نختم هذا الفصل بذكر هذا الوجه الثالث وهو لا يقل أهميه عن الوجهين السابقين ألا وهو الحفاظ على حياه الإمام زين العابدين (عليه السلام) إذ لا شك فى أنه لولا وجود العقيله زينب (عليها السلام) لقتل زين العابدين بعد قتل الحسين (عليه السلام) حتما . حيث تعرض الإمام (عليه السلام) للقتل مرتين المره الأولى يوم عاشوراء لما هجم الأعداء على مخيم الحسين (عليه السلام) ودخل الشمر على زين العابدين وهو مريض لا يفيق من شده المرض فجذب النطع من تحته وقلبه على وجهه ثم جرد السيف ليقتله فانكبت عليه عمته زينب (عليها السلام) واعتنقته وصاحت إن أردتم قتله فاقتلونى قبله وبينما هى كذلك إذ دخل عمر بن سعد الخيمه فلما نظر إلى العقيله زينب منكبه عليه قال للشمر دعه لها فإنه لما به فتركه. والمره الثانيه فى مجلس عبيد الله ابن زياد لما نظر إلى الإمام (عليه السلام) وقال له من أنت قال أنا على بن الحسين قال اللعين أوليس قد قتل الله عليه فقال الإمام (عليه السلام) كان لى أخ أكبر منى يسمى على قتله الناس يوم كربلاءفقال ابن زياد بل الله قتله فقال الإمام الله يتوفى الأنفس حين موتها فغضب ابن زياد وقال أو بك جرأه على رد جوابى . غلمان جروا ابن الخارجى واضربوا عنقه فقامت الجلاوزه وسحبوا الإمام إلى القتل فقامت العقيله زينب (عليها السلام) ورمت بنفسها عليه وصاحت يا بن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت فاترك لنا هذا العليل وان كنت قد أردت قتله

فاقتلنى قبله قالوا فنظر إليها ابن زياد وقال عجبا للرحم أنها والله لتود أن تقتل دونه فاتركوه لها فإنه لما به . فتركوه .(۱)

فإن قلت لماذا أخرج الحسين (عليه السلام) ابنه زين العابدين معه وهو مريض عليل؟

قلت أن زين العابدين (عليه السلام) لم يكن مريضا عند خروجه من المدينه ولا من مكه ولا فى أثناء الطريق وإنما بدأ فيه المرض لما نزلوا أرض كربلاء وأخذ المرض يتزايد فيه حتى بلغ معه إلى أقصى شدته يوم عاشوراء وفى ذلك عنايه خاصه من الله تعالى وهى أن لا تبقى الأرض خاليه من الإمام إذ لولا مرضه (عليه السلام) لكان الواجب يفرض عليه الدفاع عن أبيه الحسين (عليه السلام) والاستشهاد بين يديه .

والخلاصه .. إن فى حمل العيال وإخراج النساء معه مصالح وحكم وتلك بعضها أو أهمها وقد أشار الحسين (عليه السلام) إلى تلك المصالح والحكم بكلمته الإجماليه المعروفه «قد شاء الله أن يراهن سبايا (۲)، وهو جواب مقتضب ولميشأ فى تلك الساعه أن يفصح عن الهدف لئلا يستفيد الخصم من كلامه فيكون ذلك حائلا دون الوصول بالثوره إلى أهدافها، قالها للذين سألوه ما معنى حملك لهذه النسوه... فأشاعه الله تعلقت بإحياء دينه وحفظ قرآنه وإبقاء شريعته . ولما لم تكن هناك وسائل طبيعيه لهذه الغايه سوى استشهاد الحسين وصحبه وسبى زينب (عليها السلام) وأخواتها لذا فقد تعلقت إرادته سبحانه عرضا بقتل الحسين وسبى النساء تماما كما قال الحسين (عليه السلام) لقد شاء الله أن يرانى قتيلا وقد شاء الله أن يراهن سبايا .

ولنعم ما قاله بعض الأدباء :

۱- راجع بحار الأنوار: ج۴۵ ، ص۱۱۷.

۲- راجع بحار الأنوار: ج۴۴ ، ص۳۴۶

وتشاطرت هى والحسين بنهضه

حتم القضاء عليهما أن يندبا

هذا بمعترك الرماح وهذه

فى حيث معترك المكاره فى السبا

ولذلك نجد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) اشترط على زوج العقيله زينب وهو ابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب لما زوجه بابنته زينب اشترط عليه شرطه ضمن العقد أن لا يمنعها من الخروج مع أخيها الحسين (عليه السلام) إليالعراق . وهذا يكشف عن مدى بعد النظر وسعه علم الإمام (عليه السلام) بما سيجرى و بالمصالح التى تترتب على مشاركه زينب للحسين فى ثورته .

ولم تزل تلك العقائل بعد الحسين وعلى رأسهن زينب (عليها السلام) لم يزلن يؤلبن النفوس ضد الحكم الأموى الغاشم ويهيجن الرأى العام ضد يزيد بن معاويه وذلك بعقد المجالس و بالندبه وتعداد الجرائم والموبقات التى صدرت من الفئه الحاكمه تجاه آل الرسول. حتى ضاق يزيد ذرعه بهن وأمر بإبعاد العقيله زينب من مدينه جدها رسول الله (صلى الله عليخ و آله) فأبعدوها إلى مصر على أشهر الأقوال فعاشت فى مصر مده حياتها بعد الحسين نادبه باكيه داعيه إلى الحق حتى التحقت بأخيها ودفنت هناك فكانت أول لاحقه بالحسين (عليه السلام) من أهل بيته فسلام عليها يوم ولدت ويوم شاركت فى أقدس ثوره ويوم توفيت مناضله بطله ويوم تبعث إلى الله لتشكو إليه ظلم الأمه وغدرها وانقلابهم على الأعقاب . وفى الختام نسأل البارى جل شأنه أن يتغمد شيخنا العلامه الأصفهانى بواسع رحمته حيث يقول فى أرجوزه له فى العقيله الكبرى (عليها السلام):

مليكه الدنيا عقيله النسا

عديله الخامس من أهل الكسا

شريكه الشهيد فى مصائبه

كفيله السجاد فى نوائبه

بل هى الناموس رواق العظمه

سيده العقائل المعظمه

أم الكتاب فى جوامع العلا

أم المصاب فى مجامع البلا

رضيعه الوحى شقيقه الهدى

ربيبه الفضل حليفه الندى

ص: ۹۹

ربه خدر القدس والطهاره

فى الصون والعفاف والخفاره

ما ورثته من نبى الرحمه

جوامع العلم أصول الحكمه

سر أبيها فى علو الهمه

والصبر فى الشدائد الملمه

بيانها يفصح عن بيانه

كأنها تفرغ عن لسانه

فإنها وليده الفصاحه

والدها فارس تلك الساحه

وما أصاب أمها من البلا

فهو تراثها بطف كربلا

لكنها عظيمه بلواها

من الخطوب شاهدت أدهاها

وما رأت بالطف من أهوالها

جل عن الوصف بيان حالها

وسوقها إلى يزيد الطاغيه

أشجى فجيعه وأدهى داهيه

أمامها رأس الإمام الزاكى

وخلفها النوائح البواكى

أتوقف الحره من آل العبا

بين يدى طليقها واعجبا

وقد أبانت كفر ذاك الطاغى

بأحسن البيان والبلاغ

حنت بقلب موجع محترق

على أخيها فأجابها الشقى

يا صيحه تحمد من صوائح

ما أهون النواح على النوائح

ص: ١٠٠

لماذا توجه الحسين (عليه السلام) بهجرته فی البدایه إلی مکه المکرمه؟

قوله تعالی :«وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْیَنَ قَالَ عَسَی رَبِّی أَنْ یَهْدِیَنِی سَوَاءَ السَّبِیلِ»(۱)

هذه الآیه الکریمه تمثل بها الحسین (علیه السلام) عندما دخل إلی مکه مهاجره من مدینه الرسول (صلی الله علیخ و آله) وذلک فی الخامس من شعبان سنه ۶۰ من الهجره، وتوجه الحسین (علیه السلام) بنهضته المبارکه إلی مکه وحلوله فیها أمر معقول و مشروع للغایه یقره الشرع والعرف السیاسی. أما من الناحیه الشرعیه فإنه یجب علی الإنسان أن یحل بلده یمکنه فیه القیام بواجباته مع الحفاظ علی حیاته ما أمکن، ومکه المکرمه هی البلد الوحید فی ذلک الیوم الذی یتمکن فیه الحسین (علیه السلام) الجمع بین هذین الأمرین معا. لأنه حرم مقدس ومأمن لکل شیء حتی الحیوان والطیر والنبات بنص الکتاب العزیز «وَمَنْ دَخَلَهُ کَانَ آمِنًا (۲) حتی قاتل النفس المحرمه إذا دخل مکه آمن علی حیاته من القصاص. نعم یضیق علیه حتی یخرج عنها ثم یقتص منه .

۱- سوره القصص: ۲۲.

۲- سوره آل عمران: ۹۷.

وأما من الناحيه السياسيه فإن الحسين (عليه السلام) قائم بثوره فكريه إصلاحيه وهى بحاجه إلى إعلام ودعوه وأنصار . ولا شك أن مكه يومئذ أنسب بلد للقيام بذلك كله لأنها مختلف الناس وممر المسلمين من جميع الأقطار وكل

حدث يحدث فى مكه ينعكس صداه فوره فى كافه الأقطار الإسلاميه وتسير به الركبان إلى جميع العالم الإسلامى وكل دعوه تنبثق فى مكه سرعان ما تصل إلى أسماع المسلمين فى كل مكان. وفعلا استطاع الحسين (عليه السلام) بفضل إقامته فى مكه أن يبلغ أنباء ثورته على الحكم الأموى إلى أكثر الأقطار ويتصل بكثير من الوجوه والزعماء والوفود. ولذا فقد اجتمع له فى خلال تلك المده بين السنه آلاف والعشره آلاف رجل وهم الذين تفرقوا عنه أثناء الطريق عندما ظهر لهم غدر أهل الكوفه بالحسين (عليه السلام) وفى خلال تلك المده تسلم أثنى عشر ألف كتاب دعوه من أهل العراق بالتوجه إليهم. وعلى كل حال كان فى إقامه الحسين (عليه السلام) فى مكه المكرمه دعما كبيرا لقضيته وإعلانا واسعا عن ثورته ولكن الذى حدث بعد ذلك وجعل الحسين يضطر إلى الخروج من مكه بكل سرعه واستعجال. هو أن الأمويين قرروا هتك حرمه مكه وانتهاك كرامتها وصمموا على قتل الحسين فيها ولو كان متعلقا بأستار الكعبه. واتخذوا لذلك جميع الإجراءات فبعث يزيد جيشأ يتألف من ثلاثين ألف رجلا فأحاط بمكه خوفا من أن يقوم الحسين بثوره مسلحه فيها ضدهم وعزل والى مكه وعين مكانه عمرو بن سعيد الأشدق المعروف بعدائه الشديد للهاشميين وضم إليه إماره الحرمين مكه والمدينه حيث كان قد عزل والى المدينه أيضا لتهاونه فى أمر الحسين ولم يعجل فى قتله قبل خروجه من المدينه .

وبالإضافه إلى ذلك كله بعث ثلاثين جاسوسه اندسوا مع الحجاج (لغرضقتل الحسين) أينما وجدوه ولو كان معلقا بأستار الكعبه. ولو تأخر الحسين ، مع ذلك فى مكه لمده قليله أخرى لقتل غيله على يد أولئك الجواسيس والذهب

دمه هدره وعفى أثر الجريمه تماما ولأنكر قتله نهائيا و بتاتا، ولذهبت ثورته المقدسه أدراج الرياح بدون أثر وقبل أن يقوم بتلك التضحيات التى هزت ضمير العالم وزلزلت العرش تحت أقدام آل أبى سفيان. إن الحسين لم يخرج من المدينه أو مكه هربا من القتل من حيث هو لأنه كان يعلم أن مصيره القتل على كل حال خرج أو لم يخرج ولكن هرب من القتل قبل الأوان من القتل قبل أداء الواجب أو قل هرب من قتله عقيمه وهرب أيضا من شىء آخر، وهو هتك حرمه البيت الحرام بسببه كما صرح بذلك لبعض المعترضين عليه بالخروج فقال (عليه السلام) :

إنى أحب أن أقتل خارج مكه بباع خير من ذراع لئلا أكون الذى تستباح به حرمه هذا البيت».

وما انتهكت حرمه مكه والبيت الحرام منذ أن حرمهما الإسلام إلا على يد الأمويين فهم أول من هتكوا الحرمات وسحقوا المقدسات فكره الحسين (عليه السلام) أن يكون دمه أول دم يسفك فى البيت وأول إنسان به تهتك حرمه الحرم. لذا خرج يوم الترويه أى يوم الثامن من ذى الحجه حيث لم يتمكن من إتمام الحجفطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروه وأحل من إحرامه وجعلها عمره مفرده . قال الفرزدق الشاعر حججت بأمى سنه ستين للهجره فبينا أنا أسوق بعيرها وقد دخلت الحرم وإذا بقطار خارج من مكه فقلت لمن هذا القطار فقيل للحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام) فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له يابن رسول الله ما الذى أعجلك عن الحج فقال (عليه السلام) يا عبد الله لولم أعجل الأخذت . وقال لسائل آخر إن بنى أميه لا يدعوننى حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفى . (١)

١- راجع الإرشاد للمفيد: ج٢ ص٧۶.

والخلاصه: لقد أصاب (عليه السلام) وعمل بمقتضى الحكمه فى توجهه أولا إلى مكه ثم فى خروجه منها بعد أن أحدق به خطر القتل. فهو (عليه السلام) بدخوله إلى مكه وإقامته فيها طيله أربعه أشهر مهد لثورته المقدسه تمهيدا إعلاميه ودعائيه كاملا. وبخروجه منها حفظ حياته للقيام بمهام الثوره من حيث العمل والتطبيق. وأخيره فهذه حياه المصلحين الأحرار حياه تشريد ومطارده وخوف واضطهاد ولله در الحاج مجيد الحلى رحمه الله حيث قال:

أيطيب عيش وبن فاطمه

نهبت حشاه البيض والسمر

تالله لا أنساه مضطهده

حتى يضم عظامى القبر

ومشردا ضاق الفضا به

فكان لا بلد ولا مصر

منع المناسك أن يؤديها

بمنى فكان قضائها النحر

إن فاته رمى الجمار فقد

أذكى لهيب فؤاده الجمر

يسعى لأخوان الصفاء وهم

فوق الصعيد نساءك جزرو

ويطوف حول جسومهم وبه

انتظم المصاب ودمعه نثر

أفديه مستلمه بجبهته

حجره إذا مافاته الحجر

كيف وثق الحسين بأهل الكوفه ولماذا خرج إليهم؟

للشيخ صالح الكوازره :

إذا ما سقى الله البلاد فلا سقى

معاهد كوفان بنوء المرازم

أتت كتبهم فى طيهن كتائب

وما رقمت إلا بسم الأراقم

لخير إمام قام فى الأمر فانبرت

له نكبات أقعدت كل قائم

أن أقدم إلينا يا بن أكرم من مشى

على قدم من عربها والأعاجم

فكم لك أنصاره لدينا وشيعه

رجالا كرامه فوق خيل كرائم

فودع مأمون الرساله وامتطى

متون المراسيل الهجان الرواسم

وجشمها نجد العراق تحفه

مصاليت حرب من ذوابه هاشم

يتساءل الكثيرون ممن يستمع إلى سيره الحسين ، ويقول واعجبا كيف وثق الحسين، بأهل الكوفه واعتمد عليهم فى ثورته ولبى طلبهم وهو من أعلم الناس وأعرفهم بغدر أهل الكوفه وتقلبهم. وقد سبق له أن جربهم مع أبيه على وأخيه الحسن ، هذا بالإضافه إلى نصح جمله من خلص أصحابه وأقاربه له بعدم الركون إلى رسائلهم ورسلهم فإنهم قوم غدر وخيانه؟

ونقول لهؤلاء إن ما فعله الحسين ، كان عين الصواب والصحيح فى عرف الشرع والسياسه . أما أنه لم ينجح فى عمله هذا فذلك بحث آخر سوف نتعرض له

فی الفصول الآتیه تحت عنوان (هل کانت ثوره الحسین (علیه السلام) ناجحه أم لا؟).

أما توجه الحسین (علیه السلام) یومئذ وهو فی تلک الظروف إلی العراق کان مطابقه للشرع والعرف السیاسی الصحیح. نقول کان مطابقه للشرع لأن الشارع الإسلامی یرکز أحکامه علی الناس حسب ظواهر هم ویعتبر الظواهر هی الحجه والقیاس ومناط الأحکام. أما البواطن والخفایا والظنون والأمور الغیبیه فلا اعتبار لها فی التشریع الإسلامی وإنما أمرها إلی الله والله وحده هو المحاسب علیها یوم الحساب . قال سبحانه وتعالی :«وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَی إِلَیْکُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَیَاهِ الدُّنْیَا »(۱) قبل نزلت فی مسلم رفع السیف فی بعض الغزوات علی مشرک لیقتله فقال المشرک : أشهد أن لا إله إلا الله ولکن المسلم مع ذلک ضربه بالسیف وقتله. فبلغ الحادث إلی رسول الله فدعا بالمسلم وقال له : لم قتلته وأنت سمعته یشهد أن لا إله إلا الله . فقال المسلم: یا رسول الله أنه قالها خوف السیف لا عن إیمان وعقیده فقال الرسول (صلی الله علیخ و آله) : وما یدریک بذلک فهل فلقت قلبه وعرفت کذبه . وعلی أثر هذه القضیه نزلت الآیه الکریمه :«یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَتَبَیَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَی إِلَیْکُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا » النساء آیه ۹۴ تفسیر المنار ج۵.

ونصوص القرآن علی حجیه الظواهر فی الإسلام کثیره منها قوله تعالی : «إِنَّ الظَّنَّ لَا یُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَیْئًا »(۲)

وقوله تعالی : «وَلَا تَقْفُ مَا لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ »(۳).

۱- سوره النساء: ۹۴.

۲- سوره یونس: ۳۶.

۳- سوره الإسراء: ۳۶

وقوله تعالى :«اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا »(۱)

وأما السنه فأقوال وأفعال منها قوله (عليه السلام) : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا قالوها حقنوا دمائهم وأموالهم وأعراضهم.(۲) وأيضا أحاديث أخرى مضمونها : من تشهد بشهادتنا و صلى إلى قبلتنا... فله ما لنا وعليه ما علينا.(۳)

وأكثر قواعد وأصول الفقه الإسلامى مبنيه على الظاهر القائم بالفعل مثل قاعده : المتهم برىء حتى تثبت إدانته. أو قاعده : لا يجوز القصاص قبل الجنايه. وقاعده اليد وقاعده الطهاره وقاعده الخليه وقاعده الإباحه وغيرها.... فالخلاصه أن الإسلام دين يعامل الناس على الظاهر منهم لا على ما يمكن أن سيبدوا. فإذا تحقق هذا نقول: أن أهل الكوفه أظهروا الولاء والطاعه للحسين (عليه السلام) بشكل من الإخلاص والإلحاح والجديه لم يسبق له مثيل ، وكان إظهارهم لهذا الولاء منذ عصر معاويه وفى حياه الحسن (عليه السلام) وبعده وتضاعف طلبهم له عند وفاه معاويه ولما بلغهم نبأ وفاه معاويه وامتناع الحسين (عليه السلام) من البيعه ليزيد وجهوا رسلهم ورسائلهم ووفودهم إليالحسين (عليه السلام) وهو بعد فى المدينه ولما استقر الحسين فى مكه انهالت عليه طلباتهم وكتبهم كالسيل المتدفق حتى تسلم الحسين منهم فى يوم واحد ستمائه كتاب وبلغ مجموع كتبهم إلى الحسين (عليه السلام) خلال مده إقامه الحسين (عليه السلام) فى مكه بلغ مجموعها إلى أثنى عشر ألف كتاب و كل كتاب موقع من قبل رجلين والثلاث والأربع. وكلها تكرر عباره «أقدم يا بن رسول الله ليس لنا إمام غيرك

۱- سوره الحجرات: ۱۲.

۲- راجع مستدرک الوسائل: ج۱۸ ص ۲۰۶ ح۲۲۵۰۳.

۳- راجع مستدرک الوسائل: ج۱۱ ص۱۲۵ ح۱۲۶۰۲

فلقد أخضر الجناب وأينعت الثمار وإنما تقدم على جند لك مجنده، (۱) وكتب له بعضهم قائلا : إن لم تجب دعوتنا وتلبى طلبنا وتتوجه إلينا خاصمناك بين يدى الله يوم القيامه.(۲)

فأى حجه أعظم وألزم من ذلك وأى عذر للحسين (عليه السلام) أمام الله وأمام التاريخ إذا لم يلبى دعوتهم بعد ذلك كله وهل كان يبرر له ذلك أن يقول كنت أظن أو أتوقع منهم الغدر والخلاف ، وهذا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول فى دستوره الخالد إلى واليه على مصر مالك الأشتر: «إن فى الناس عيوبه،الوالى أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك . (۳)

ومن قبله رسول الله (صلى الله عليخ و آله) فكم كان يرتب آثار المسلمين وأحكامهم على المنافقين الذين يعلم علم اليقين إنهم كاذبون فى كل ما يظهرون ولكن الإسلام يعامل الناس على الظاهر حتى يتبين الخلاف والعكس. والحسين (عليه السلام) سار حسب ما يقتضيه الشرع ولبى دعوه أهل الكوفه لما أتموا الحجه عليه بطلباتهم المتكرره ودعواتهم الحاره المتواتره وقد أضيف إلى تلك الحجه عليه حجه أخرى ألا وهى رسائل سفيره ونائبه الخاص مسلم بن عقيل، الذى بعثه إلى الكوفه ليستكشف حقيقه الأمر أكثر فأكثر ويتعرف على واقع تلك الدعوات عن كثب فكان نتيجه ما قام به مسلم بن عقيل طيله أكثر من شهرين فى الكوفه أن كتب إلى الحسين (عليه السلام) مؤكده له استعداد أهل الكوفه للتضحيه بين يديه بالنفس والنفيس وبكل غال وعزيز ويستحثه على القدوم إلى الكوفه فورا. وكان مما قاله فى بعض كتبه إلى الحسين (عليه السلام) : «أما بعد فأقدم يا بن رسول الله فإن الرائد

۱- راجع بحار الأنوار : ج۴۴ ، ص ۳۳۴.

۲- راجع نور العين فى مشهد الحسين (عليه السلام) : ص۱۲.

۳- نهج البلاغه: ص۲۹؛ من كتاب له (عليه السلام) ۵۲.

لا يكذب أهله إن الناس ينتظرونك وإن الكوفه بأسرها معك ...

فهل ترى أيها القارئ الكريم أى عذر للحسين بعد كل هذا إذا تخلف عن إجابتهم وترك التوجه إليهم.

وقد صرح هو (عليه السلام) بالمسؤوليه التى توجهت إليه تجاه أهل الكوفه لابن عمه عبد الله بن عباس لما ألح عليه بترك المسير إلى العراق . فقال الحسين (عليه السلام) يابن عم لقد كثرت على كتبهم وتوافرت على رسلهم ووجبت على واجباتهم...

وأما من الناحيه السياسيه والحكمه، فإن الحسين (عليه السلام) ثائر فى وجه دوله قويه وحكومه مسيطره. طبعا لا بد له من قوه كبيره يستند إليها فى هكذا ثوره . والعراق يومئذ أنسب قوه وأكبر سند لمثل تلك الثوره التى عزم الحسين على القيام بها وذلك نظره إلى مركز العراق الجغرافى وموقعه الاستراتيجى ومناخه الاقتصادى و غيرها من الملائمات التى تميزه عن باقى الأقطار الأخرى . ومن ثم اختارها أمير المؤمنين (عليه السلام) من قبل مركزا لقيادته وعاصمه لخلافته ومنطلقه الحركته الإصلاحيه الشاقه الواسعه بعد عهد عثمان الذى أغرق المجتمع الإسلامى بالمفاسد والانحرافات. وقد خرج منها على (عليه السلام) بمائه ألف مقاتل أو يزيدون إلى حرب صفين . والخلاصه هى أن الكوفه يومئذ أفضل وأنسب منطلق لكل حركه ثوريه لولا عيب واحد فيها فوت كل مزاياها الثوريه ألا وهى حاله التقلب والتلون التى امتاز بها أهل العراق عامه وأهل الكوفه خاصه. وقد نقل عن لسان كاهنه اليمن فى كلمته التى حدد فيها صفات الشعوب والأقطار، فقال : «وأما العراق فشقاق ونفاق وثياب رقاق ودم مهراق».

وجاء فى بعض وصايا معاويه لابنه يزيد قال : «وانظر أهل العراق فإن طلبوا منك أن تعزل عنهم فى كل يوم واليه وتنصب لهم آخر فافعل لأن ذلك

أيسر من أن يخرجوا عليك» .

ويعزو الخبراء هذه الحاله فيهم إلى إحساسهم المرهف وذكائهم الفطرى المفرط فهم دائما وأبدا كانوا مصدر تعب وإزعاج للولاه والحكام والأمراء لا يستقيمون إلا تحت وطأه العنف والإرهاب والظلم. فهم كما قيل عنهم (عبيد العصا) على المدى البعيد. وطلاب الحق والعدل على المدى القريب . سريعو الإقبال وسريعو الأدبار .

وعلى كل حال نتساءل بعد كل هذا ونقول لو لم يتوجه الحسين علينغ إلى العراق رغم دعوتهم الملحه له فإلى أين كان يتوجه بعد أن صارت حياته فى مكه معرضه للخطر فى أى لحظه ولم يتلق دعوه من أى مكان آخر غير العراق فهل كان يبقى فى مكه حتى يقبض عليه ويسلم أسيره إلى يزيد أو يغتال ويقتل غدره ويذهب دمه هدره...

نعم لك أن تقول لماذا لم يعدل عن الكوفه عندما ظهر له غدرهم به وانقلابهم عليه ؟ فنقول أجل. لقد حاول العدول عنها بل عدل عن التوجه إليها فعلا لما التقى بطلائع جيش العدو بقياده الحر بن يزيد الرياحى . وأيقن بأنه ليس له فى الكوفه مكان ولا أعوان ولكن الحر منعه من ذلك وصمم على أن يأخذه إلى عبيد الله ابن زياد أسيره وبعد محاولات عنيفه وتمانع من الطرفين اتفق الحسين (عليه السلام) معهم على أن يسلك طريقه لا يرده إلى مكه والمدينه ولا يدخله إلى الكوفه ليسير على وجهه فى أرض الله تعالى إلى حيث ينتهى به السير . وهكذا كان وأخذ الحسين (عليه السلام) طريقه وسطأ وصار يتياسر عن الكوفه إلى الغرب متجهه نحو المدائن بقصد أن يخرج من منطقه نفوذ بن زياد الذى كان أخبث وأشقى رجل فى عمال يزيد وأشدهم عداءه وبغضه لآل النبى (صلى الله عليخ و آله).فسار الحسين (عليه السلام) فى الاتجاه الجديد والحر وأصحابه يسايرونه على البعد حتى وصل أرض كربلاء وهى أرض على شاطئ الفرات كانت تسمى نينوى

والغاظريات ووادى الطفوف فلما وصل ركب الحسين (عليه السلام) إليها وصل أيضأ رسول من ابن زياد بكتاب منه إلى الحر الرياحى يذكر فيه اطلاعه على ما حدث بينه وبين الحسين (عليه السلام) ويأمره فيه أن يأتى إليه بالحسين (عليه السلام) سلمه مستسلمه وإلا فليحبسه عن الرجوع أو المسير وليجعجع به فى المكان الذى يصل فيه الكتاب إليه ويخبره بأن حامل الكتاب عين عليه . فدنا الحر عند ذلك من الحسين (عليه السلام) وأطلعه على الكتاب وقال لا يسعنى بعد هذا أن أدعك مستمره فى سيرك فإما أن تنزل هنا أو نقاتلك فعرض عليه بعض أصحابه القتال مع القوم فقال (عليه السلام) إنى أكره أن أبدئهم بقتال ثم نزل الحسين وأصحابه فى جانب ونزل الحر فى ألف فارس فى جانب آخر من أرض كربلاء وذلك يوم الثانى من شهر المحرم الحرام سنه ۶۱ للهجره ثم كتب الحر إلى ابن زياد كتاب يخبره بنزول الحسين (عليه السلام) أرض كربلاء فكتب ابن زياد إلى الحسين (عليه السلام) كتابا يقول فيه :

أما بعد يا حسين فقد بلغنى نزولك أرض كربلاء وقد كتب إلى أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير ولا أشبع من الحمير حتى ألحقك باللطيف الخبير أو تنزل على حكمى وحكم يزيد ...

فلما وصل كتابه إلى الحسين (عليه السلام) وقرأه رماه من يده وقال : «لا أفلح قوماشتروا مرضاه المخلوق بسخط الخالق». فقال (عليه السلام) الرسول : الجواب أبا عبد الله فقال له : «ليس له عندى جواب فقد حقت عليه كلمه العذاب». .

فعاد الرسول إلى ابن زياد فأخبره، فغضب ابن زياد وجمع الناس فى الجامع الأعظم وخطبهم وأعلن النفير العام وقال : برئت الذمه ممن وجدناه بعد ثلاثه أيام لم يخرج إلى حرب الحسين بن على (عليه السلام) ويروى أنه جىء إليه بعد الثلاث برجل فقال لم لم تخرج إلى حرب الحسين (عليه السلام) فقال أنا رجل غريب من أهل الشام جئت إلى الكوفه فى حاجه وغده خارج عنها فقال ابن زياد : وأنت صادق فى قولك ولكن فى قتلك تأديب للآخرين ثم أمر به فقتلوه .

وهكذا ساق الناس إلى حرب الحسين (عليه السلام) على الصعب والذلول حتى اجتمع لحرب الحسين (عليه السلام) فى كربلاء ثلاثون ألف مقاتل أو يزيدون ، كلهم من أهل الكوفه ليس فيهم شامى ولا حجازى... وحيث أن أهل العراق لا يوثق بهم لذا أخذ يزيد الاحتياط لنفسه حذر من انقلاب أهل الكوفه على ابن زياد فجهز جيشا من ستين ألف رجل وبعثه إلى العراق ونزل بالقرب من كربلاء وأرسل قائده إلى عمر بن سعد يعرض عليه استعداده للاشتراك معهم فى حرب الحسين (عليه السلام) متى أراد وفى ذلك يقول بعض الأدباء :

ملا القفار على بن فاطمه

جندو ملاصدورهم ذحل

جاءت وقائدها العما وإلى

حرب الحسين يسوقها الجهل

بجحافل بالطف أولها

وأخيرها بالشام متصل

ص: ١١٢

هل الذين قتلوا الحسين (عليه السلام) كانوا شيعه؟

جاءوا بسبعين ألفا سل بقيتهم

هل قابلونا وقد جئنا بسمعنا

لقد تعددت الروايات واختلفت الأخبار فى عدد أفراد الجيش الذى خرج إلى حرب الحسين (عليه السلام) بكربلاء، والأشهر الأصح منها يتفاوت ويتراوح بين الثلاثين ألف والسبعين ألف مقاتل وقد أجمع المؤرخون على أنهم جميعا كانوا من أهل الكوفه خاصه ليس فيهم شامى ولا حجازى ولا بصرى والمعروف عن أهل الكوفه أنهم شيعه أو يغلب عليهم التشيع لأهل البيت (عليهم السلام) ومن هنا استنتج بعض الذين كتبوا فى الحسين (عليه السلام) أن الشيعه هم الذين قتلوا الحسين (عليه السلام) بكربلاء ويفسرون أيضا زياره الشيعه لمرقد الحسين (عليه السلام) بكربلاء وبكاء الشيعه على الحسين (عليه السلام) أيام عاشوراء وغيرها من مظاهر الحداد التى يقيمونها اليوم على الحسين (عليه السلام)يفسر هؤلاء الكتاب ذلك منهم بأنه ندم وتكفير لما فعله سلفهم وآبائهم من قبل وتعبير منهم عن مدى إحساسهم بقبح الجريمه التى ارتكبها الأجداد ... أقول هكذا قال بعض المعاصرين من الذين كتبوا عن الحسين (عليه السلام). فهل هذا صحيح؟!..

الجواب: كلا. لم يكن فى ذلك الجيش الذى اجتمع على حرب الحسين (عليه السلام) بكربلاء يوم العاشر من المحرم ولا شيعى واحد. بل كان ذلك الجيش خليطامؤلفه من الخوارج ومن الحزب الأموى ومن المنافقين الذين عانى منهم الإمام على والإمام الحسن من المحن والأذى وأيضا كان فيهم كثير من

المرتزقه الذين كانوا يشكلون جيش نظاميه أقامه الولاه للاستعانه بهم على قمع الفتن والحركات الداخليه وكان أكثرهم من الحمر. أى غير العرب لم يعرف لهم نسب ولا حسب ولا مبدأ وبكلمه واحده ما كان فيهم شيعى قط.

ودليلنا على ذلك هو: أولا إن الكوفه كانت علويه النزعه ويغلب عليها التشيع فى عهد الإمام على (عليه السلام) ولكنها لم تبق على ذلك بعده لأن معاويه وولاته عندما استولوا على الكوفه بعد مقتل الإمام على (عليه السلام) قتلوا الشيعه فيها وشردوهم حتى لم يبق فيها فى عصر زياد ونجله شيعى بارز معروف إلا وهو مقتول أو مسجون أو مشرد .

وإن أردت تفصيل ما فعله معاويه بالشيعه فى الكوفه وغيرها فى عهد خلافته فأقرأ كتب التاريخ والسيره لتعرف كيف قامت المجازر البشريه ونصبت المشانق وفتحت السجون لإباده الشيعه والتشيع فى ذلك العصر المشئوم حتى بلغ الحال أن الرجل كان يتهم بالكفر والإلحاد والزندقه فلا خوف عليه ولكن إذا اتهم بالتشيع لعلى (عليه السلام) سفك دمه ونهب ماله وهدمت داره.

كتب معاويه بن أبى سفيان بنسخه واحده إلى جميع عماله وولاته فى الأقطار أن انظروا إلى من يتهم بحب على (عليه السلام) فامسحوا اسمه من الديوان أى من كافه الحقوق المدنيه والماليه) ومن قامت عليه البينه أنه من شيعهعلى فاقتلوه وانهبوا ماله واهدموا داره.

ولقد حار الخبراء والمتتبعون للتأريخ كيف بقى فى العالم شيعه مع تلك الحملات الإباديه والاضطهادات والمطاردات التى قامت ضدهم طيله مئه عام أو أكثر فتره الحكم الأموى وبعده فى حين أن بعض الطوائف التى ظهرت فى تلك الفتره قد أبيدت وزالت كليه لما وجه إليها بعض ما وجه إلى الشيعه من الضغط والتنكيل... أجل أن المقتضى الطبيعى لما لاقاه الشيعه من أعدائهم أبان الحكم الأموى هو أن لا يبقى لهم عين فى العالم ولا أثر. ولكن بما أن التشيع

هو دین الله الکامل ونوره المبین والحق الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه وشریعه قرآنه المنزل علی خاتم أنبیائه محمد(صلی الله علیخ و آله) .وقد تعهد الله سبحانه وتعالی أن یحفظ دینه ویتم نوره ویحفظ قرآنه ویظهر الحق علی الباطل ولو کره الکافرون «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَیَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا یَنْفَعُ النَّاسَ فَیَمْکُثُ فِی الْأَرْضِ»(۱)وها هو التشیع الیوم یعم أقطار الأرض ولا یکاد یخلو منه مکان فی العالم. والذین ینتمون إلیه الیوم یبلغون مئه ملیون أو أکثر من المسلمین ؛ وهذا علی بن أبی طالب الذی کان یشتم ویسب علی المنابر الإسلامیه طیله الحکم الأموی ها هو اسمه الیوم علی المأذن مقرونا باسم الله وباسم رسوله .«یُرِیدُونَ لِیُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ کَرِهَ الْکَافِرُونَ»(۲)

والخلاصه : لم یبق فی عصر الحسین (علیه السلام) فی الکوفه من الشیعه سوی أقلیه قلیله هم بقیه حملات الإباده والسیف والتنکیل الأموی وکانوا لا یتجاوزون الأربعه أو الخمسه آلاف رجلا وهم الذین کان ابن زیاد (لعنه الله) قد ملأ بهم سجون الکوفه ومعتقلاتها قبل قدوم الحسین (علیه السلام) إلی العراق وهؤلاء هم کل الشیعه فی الکوفه یومئذ وهم الذین کسروا السجون بعد أن ترک ابن زیاد العراق والتحق بالشام کسروا السجون وخرجوا ثائرین بدم الحسین (علیه السلام) بعد قتله بما یقرب من أربع سنوات وقبل ثوره المختار وتوجهوا نحو الشام والتقوا بجیوش الأمویین علی نهر الزاب فی شمال العراق وقاتلوا حتی قتلوا. وعرفوا فی التاریخ بالتوابین. وهی تسمیه غیر حقیقیه حیث لم تصدر منهم خطیئه بالنسبه إلی الحسین (علیه السلام) حتی یکون قتلهم فی الثأر له توبه عنها بل هم الآسفون علی

۱- سوره الرعد: ۱۷.

۲- سوره الصف: ۸.

الأصح حيث أسفوا أن يقتل الحسين (عليه السلام) ولم يستطيعوا الدفاع عنه وقالوا :

لا خير فى العيش بعده) فإذا اتهام الشيعه بأنهم قتلوا الحسين. لأن أهل الكوفه كانوا فى وقت من الأوقات شيعه بمجموعهم أو بأكثريتهم. اتهام باطل لا

أساس له وقد عرفت وجه البطلان فيه .

وأما ما نراه اليوم من الأكثريه الشيعيه فى العراق فإنه حدث بعد ذلك وبعد زوال السلطان الأموى الجائر عن العراق والعالم الإسلامى وعلى أثر الحريات التى نالها الشيعه فى أكثر فترات الدوله العباسيه وببركه العتبات المقدسه ومراقد أهل البيت (عليهم السلام) المنتشره فى أنحاء كثيره من العراق. ولا تنسى أن الجامعه العلميه التى أسسها شيخ الطائفه أبو جعفر الطوسى أعلا الله مقامه فى النجف الأشرف قبل أكثر من ألف عام كان لها الأثر الكبير فى نشر التشيع فى العراق وفى أنحاء أخرى من البلاد الإسلاميه وذلك بما خرجته هذه الجامعه من فحول العلماء ورجال العلم وأعلام الدعوه و كبار الفلاسفه والمجتهدين ومراجع الدين حتى صارت النجف الأشرف مهوى أفئده طلاب العلم والمعرفه وموطن العلماء العظام وعاصمه العالم الشيعى ولا تزال كذلك إلى اليوم وستبقى كذلك إلى الأبد إن شاء الله رغم كل المحاولات التى تبذل للقضاء على قدسيه هذه المدينه العلميه المقدسه.

هذا كله بيان لبطلان هذا الاتهام من الناحيه التاريخيه و على صعيد الواقع القائم آنذاك . وأما إذا نظرنا إلى هذه التهمه من الناحيه الفكريه وناقشناهاعلى الصعيد العقائدى فإنا نجد التناقض الصريح فى مؤداها. لأن التشيع وقتل الحسين (عليه السلام) ضدان لا يجتمعان فقولهم أن الشيعه قتلوا الحسين (عليه السلام) نظير القول مثلا بأن المسلمين قتلوا النبى محمد (صلى الله عليخ و آله) أو قولنا مثلا بأن الشيوعيين قتلوا ماركس أو لينين . فهل هذا يمكن عاده؟

طبعا كلا. لأن معنى مسلم يعنى من يقدس محمد (صلى الله عليخ و آله) ويحترمه

ویضحی بکل غال و عزیز دفاعا عنه وأن الشیوعی یعنی ذلک الشخص الذی یقدس ماركس ولینین ویحترمهما إلی أبعد الحدود وینقاد لأوامرهما وتعالیمهما فكیف یمكن أن یقدم علی قتلهما مع الاحتفاظ بشیوعیته وهل یعقل أن یقدم الإنسان علی قتل رسول الله (صلی الله علیخ و آله) وهو فی نفس الوقت مسلم ویصدق علیه صفه الإسلام. هذا مستحیل وغیر معقول . نعم شخص كان مسلما ثم ارتد و كفر وقتل محمد (صلی الله علیخ و آله) مثلا یجوز ویعقل .

وهكذا الحال بالنسبه إلی الشیعی لأن التشیع عباره عن تقدیس الحسین (علیه السلام) بشكل لیس فوقه تقدیس إلا قدسیه الله ورسوله والإنسان الشیعی هو الذی یؤمن بإمامه الحسین ویعتقد بخلافته عن رسول الله نصه وعقلا ویری الحسین (علیه السلام) حجه الله علی خلقه ووليه فی عباده وأنه أولی بالمؤمنین من أنفسهم وإن مخالفته وعصیان أوامره كفر ومروق عن الدین فضلا عن قتله وسفك دمه . فكیف یجتمع هذا المعنی فی نفس إنسان مع إقدامه علی قتلالحسین (علیه السلام) متعمده وأی تضاد وتهافت وتناقض أقبح من هذا. ولكن ویا للأسف إن الحقد علی الشیعه والتعصب ضدهم أعمی البصائر وذهب بالعقول من هؤلاء حتی صاروا لا یتعقلون ما یقولون وأنی لأتحدی أی أحد یثبت وجود شخص واحد شیعی بهذا المعنی فی صفوف جیش عمر بن سعد الذی حارب الحسین بكربلاء.

نعم كان فیهم أناس كانوا سابقه من الشیعه . أی أنهم حضروا مع الإمام علی (علیه السلام) فی معركه الجمل وفی معركه صفین مثل الشمر بن ذی الجوشن الضبابی وشبث بن ربعی وقیس بن الأشعث ومحمد بن الأشعث وغیرهم (لعنهم الله) ولكنهم ارتدوا بعد ذلك وصاروا خوارج وكفروا علیا فی فتنه رفع المصاحف التی أثارها ابن العاص حسب ما هو معروف وهؤلاء الخوارج هم الذین قاتلهم الإمام علی (علیه السلام) فی معركه النهروان فقتل من قتل منهم وانهزم

من انهزم وألف الخوارج طائفه من طوائف المسلمين بعد ذلک وتآمروا على قتل الإمام وقتلوه فى الصلاه وهجموا على ابنه الحسن (عليه السلام) يوم ساباط وطعنوه ، وإلى غير ذلک من مظاهر عدائهم لعلى (عليه السلام) وأبنائه الطاهرين.

والحاصل: إن التشيع عقيده وعمل وإن إطاعه الحسين (عليه السلام) واحترامه والدفاع عنه من صميم تلک العقيده وقوام ذلک العمل كالذى فعله أولئک النفر من الشيعه أصحاب الحسين (عليه السلام) يوم كربلاء الذين بذلوا أنفسهم وضحوا بأبنائهم وعوائلهم وكل ما يملكون دفاعا عن الحسين وآله (عليهم السلام).

فسلام عليهم بما صبروا ونعم عقبى الدار. ورحم الله السيد رضا الهنديحيث قال فيهم:

وقفوايدرءون سمر العوالى

عنه والنبل وقفه الأشباح

فوقوه بيض الضبا بالنحور البيض

والنبل بالوجوه الصباح

فئه إن تعاور النقع ليلا

أطلعوا فى سماه شهب الرماح

وإذا غنت السيوف وطافت

أكؤس الموت وانتشى كل صاح

باعدوا بين قربهم والمواظى

وجسوم الأعداء والأرواح

أدركوا بالحسين أكبر عيد

فغدوا فى منى الطفوف أضاح

وبعد هذا كله نعود فنقول: وأما بكاء الشيعه على الحسين وزيارتهم لقبره الشريف وغيرهما فليس هو بدافع الندم ولا لغرض تكفير جريمه الآباء كما زعم الخصم. بل هو بدوافع ولأغراض سنأتى على ذكرها قريبا إن شاء الله تعالى .

هل كان الحسين (عليه السلام) يطلب الحكم بثورته؟

من الشبهات القويه حول قيام الحسين (عليه السلام) بثورته المباركه هى شبهه أن قيامه بها هل كان طلبا للملك والسلطان وللاستيلاء على الحكم أم لا؟ وقد تعرض الكثيرون ممن كتبوا عن الحسين (عليه السلام) لهذه الشبهه فنفوها نفيا كليه مؤكدين أن الحسين (عليه السلام) لم ينهض طلبا للحكم ولا كان من أهدافه انتزاع السلطه من الأمويين ولم يكن يفكر فى ذلك أبدا.

فكأن هؤلاء يرون طعن فى كرامه الحسين (عليه السلام) ونقصا فى قدسيه ثورته أن ينسبوا إليه الرغبه فى الحكم والميل إلى تسلم السلطه والعمل من أجل انتزاع الخلافه من أيدى الأمويين. ويزعمون أن الحسين (عليه السلام) أجل وأرفع من أن يطلب الإمره والحكم بتلك المحاوله. بل كان غرضه الأوحد القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عن طريق التضحيه والشهاده فقط وهؤلاء يشكرون على كل حال على نواياهم الطيبه تجاه الحسين (عليه السلام). ولكن الحقيقه والواقع هو خلاف ما يرون ويزعمون..

وذلك لأن طلب الحكم والسلطه والإمره ليس قبيحه دائمه ولا هو مذموم مطلقا بل إذا كان طلب الحكم والسلطان صادره من أهله الأكفاء ولغرض الإصلاح وإحقاق الحق ومكافحه الباطل فإنه حينئذ يكون محبوبا عقلا وقد يكون واجبه شرعيه يفرضه الله تعالى على الإنسان الصالح اللائق للحكم والإماره. مثله تماما كمثل طلب أى شىء آخر من وسائل الحياه الأخرى

كطلب المال والجاه مثلا. كما قال (عليه السلام) : أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لأخرتك ..(۱) وكيف يكون طلب الحكم نقصا أو عيبا وقد طلبه من قبل أبوه أمير المؤمنين طيله خمس وعشرين سنه بعد رسول الله (صلى الله عليخ و آله) إلى أن وصل إليه بعد مقتل عثمان ولكنه (عليه السلام) أوضح لنا غاياته من وراء ذلك الطلب فقال أما والله أن إمرتكم لأهون على من هذا النعل إلا أن أقيم حقا وأدفع باط. وقال (عليه السلام) أيضا فى خطبه له :

اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا منافسه فى سلطان ولا التماس شىء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح فى بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطله من حدودك». .

فإذا لو كان طلب الحكم والسلطان لا لغرض المنافسه والتفاخر ولا للحصول على الشهوات واللذه الحقيره ولا لخدمه مصلحه شخصيه بل كان الغرض إعاده معالم الدين والإصلاح فى البلاد ونشر العدل والأمن بين العباد وإنصاف المظلوم من الظالم .. وأمثالها فالطلب حينئذ أمر حسن و محبوب و مرغوب فيه شرعا ومنطقه، فأى ضير على الحسين (عليه السلام) إذا كان يطلب السلطه والحكم بتلك الثوره المقدسه لنفس هذه الأهداف ؟

أو ليس الحكم والسلطان حقه الشرعى والعقلى بعد أبيه وأخيه؟ أو ليس هو (عليه السلام) أحد أولى الأمر الذين فرض الله طاعتهم على عباده فى محكم كتابه فقال : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ»(۲) أو ليس هو (عليه السلام) أحد أئمه المسلمين الذين نص عليهم رسول الله (صلى الله عليخ و آله) جمله وتفصيلا؟ أو ليس هو (عليه السلام) أحد الإمامين اللذين نص الرسول على ثبوت الإمامه لهما سواء قاما

۱- من لا يحضره الفقيه: ج۳ ص ۱۵۶ ح ۳۵۶۹

۲- سوره النساء: ۵۹.

أم قعدا كما فى الحديث المتواتر : الحسن والحسين إمامان. ثم هل كان فى عصر الحسين (عليه السلام) من هو أجدر بالإمره والخلافه من سيد شباب أهل الجنه أبى عبد الله الحسين (عليه السلام) ؟

ومن الجهه الثانيه نسأل يا ترى ما الذى كان يفعله الحسين (عليه السلام) لو استلم السلطه أو ليس كان يفعل ما فعله رسول الله (صلى الله عليخ و آله) وأمير المؤمنين وكل الأنبياء والمرسلين والأوصياء الحاكمين ؟ فإذا أى نقص يرد على الثوره الحسين (عليه السلام) لو كانت بقصد الاستيلاء على الحكم وطلب السلطان؟ إن الذين يهاجمون ثوره الحسين (عليه السلام) من طريق اتهامها بأنها كانت طلبا للملك وصراعه على السلطه . هؤلاء لم يعرفوا شيئا عن شخصيه الحسين (عليه السلام) بل نظروا إليه كزعيم سياسى قام طلبا للسلطه لأجل السلطه ككل الزعماء السياسيين الدنيويين الماديين فى العالم. أما لو كانوا قد عرفوا حقيقه الحسين (عليه السلام) وأهدافه البعيده وغاياته الرئيسيه من تلك الثوره وإن طلبه للسلطه كان لأجل التواصل بها إلى تلك الغايات الإنسانيه العليا . وإن الطريق الذى سلكه طلبا للسلطه هو طريق المثاليه والشرف والنبل والشهامه والكرم وعدل عن الطريق التقليدى الذى يسلكه عاده الزعماء السياسيون وهو طريق الغايه تبرر الواسطه . وإن الملك عقيم...

أقول لو عرف أولئك المهاجمون هذه الأمور عن الحسين (عليه السلام) لعدلوا عن مسلك الاتهام. وهذا هو الأستاذ العقاد يرد عليهم فى كتاب أبى الشهداء فيقول بالحرف ص ۱۹۵ .

وأيسر شيء على الضعفاء الهازلين أن يذكروا هنا طلب الملك ليغمروا بهشهاده الحسين وذويه . فهؤلاء واهمون ضالون مغرقون فى الوهم والظلال. الأن طلب الملك لا يمنع الشهاده وقد يطلب الرجل الملك شهيده قديسا وقد يطلبه وهو مجرم برئ من القداسه . إنما هو طلب وطلب وإنما هى غايه وغايه وإنما المعول فى هذا الأمر على الطلب لا على المطلوب فمن طلب الملك بكل

ثمن وتوسل له بكل وسيله وسوى فيه بين الغصب والحق وبين الخداع والصدق وبين مصلحه الرعيه ومفسدتها ففى سبيل الدنيا يعمل لا فى سبيل الشهاده . ومن طلب الملك وأباه بالثمن المعيب وطلب الملك حقا ولم يطلبه لأنه شهوه وكفى وطلب الملك وهو يعلم أنه سيموت دونه لا- محاله وطلب الملك وهو يعتز بنصر الإيمان ولا يعتز بنصر الجند والسلاح وطلب الملك رفعاً للمظلمه وجلبا للمصلحه كما وضحت له بنور إيمانه و تقواه . فليس ذلك بالعامل الذى يخدم نفسه بعمله ولكنه الشهيد الذى يلبى داعى المروءه والأريحيه ويطيع وحى الإيمان والعقيده ويضرب للناس مثلا- يتجاوز حياه الفرد الواحد وحياه الأجيال الكثيره». انتهت كلمه العقاد...

ويقول هو أيضا فى نفس الكتاب : «إن الحسين (عليه السلام) طلب الخلافه بشروطها التى يرضاها ولم يطلبها غنيمه يحرص عليها مهما تكلفه من ثمن ومهما تطلب من وسيله فكانت عنايته بالدعوه والإقناع أعظم جدا من عنايته بالتنظيم والإلزام». .

أعود فأقول ما المانع من أن يطلب الحسين (عليه السلام) الملك والسلطه بعد أن طلبهانبى الله سليمان بن داود (عليه السلام) من ربه صراحه . فقال «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى »(۱) وطلبها إبراهيم الخليل (عليه السلام) لذريته بعد أن حصل عليها هو لنفسه. قال :« قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ»(۲)

وإلى غير ذلك من الشواهد والأمثال ونوجه الخطاب ثانيه إلى هؤلاء

۱- سوره ص: ۳۵.

۲- سوره البقره: ۱۲۴

المدافعين عن الحسين بأنه لم ينهض طلبا للملك. فنقول لهم هاهو الحسين (عليه السلام) بالذات يصرح بأنه يطلب الإمره والسلطان لأنه أولى بهما وأحق من يزيد بن معاويه وغيره. نعم أنظر إلى كلماته التى قالها فى مجلس الوليد حاكم المدينه وبمحضر من مروان بن الحكم... فقال (عليه السلام) : «نحن أهل بيت النبوه وموضع الرساله ومختلف الملائكه ومهبط الوحى والتنزيل ويزيد رجل فاسق فاجر شارب للخمر قاتل النفس المحترمه معلن بالفسق والفجورومثلى لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أولى بالخلافه والأمر»..(۱)

فالحسين (عليه السلام) يطلب الخلافه والأمر ولكن من طريق المنطق والموازين العادله والتحكيم الحر والانتخاب الشعبى الصحيح. وعلمه بالشهاده والقتل دون الوصول إليها لا ينافى طلبه لها ولا يتعارض مع سعيه للحصول عليها لأن فى الطلب والسعى إتمام للحجه على الناس وإفراغ للذمه من المسؤوليه أمام الله والتاريخ حتى لا يقال أنه قصر أو تكاسل ولو رشح نفسه وسعى لها لحصل عليها. ومن قبله أخوه الحسن (عليه السلام) كان يعلم بكل ذلك المصير الذى وصل إليه علماً كاملا. ومع ذلك لم يمنعه ذلك العلم من التهيؤ وتجهيز الجيش والمسير نحو الحرب مع العدو واتخاذ كافه اللوازم المطلوبه .

وهذا أبوهما أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنه طلب الخلافه والإمره التى هى حقه الشرعى والطبيعى بعد رسول الله (صلى الله عليخ و آله) . طلبها بكل الوسائل ماعدا السيف . إذ رأى أن فى استعمال السيف يومئذ خطرا على مصلحه الإسلام العليا. ولكن استعمل الوسائل السلميه حتى أنه صار يحمل زوجته فاطمه (عليها السلام) وأبنائه الحسن والحسين ويطوف بهم على زعماء المهاجرين والأنصار وكبار الصحابه مطالبه بحقه و حقوق هؤلاء مذكره لهم بالنصوص النبويه الشريفه التى سمعوها

۱- راجع اللهوف: ص۲۲.

من الرسول (صلى الله عليخ و آله) فى حقه وحق هؤلاء واستمر على ذلك أربعين يوما. وهو يعلم علم اليقين أنه لا يحصل على حقه من الخلافه ولا هؤلاء يحصلون على حقوقهم من الخمس ومن الميراث ومن فدك . ولكن ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من حى عن بينه. كما أنه (عليه السلام) حضر مجلس الشورى مع الخمسه الآخرين الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافه حضر معهم الإمام وطالب بالخلافه وحاجج القوم وبذل كل ما فى وسعه من الجهد للوصول إلى الحكم. فلم يصل وكان يعلم علم اليقين أنه لا يصل. ولكن لإتمام الحجه وإبراء الذمه كما سبق وذكرنا فى موضوع تعليل خروج الحسين (عليه السلام) إلى العراق أن الظواهر هى الحجه فى العلائق والنظم الاجتماعيه الإسلاميه وواجب النبى والإمام أن يسير مع الناس حسب ظواهرهم وبمقتضى الأسباب والعوامل الطبيعيه العاديه ولا يرتب الآثار عليهم حسب المعلومات الغيبيه والتنبؤات التى ليس عليها دليل قائم أو أثر ملموس.

وبكلمه موجزه نقول أن لأهل البيت حقا وأن عليهم لواجبه أما حقهم فالقياده والإمره وأما واجبهم فإظهار الحق وبيانه . وظلامتهم الكبرى فى الحياه أن قاموا بواجبهم أحسن قيام ولكن حرموا من كافه حقوقهم. وإن غصب حقهم عنهم لم يمنعهم من القيام بواجبهم. على أن ذلك الحق لو وصل إليهم كاملا لاستطاعوا من أداء مسؤوليتهم على وجه أكمل وأنفع للأمه كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

والله لو ثنيت لى الوساده وجلست عليها لأفتيت بين أهل التوراه بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بانجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى ينطقوا جميعا ويقولوا صدق على بما حكم.. . (۱)

۱- راجع تأويل الأيات: ص۳۳۷.

وكما قال سلمان الفارسى رحمه الله فى خطبه له بعد وفاه الرسول (صلى الله عليخ و آله) : «والله لو وليتموها عليه لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ولو دعوتم الطير فى السماء لأتتكم والحيتان فى البحار لأجابتكم ولما طاش سهم من سهام الله ولا تعطل حكم من أحكام الله ولكن حظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم .(١)

وقالت فاطمه (عليها السلام) : «والله لو مالوا عن الحجه اللائحه وزالوا عن قبول الحجه الواضحه لردهم إليها ولحملهم عليها ولسار بهم سيره سجحه لا يكلح خشاشه ولا يكل سائره ولا يمل راكبه ولأوردهم منه" نميره صافيه تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا ونصح لهم سره وإعلان ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل... إلخ»،(٢) وفى ختام هذا الموضوع نستمع إلى مقطوعه شعريه رائعه من المرحوم الحاج هاشم الكعبى رحمه الله:

أو ما علمت الماجدين

غداه جدوا بالرحيل

عقدوا على البين النكاح

وطلقواسنن القفول

عشقوا العلا ففنوا بها

والغصن يرمى بالذبول

أو ما سمعت بن البتوله

لو دريت بن البتول

از دقاهاشعث النواصى

عاقدات للذيول

متنكب الورد الذميم

مجانب المرعى الوبيل

طلاب مجد بالحسام العضب

والرمح الطويل

متطلبا أقصى المطالب

خاطب الخطب الجليل

ظلت أميه ماترید

غداه مقترع النصول

رامت تسوق المصعب

الهدا رمستاق الذلول

۱- راجع بحار الأنوار: ج ۲۹ ص ۷۹.

۲- راجع الاحتجاج: ج۱ ص۱۰۸.

ويروح طوع يمينها

قود الجنيب أبو الشيول

رامت لعمر بن النبى الطهر

ممتنع الحص ول

وغوا بها جهل بها

والبغى من خلق الجهول

لف الرجال بمثلها...

وثنا الخيول على الخيول

وأباحها عضب الشبا

لا بالكهام ولا الكليل

لسنانه ولس انه

صدقان من طعن وقيل

ذات الفقار بكفه

وبكتفه ذات الفظول

وأبو المنيه س يفه

وكذا السحاب أبو السيول

يابن الذين توارثوا العليا

قبيلا عن قبيل

والسابقين بمجدهم

فى كل جيل كل جيل

أن تمس منكسر اللوى

ملقى على وجه الرمول

فلقد قتلت مهذبا

عن كل عيب فى القتيل

ص: ١٢٦

هل كان الحسين (عليه السلام) عالما بمصيره المعروف؟

يكثر التساؤل حول علم الحسين (عليه السلام) بما صار إليه عاقبه أمره حسب ما هو معروف هل كان من باب الاحتمال أو الظن الذى يحتمل العكس والخلاف فيكون حينئذ قد خدع بكتب أهل العراق وغرر به من قبلهم؟

أم كان ذلك العلم من باب القطع والجزم واليقين الذى لا شك فيه . فيكون حينئذ قد أقدم على حركه انتحاريه؟. نقول أجل كان عالما بما جرى علماً يقينيه قاطعه لا يشوبه شك وقد أعلن عنه فى مكه قبيل الخروج بخطبته التى قال فيها (عليه السلام) : «وكأنى بأوصالى هذه تقطعها ..(١) إلخ..

ولكن مع ذلك لم يكن خروجه عمه انتحاريه بل كان قتله نتيجه طبيعيه للظروف والأحداث العاديه التى أوجدها الناس بجهلهم وسوء تصرفهم. من قبيل علم الطبيب مثلا- بموت هذا المريض فى النهايه بسبب تطور المرض ومضاعفاته الطبيعيه التى لا خيار للطبيب فيها وجودا ولا- عدمه. وإنما عليه أن يراقبها ويساير مراحلها بما عنده من مخففات ومسكنات فقط وهو بانتظار نتيجتها الطبيعيه القصوى . كذلك علم الحسين (عليه السلام) بذلك المصير. فهو (عليه السلام) كان يعلم من البدايه أن يزيد سيتولى على الخلافه ويطلب منه البيعه وهو يمتنع من البيعه فيأمر بقتله فى المدينه فيخرج منها حفظا لدمه ودفاعاعن كرامته ويكتب إليه أهل العراق بالطاعه والبيعه له فتتم عليه الحجه الظاهريه بحسب

١- راجع بحار الأنوار: ج۴۴ ص۳۶۶.

القوانين الشرعيه فإذا وصل إليهم يغدرون به ويحصرونه فى وادى كربلاء وهكذا تتسلسل الحوادث حسب مجراها الطبيعى حتى تودى إلى العاقبه التى حصلت . ولم يكن بوسع الحسين أن يغير أو يدفع شيئا منها ، نعم حاول بكل ما استطاع أن يخفف من وطأتها ويؤخر من حدوثها فما استطاع لوجود الموانع والدوافع الشرعيه والزمنيه .

صحيح أنه لو كان قد بايع ليزيد لتغير وجه مصيره إلى حد كبير ولكن قد أثبتنا سابقا أن ذلك كان حراما على الحسين (عليه السلام) من الوجهه الشرعيه والأخلاقيه والعرفيه وجريمه كبرى على شرفه ودينه وأمه جده (صلى الله عليخ و آله) وعلى هذا فقس باقى الحوادث المتتابعه بعدها التى ما كان باستطاعه الحسين (عليه السلام) دفعها إلا بالتنازل عن كرامته والتخلى عن مسؤوليته والخيانه لرسالته والأمانه الملقاه على عاتقه من قبل الله ورسوله والأمه .

والخلاصه: كان علم الحسين (عليه السلام) علما بترتب الحوادث على عواملها الطبيعيه والمعلولات على عللها والمسببات على أسبابها تلك الأسباب والعلل التى أوجدها الناس بسوء اختيارهم وضعف الوازع الدينى فى نفوسهم فهممحاسبون عليها ومعاقبون بها يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

ومن هنا قيل أنه (عليه السلام) جمع بين التكليفين فى آن واحد التكليف الباطنى ، وهو تكليفه من الله بأن يفدى الدين بنفسه وأنه شهيد هذه الأمه. والتكليف الظاهرى وهو تكليفه العرفى الطبيعى أى مسايره الأحداث والتطورات حسب متطلباتها العاديه. وهذا من خصائصه (عليه السلام) ولعلك تقول : من أين علم الحسين (عليه السلام) بتلك القضايا الغيبيه قبل وقوعها؟ فأقول :

وصلت إليه من أبيه على (عليه السلام) وجده محمد (صلى الله عليخ و آله) وبالتالى عن الله سبحانه وتعالى الذى هو وحده علام الغيوب و قد أوحى سبحانه إلى

رسوله (صلى الله عليخ و آله) بكل ما يجرى على الحسين (عليه السلام).

فإن قلت : فلماذا لم يحفظ الله تعالى وليه الحسين (عليه السلام) ولم يدفع عنه القتل وهو العالم بكل شيء والقادر على كل شيء؟

قلت فى الجواب : لأن بقتله إحياء الدين وبدمه حفظ شريعه الإسلام فدار الأمر بين حياه الحسين (عليه السلام) أو حياه الدين لأن الجمع بينهما يؤدى إلى الجبر وسلب الحريه الإنسانيه وهو ممنوع فى شريعه الله تعالى فكان الدين أوليبالحياه فالحسين (عليه السلام) فداء الدين وبهذا صرحت أخته العقيله زينب (عليها السلام) لما جلست عند رأسه وهو صريع ورفعت طرفها نحو السماء وقالت: «اللهم تقبل منا هذا الفداء).(١)

وإلى هذا المعنى يرمز الحديث الشريف المشهور القائل «حسين منى وأنا من حسين»(٢). فحسين منى واضح أى ابنى وولدى، ولكن قوله (صلى الله عليخ و آله) أنا من الحسين يعنى أن بقاء ذكرى وشريعتى ودينى بالحسين أى بتضحيه الحسين وشهادته . ولقد قال بعض الخبراء وهو السيد جمال الدين الأفغانى رحمه الله أن الإسلام محمدى الوجود والحدوث و حسينى البقاء والاستمرار. وقال المستشرق الألمانى ماربين فى الحسين (عليه السلام) كلمته المعروفه : «وأنى أعتقد بأن بقاء القانون الإسلامى وظهور الديانه الإسلاميه وترقى المسلمين هو مسبب عن قتل الحسين (عليه السلام) ، وحدوث تلك الفجايع المحزنه وكذلك ما نراه اليوم بين المسلمين من حس سياسى وإباء الضيم... وقال أيضا لا يشك صاحب الوجدان إذا دقق النظر فى أوضاع ذلك العصر ونجاح بنى أميه فى مقاصدهم. لا يشك أن الحسين (عليه السلام) قد أحيا بقتله دين جده وقوانين الإسلام ولو لم تقع

١- راجع حياه الإمام الحسين (عليه السلام) ج٢ ص٣٠١

٢- كشف الغمه : ج٢ ص٦.

تلـك الواقعه لم يكن الإسـلام على مـا هو عليه الآـن قطعه بـل كـان من الممكن ضـياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئـذ جـديد عهد...» انتهى محل الشاهد من كلام ماربين المستشرق الألمانى .

وأحسن تعبير عن هذا الواقع هو ما قاله ذلك الشاعر عن لسان الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء :

إن كان دين محمد لم يستقم

إلا بقتلى ياسيوف خذينى

وقال السيد جعفر الحلى :

بقتله فاح للإسلام طيب شذى

وكلما ذكرته المسلمون ذكا

ص: ١٣٠

لماذا يأذن الحسين (عليه السلام) لأصحابه بالتفرق عنه؟

أثبتنا فى البحث السابق أن الإمره والحكم كانا على رأس متطلبات الحسين (عليه السلام) من وراء ثورته الخالده لأجل الوصول بهما إلى غايته الكبرى وهدفه الأعلى على أكمل وجه وهو إصلاح المجتمع وإعاده نظام الإسلام إلى المجتمع الإسلامى وطبعا أن هذا الهدف لا يتم إلا من طريق السلطه، فالسلطه إذا كانت الطريق الأمثل أمام الحسين (عليه السلام) للوصول إلى أداء رسالته وتحقيقها كامله. والحسين (عليه السلام) طلب السلطه وسعى إليها قطعه وبلا شك. وهنا يبرز سؤال ويعترضنا استفهام حساس وهو لماذا إذا أجاز لأتباعه وأصحابه الذين خرجوا معه وانضموا إليه أن يتفرقوا عنه وهو فى أمس حاجه إلى الاستكثار من الأعوان تحقيقا لما طلب من الحكم والسلطان . وفعلا تفرقوا عنه قبل لقاء العدو حتى لم يبق معه منهم إلا القليل الذى لم يتجاوز النيف وسبعين رجلا بعد أن كانوا معه حوالى السته آلاف رجل تقريبا . فهل هذا سلوك ثائر يريد الاستيلاء على الحكم؟

نقول أجل إن الحسين (عليه السلام) ثائر لأجل إحقاق الحق ونشر العدل والخير . والحق لا يتحقق من طريق الباطل والعدل لا ينشر بواسطه الظلم والخير لا يعطى على أيدى المبطلين وبكلمه واحده الورد لا يجنى من العوسج والعسل لاينال من الحنظل.

ومكلف الأيام ضد طباعها- متطلب فى الماء جذوه نار .. إن الحسين (عليه السلام)

ص: ١٣١

أراد السلطه لاستخدامها فی مصلحه المجتمع ولخدمه الدین والإسلام فلا یجوز أن یطلبها بطریق خداع الجماهیر والتغریر بهم وإغفالهم عن حقائق الأمور وواقع الحوادث ورفع الشعارات الکاذبه والدعایات المضلله. مثله مثل أبیه الإمام علی (علیه السلام) الذی رفض الخلافه یوم الشوری لما توقف حصولها علی کلمه کذب واحده حیث قیل له نبایعک علی کتاب الله وسنه رسوله وعلی سیره الشیخین أبی بکر وعمر. فقال (علیه السلام) : کلا بل علی کتاب الله وسنه رسوله فقط.

وکان (علیه السلام) یسعه أن یقول نعم وینال الخلافه ثم یسیر بعد ذلک حسب کتاب الله وسنه رسوله لا غیر ولم یکن ملزمه بالشرط الأخیر شرعه لأن سیره الشیخین إن کانت موافقه لکتاب الله وسنه رسوله فهی داخله فی الشرط حتما وإن کانت مخالفه لهما فلا یجوز للمسلم أن یعمل بها... ولکن الإمام (علیه السلام) مع ذلک کره أن یقول لشیء نعم وهو یعلم من نفسه أنه لا یلتزم به وبذلک فوت الخلافه علی نفسه مده اثنی عشر سنه تقریبا وهی مده خلافه عثمان بن عفان .

فسیاسه الحسین هی بعینها سیاسه أبیه علی (علیه السلام) وجده النبی (صلی الله علیخ و آله) وهی سیاسه الإسلام والحق التی ترتکز علی الصراحه والصدق والواقعیه وتأبی الکذب والانتهازیه واللف والدوران.

ثم أن السته آلاف رجل الذین کانوا مع الحسین (علیه السلام) کان أکثرهم من الأعراب وأهل الأطماع والمرتزقه الذین یتبعون القاده طمعا فی الغنائم والمناصب والأرزاق خرجوا مع الحسین (علیه السلام) والتحقوا به فی أثناء الطریق علما منهم بأن الحسین (علیه السلام) قادم علی بلد قد دان له أهلها بالطاعه والولاء وبایعه أهلها بالإجماع و سوف ینتصر بهم حتماً ویصلون باتباعه إلی مغانم وأرباح. وکان الحسین (علیه السلام) یعرف ذلک فی نفوسهم فلما تجلی غدر أهل العراق و ظهر

انقلابهم ولم يبق هناك أمل فى انتصاره بهم على الأعداء بل أصبحوا هم من الأعداء والمحاربين له وذلك بقتلهم سفيره مسلم بن عقيل (عليه السلام) وقتل رسوليه عبد الله بن بقطر و قيس ابن مسهر الصيداوى رحمهما الله تعالى. عند ذلك تغير مجرى الثوره السابق وتحولت من حرب هجوميه متكافئه وجهاد منظم مفروض حسب المقاييس الشرعيه . إلى حرب فدائيه استشهاديه ليس فيها أمل فى الانتصار العسكرى وإنما المقصود منها التضحيه والشهاده لغرض التوعيه وتنبيه الرأى العام ولفت الأنظار إلى حقيقه الحكم القائم وواقع الزمره الحاكمه وعزلهم عن الأمه المسلمه فيحبط بذلك مؤامراتهم العدوانيه ضد الإسلام ومصلحه المسلمين .

قال العقاد فى ص١٩٣:

وعلى هذا النحو تكون حركه الحسين (عليه السلام) قد سلكت طريقها الذى لابد لها أن تسلكه وما كان لها قط من مسلك سواه ... حيث وصل الأمر إلى حد لا يعالج بغير الاستشهاد».

لذا فقد كره الحسين (عليه السلام) أن يترك أتباعه غافلين عن هذا التطور وجاهلين لهذا التحول المصيرى الهام خوف أن يباغتوا بالمصير الذى لا يرغبون فيه فيسلموه عند الوثبه، ويهزمون من الميدان عند اللقاء ويتفرقون عنه ساعه بدء المعركه. وفى ذلك وهن كبير يصيب معنويه القائد ويضعف مقاومه المخلصين من أصحابه. وإن تلك الإجازه لهم بالانصراف إذا شاءوا كانت من الحسين (عليه السلام) بالنسبه لهم أولا للاختبار والامتحان . وثانيه بمثابه مخض و غربله فاستخرج الزبده منهم وهم نيف وسبعون رجلا- وقد بلغوا إلى ليله عاشوراء إلى ما يقارب الثلاثمائه رجل كل منهم فدائى مخلص للحسين (عليه السلام) بايعوه على الموت واختاروا الشهاده على الحياه والقتل على البقاء فى الدنيا .. ولقد اختبرهم مراره فما وجد فيهم إلا الأشوس الأتعس يستأنسون بالمنيه دونه

استئناس الطفل بلبن أمه حسب شهاده الحسين (عليه السلام) فى حقهم، قالوا له فى بعض تلك الاختبارات : يا سيدنا لو كانت الدنيا لنا باقيه وكنا فيها مخلدين الآثرنا النهوض معك على الإقامه فيها فقال لهم الحسين (عليه السلام) : «اعلموا أنكم كلكم تقتلون ولا يفلت منكم أحده.(۱)

فقالوا: الحمد لله الذى من علينا بشرف القتل معك ولا أرانا الله العيش بعدك أبدا.

وقال له مسلم بن عوسجه الأسدى رحمه الله : أنحن نتخلى عنك وبماذا نعتذر إلى الله فى أداء حقك. أما والله لا أفارقك حتى أطعن فى صدورهم برمحى وأضرب بسيفى ما ثبت قائمه بيدى ولو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجاره حتى أموت معك.

وقال له سعيد بن عبد الله الحنفى : والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبه رسوله فيك . أما والله لو علمت أنى أقتل ثم أحيا ثم أحرق حيأثم أذرى يفعل بى ذلك سبعين مره لما فارقتك حتى ألقى حمامى دونك و كيف لا أفعل ذلك وإنما هى قتله واحده ثم هى الكرامه التى لا انقضاء لها أبدا.

وقال له زهير بن القين البجلى رحمه الله والله لوددت إنى قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذلك ألف مره وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك، وهكذا تكلم الباقون من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا فجزاهم الحسين (عليه السلام) ، خيرا.

أجل والله جزاهم الله خيرا لقد سجلوا بموقفهم هذا رقما قياسيا خالد وضربوا أروع مثال للتضحيه فى سبيل الكرامه والعمل الفدائى الصحيح. ألا هكذا فليكن العمل الفدائى وإلا فلا .

۱- راجع بحار الأنوار : ج۵، ص۸۹ ح ۲۷.

فهم قدوه كل عمل فدائى مثمر ومخلص ولا يمكن أن ينجح أى عمل فدائى ما لم يكن الحسين (عليه السلام) وأصحابه مثله الأعلى وقدوته المثلى. إخلاص للقضيه واستصغار لكل غال و عزيز فى سبيلها ودون تحقيقها. ولقد أجاد من وصفهم بقوله :

فساموهم إما الحياه بذله

أو الموت فاختاروا أعز المراتب

بنفسى هم من مستميتين كسروا

جفون المواضى فى وجوه الكتائب

وصالوا على الأعداء أسد ضواريا

بعوج المواضى لا بعوج المخالب

أصيبوا ولكن مقبلين دماؤهم

تسيل على الأقدام دون العراقب

وأخيرا نقول : أن الحسين (عليه السلام) حافظ على قدسيه ثورته ونبل نهضته وشرف تضحيته بذلك العمل. أى بأن أبعد عنها الأوباش وأهل الأطماع والانتهازيين عملا بمضمون الآيه الكريمه : «وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا »(۱) وعملا بالقاعده المعروفه «فاقد الشىء لا يعطيه». أجل إن شرف كل ثوره يتوقف إلى حد كبير على شرف الثائرين و حس نواياهم وإخلاص نياتهم. ثم أن الإصلاح لا يأتى على أيدى غير الصالحين. وهذا من أعظم الدروس نفعا للأجيال فى ثوره الحسين (عليه السلام).

۱- سوره الكهف: ۵۱.

هل كانت ثوره الحسين (عليه السلام) ناجحه ومحققه لأهدافها؟

كتب الحسين (عليه السلام) إلى من تخلف عنه كتابا لما نزل كربلاء قال فيه :

أما بعد؛ فمن لحق بى منكم استشهد ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح والسلام ...

فأى فتح هذا الذى يقصده الحسين (عليه السلام) مع علمنا بأنه قتل هو وأصحابه وأهل بيته وسبيت حريمه وحمل رأسه إلى ابن زياد ويزيد؟ نقول:

كان للحسين (عليه السلام) من وراء ثورته المقدسه هدفان : هدف قريب مباشر وهدف بعيد و غير مباشر.

أما الهدف القريب المباشر فهو استرجاع حقه الشرعى والطبيعى فى الخلافه والحكم لأجل إصلاح المجتمع وإعاده نظام الإسلام إلى الحياه الاجتماعيه وإحياء سنه جده الرسول (صلى الله عليخ و آله) وإماته البدع وتصحيح الأخطاء و الانحرافات التى تراكمت على المسلمين منذ وفاه محمد (صلى الله عليخ و آله) من جراء السياسات المختلفه التى مارسها الحكام من ذلك اليوم إلى يوم الحسين (عليه السلام). مما أدى إلى أن لا يبقى من الإسلام بأيدى المسلمين إلا اسمه ولا من القرآن الكريم إلا رسمه .

وأما الهدف البعيد غير المباشر فهو وضع النقاط على الحروف . ووضع الحدود والعلامات الواضحه بين الإسلام الحقيقى والإسلام المزيف. ولفت

الأنظار إلى فشل السياسه السابقه التى أدت إلى الوضع الفاسد القائم وإلى خطأ المفاهيم التى سار عليها المسلمون بعد وفاه الرسول (صلى الله عليخ و آله) .

والخلاصه: كان هدفه الأول إحياء الإسلام فكريه وعمليه. وهدفه الثانى إحيائه فكريه على الأقل. وهو وإن فاته تحقيق الهدف الأول بسبب غدر أهل الكوفه، ولم يتسن له أن يقيم حكومه إسلاميه صحيحه ويطبق النظام الإسلامى الصحيح بين المسلمين. ولكن حقق هدفه الثانى بلا شك ونزه دين الله وشريعه الإسلام وسنه خاتم الأنبياء عن الشوائب المهينه والمظاهر المشوهه والمفاهيم المغلوطه التى ألحقت به وتراكمت عليه وأظهر وجه الإسلام الجميل و منظره الجذاب وصورته السماويه الغراء من بين ركام البدع والاجتهادات الضاله والاستحسانات الفاسده.

وكمثل على ذلك نقول أن ما شاع وذاع بين الخبراء والباحثين هو أن من أهم النتائج والآثار المأساه الحسين (عليه السلام) وحادثه كربلاء انتشار التشيع وظهور مذهب أهل البيت (عليهم السلام) أكثر فأكثر وتزايد عدد الشيعه فى العالم الإسلامى رغم أن انبثاق التشيع كان مقارنه مع انبثاق فجر الإسلام ومنذ أوائل البعثه المحمديه غير أنه كان محدوده ومحصوره فى نطاق أعيان الصحابه وأعلام المهاجرين والأنصار بالإضافه إلى بنى هاشم . أما بعد ثوره الحسين (عليه السلام) فإنه أى التشيع أصبح منتشره فى كافه الأقطار وبين عامه الطبقات .. والسؤال الآن هو كيف كان ذلك ولماذا؟

الجواب : أقول لأن الرأى العام وكل إنسان حر عاقل ذو وعى وضمير لما سمع بأنباء تلك المجزره الرهيبه التى أبيد فيها آل رسول الله (صلى الله عليخ و آله) وما تلاها من الجرائم والموبقات وأبشع المنكرات التى تأباها حتى الوحوش ...

أقول لما اطلع عليها صار يفكر فى نفسه ويتساءل: من أين جاءت هذه العصابه المجرمه الأمويه إلى السلطه وكيف توصل هؤلاء الطغاه المتمردون على

أبسط القوانين الإنسانيه والإسلام إلى الإمره والحكم فسودوا وجه التاريخ الإسلامى والعربى وملأوا الدنيا بالظلم والفساد. من الذى مكن لهم ومهد الطريق أمامهم إلى الخلافه الإسلاميه؟

فيأتيه الجواب طبعا وبكل بساطه . أنه بسبب الغلطه الكبرى والخطأ الذيارتكبه بعض الصحابه بعد وفاه النبى محمد (صلى الله عليخ و آله) بإنكارهم الحق الشرعى والطبيعى لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) بعد الرسول ورفضهم النصوص القرآنيه والوصايا النبويه فى خلافه على وولايته العامه على الأمه بعد النبى (صلى الله عليخ و آله) و أدعو أن الله لم يعين لرسوله خليفه قط والرسول لم يختر لنفسه نائبا ووصيه. وأن أمر القياده والإمامه بعد الرسول موكول إلى أهواء الناس وآرائهم. فأدى ذلك بطبيعه الحال إلى أن يتقمص الخلافه ويتسلم زمام السلطه والقياده العامه بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليخ و آله) أشخاص جديد و عهد بالإسلام وأهدافه بعيدون عن تفهم جوهره ولبابه . بعد لم يعرفوا الإسلام بروحه وحقيقته وواقعه الذى هو تربيه روحيه وتهذيب خلقى وتكوين إنسانى أكثر من كونه توسعه اقليميه وسلطه زمنيه وحركه سياسيه .

لذلك صاروا يخبطون خبط عشواء ويتخبطون فى أمر الخلافه بغير هدى ولا طريق معين فتاره يعتمدون فى اختيار الخليفه مبدأ الانتخاب العام وتاره مبدأ النص والاختيار الفردى وأخرى مبدأ الشورى من قبل أشخاص معدودين وهكذا كلما اعتمدوا مبدأ جاء بنتيجه أسوأ من الأول إلى أن صارت الخلافه الإسلاميه لعبه صبيانيه ومطمعا لكل طامع حقير.

لقد هزلت حتى بدا من هزالها

كلاها و حتى استامها كل مفلس

فيا ترى هل يجوز على الله سبحانه وتعالى وهو علام الغيوب القادر الحكيم هل يجوز له أن يرضى لعباده هذا الخبط والضلال فلا يختار لهم قائدا مخلصا وإمامه عالمه وخليفه كفؤه بعد نبيه محمد (صلى الله عليخ و آله) الذى لا نبى بعده؟

كلاـ وحاشا وسبحانه وتعالى عما يزعم الجاهلون ويقوله الظالمون. قل لى بربك أيها المنصف إلى أى شىء أو كلهم الله بعد رسوله فى أمر التنظيم والتوجيه. أإلى القرآن الكريم فقط ؟ وفيه الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمجمل والمفصل والتفسير والتأويل. مع العلم بأنه سبحانه أمرهم فيه أن يرجعوا لمعرفه آياته وتأويلها إلى الراسخين فى العلم. أى علم القرآن . وأمرهم بأن يسألوا أهل الذكر عما يجهلون منه فمن هم هؤلاء الراسخون فى العلم و من هم أهل الذكر. أفلا يجب عليه تعالى أن يعرف العباد بهم؟ وإلا فما وجه الحكم فى الأمر بشىء مجهول. ثم بأى حجه يحتج الله سبحانه على عباده إذا ضلوا بعد النبى (صلى الله عليخ و آله) ولم يهتدوا إلى أهل الذكر وإلى العلماء الراسخين ؟ وهذا القرآن كما تراه يحتمل سبعين وجها فى التفسير والتأويل على حد الحديث الشريف الذى مؤداه : إن للقرآن سبعين بطنا فمن فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار .. (١)هذا من جهه .

ومن الجهه الأـخرى يقول المثل المأثور: «حدث العاقل بما لا يليق فإن صدق فلا عقل له». (٢) فهل يليق أيها العاقل المنصف بمقام رسول الله (صلى الله عليخ و آله) وهو الفرد الأكمل فى النوع الإنسانى عقلا وحكمه أن يموت ويترك رسالته دون تعيين نائب عنه فى رعايتها ونشرها وصيانتها والدفاع عنها؟ يموت تاركه الأمه التى تعب على إنشائها طيله ثلاث وعشرين سنه دون تعيين راع يرعاها وبلاـ أن ينصب خليفه عنه لقيادتها وهى بعد فى بدايه الطريق ودور الطفوله ومرحله الخطر . محاطه بالأعداء والموتورين والطامعين من الخارج ومهدده بالمنافقين والانتهازيين والمؤلفه قلوبهم من الداخل؟ يموت بدون وصيه وبدون تعيين وصى وبدون أن يختار نائبه و خليفه عنه فى أمته فيخالف بذلك كافه الأعراف

١- راجع غوالى اللآلى: ج۴، ص ١٠۴ ح١۵۴.

٢- راجع الغدير للعلامه الأمينى: ج١١ ص١۴٢

العقلائيه وأبسط النواميس العقليه وقانون الأنبياء والمرسلين ؟ قل لهؤلاء الذين يزعمون أن محمدا (صلى الله عليخ و آله) مات ولم يعين لنفسه خليفه و وصيا ...

قل لهم هل فعل ذلك نبى أو رسول قبل محمد؟ ، أى نبى من آدم فمن بعده مات قبل أن يعين ويختار وينصب خليفه و وصيه؟ فكيف يشذ محمد (صلى الله عليخ و آله) عن سيره الأنبياء ويخالف مسلك المرسلين مع كونه أخرهم وخاتمهم؟

هاك كتب التاريخ وسير الأنبياء فراجعها لتعرف أنه ما من نبى من آدم (عليه السلام) إلى عيسى فارق الحياه وخرج من هذه الدنيا إلا بعد أن اختار لنفسه وصيه وعين نائبا و عرفه لأمتد وسلمه كتبه ومواريث العلم والنبوه. سواء كان ذلك الوصى والخليفه نبيه أيضا كأكثر أوصياء الأنبياء أو لم يكن نبيا بل كان إمامه وخليفه فقط يقوم بمهام النبى ويرعى شؤون أمته ورسالته.

وإليك أسماء البارزين من أولئك الأنبياء وأسماء خلفائهم الذين قاموا بعدهم بوصيه خاصه ونص وتعيين :

١- آدم (عليه السلام)؛ أبو البشر وأول الأنبياء. خلف ولده الثالث شيت (عليه السلام) وصيه و خليفه من بعده وسلم إليه الصحف التى أنزلها الله عليه والكلمات التى تلقاها من ربه فتاب عليه بعد أن كان قد أوصى إلى ولده هابيل واختارهخليفه عنه فحسده أخوه الأكبر قابيل و قتنه حسب ما هو معروف و مشروح فى الكتاب العزيز.

٢- نوح (عليه السلام) شيخ المرسلين . خلف ولده الصالح سام، واختاره خليفه على أمته من بعده وسلم إليه الصحف والكتب المنزله عليه بعد أن هلك ابنه الأكبر الكافر (كنعان) مع المشركين والكفره فى الطوفان على ما ذكر من قصته فى القرآن .

٣- إبراهيم الخليل عليه (عليه السلام) ابنه الأكبر إسماعيل (عليه السلام) خليفه على أمته من بعده وأوصاه أن يخلف أخاه الأصغر إسحاق (عليه السلام) من بعده وأوصى

إسحاق أن يخلف ابنه الأكبر يعقوب .

- موسى بن عمران كليم الله (عليه السلام) عين أو أخاه ووزيره فى الرساله هارون بن عمران ليخلفه فى أمته ولكن وافاه الأجل المحتوم قبل موسى (عليه السلام) فأوصى موسى إلى يوشع بن نون (عليه السلام) وخلفه إمامه على أمته وسلمه التوراه والمواريث ولما مات موسى وقام يوشع بن نون مقامه حسدته زوجه موسى وهى صفيراء بنت شعيب فأثارت ضده الفتنه وحاربته ولكن الله سبحانه نصره عليها وقصته مذكوره فى كتب سيره الأنبياء.

۵- داود (عليه السلام) اختار ولده سليمان فى حياته وأوصى إليه وسلمه الزبور ومواريث النبوه فقام من بعده بأمر الرساله .

۶- عيسى بن مريم (عليه السلام) روح الله وآيته أوصى إلى شمعون الصفا وهو منخلص الحواريين فقام شمعون الصفا من بعد أن رفع عيسى (عليه السلام) قام مقامه خليفه فى أمته ووصيه على رسالته.

۷- زكريا (عليه السلام) أوصى فى حياته إلى ولده يحيى (عليه السلام) وعينه خليفه عنه بعده ... وهكذا .

فكيف يجوز فى عرف الشرع ومنطق العقل وسيره العقلاء أن يشذ محمد (صلى الله عليخ و آله) سيره سلفه الصالح ويخالف الأنبياء جميعا فيموت ويترك أمته سدى حبلهم على غاربهم تتلاعب بهم الأهواء وهو أفضل الأنبياء عقلا وحكمه ومعرفه ورسالته خاتمه الرسائل والشرايع جاءت لتدوم إلى الأبد وليهتدى بها البشريه جميعا فهل هذا معقول؟ والشىء الآخر هو:

إن السيره الفطريه فى سلوك كل بشر عادى أنه إذا كان مسئولا عن شىء أو يحرص على سلامه شىء من مال أو متاع أو عائله ثم عرضت له حاجه تدعوه أن يغيب عن تلك المسئوليه فإنه بحكم فطرته الإرتكازيه يفكر بمن يقوم مقامه مده غيابه للحفاظ على ذلك الشىء وأداء تلك المسئوليه مده غيابه .

فمثلا رجل رب عائله يريد السفر لعده أيام أو أشهر فإنه بفطرته البشريه العاديه يوصى إلى رجل رشيد من أقاربه أو جيرانه أو أصدقائه يوصيه بأن يرعى شؤون عائلته ويتفقد أمورهم مده غيابه .

ومثل آخر: رجل صاحب مكتب أو متجر أو شيء من هذا القبيل بريد مغادرته لحاجه فى الخارج خلال مده العمل فإنه يكلف شخصا أو ينصب شخصا للقيام مقامه أو لرعايه المكتب على الأقل ريثما يذهب ويعود ولا يمكن أن يترك المكتب مهمه مفتوحه بدون رعايه من أحد.

وأخيرا فلنتصور رجلا راعى معز أو غنم أو بقر يريد أن يترك القطيع فى الصحراء ويعود إلى البلد لحاجه عارضه فهل يتركه بدون أن ينصب مكانه رجلا لحراسه القطيع وحمايته مده غيابه وإذا فعل وترك القطيع سدى وذهب عنه أفلا يلومه العقلاء على ذلك ويعتبرونه مقصره فى واجبه متهاونه بمسئوليته .

وهنا نتساءل : هل كانت الأمه والرساله أقل شأنا وقيمه عند محمد(صلى الله عليخ و آله) من الدكان أو المكتب عند صاحبه ومن قطيع الغنم عند الراعى؟

أم أن محمد (صلى الله عليخ و آله) أقل حكمه وأضعف تفكير، وشعورا بالمسئوليه من صاحب المتجر والدكان ومن راعى الغنم والبقر ومن الرجل العادى رب العائله؟ نعوذ بالله من هذه الافتراءات ونبرأ إلى الله من هذه المزاعم والأقوال ..

والأمر الرابع : أقول هل رأيت أو سمعت فى العالم ملكه بدون ولى عهد معين فى حياته أو رئيس جمهوريه أو أمير دوله بلا نائب مخصوص مختار قبل وفاته؟

فهل كان محمد (صلى الله عليخ و آله) أقل إدراكا للأصول الإداريه والسياسيه والزعامه من كل الملوك والرؤساء. أم ماذا؟ أم أن الملوك والرؤساء أكثر إشفاقا على سلامه الشعوب والنظام من سيد المرسلين خاتم الأنبياء على أمته ورسالته؟

أيقبل عقلك ويرضى وجدانك أن الخليفه الأول أبا بكر يهتم بأمر المسلمين فلا يفارق الحياه حتى ينص على عمر بن الخطاب بالخلافه من بعده ويكتب له العهد بذلك . والخليفه الثانى عمر يهتم بأمر القياده الإسلاميه وزعامه الأمه فلا يموت حتى يرشح سته أشخاص من كبار الصحابه لمنصب الخلافه ويضع نظام الشورى ويؤكد على أن لا تمضى ثلاثه أيام بعد موته حتى يكون أحد هؤلاء السته قد تعين للخلافه وتسلم زمام أمور الأمه. ولكن محمد (صلى الله عليخ و آله) يموت بلا وصيه وبدون وصى وخليفه؟ أفيجوز أن يكون كل من أبى بكر وعمر بن الخطاب أشد حرصا على مصلحه الإسلام والمسلمين من صاحب الرساله ومؤسس الأمه محمد (صلى الله عليخ و آله)؟

إن مبدأ الاعتراف بالأمر الواقع الذى يسير عليه أكثر المسلمين بزعم أن خلافه الثلاثه بعد النبى (صلى الله عليخ و آله) وقيامهم مقام الرسول (صلى الله عليخ و آله) أمر قد وقع وصار فيجب الاعتراف بصحته والإذعان لشرعيته... أقول إن هذا ليس مبدء شرعيه ولا يقره العقل والعقلاء. إذ ليس كل ما وقع فى العالم وحدث فى التاريخ هو حق وصواب وعدل وصلاح وليس كل ما يحدث ويقع يجوز الاعتراف بصحته والإلتزام بشرعيته .. ما أكثر الحوادث الباطله والوقائع الفاسده والقضايا التى تحققت فى هذه الحياه ولكن على أساس الظلم والعدوان.

فهذه مثلا دوله إسرائيل القائمه فى قلب العالم العربى والإسلامى وقد اعترف بها أكثر دول العالم وتؤيدها أكبر الحكومات ماديه ومعنويه. فهل يجوز للعقل والشرع وعرف العقلاء الاعتراف بها وبشرعيتها لمجرد ذلك؟ الجواب طبعا كلا. لأنها وقعت وتحققت على الغدر والخيانه والغصب كما أن المبدأ القائم على الفكره القائله بأن الصحابه كلهم عدول أخيار صلحاء لا يجوز الطعن فيهم ولا يحق لنا التنديد بهم. هذا المبدأ هو الآخر غير صحيح لا يقوم على أساس من المنطق والدليل إذ لا شك أنهم كانوا بشره مثلنا غير معصومين

من الخطأ والعصيان ومخالفه أوامر الرسول (صلى الله عليخ و آله) إلا من عصمه الله منهم بقوه الإيمان والتقوى ومتانه العقيده واستكمال التربيه الإسلاميه . وقد وقعت بينهم اختلافات شديده أدت إلى أن يشتم بعضهم بعضا ويقاتل بعضهم البعض وسفكت بينهم الدماء، فهل كانوا جميعا على حق فى تلك المنازعات ؟ وهل كانوا كلهم عدولا فى خلال تلك الحروب والمعارك؟ وهل القاتل والمقتول منهم فى الجنه؟

إن مجرد الصحيه للرسول (صلى الله عليخ و آله) ليست عله تامه لحصول الإيمان والعصمه الحافظه. كيف لا وقد صرح القرآن الكريم بوجود عدد كبير من المنافقين بين صفوف الصحابه الذين كانوا مع الرسول (صلى الله عليخ و آله) فى المدينه وقد دبر بعضهم عده مؤامرات لاغتيال النبى (صلى الله عليخ و آله) فنجا منها بمعجزه. وكان فيهم أى فى أولئك المنافقين عدد قد أتقنوا فن النفاق إلى حد خفى نفاقهم حتى على النبى (صلى الله عليخ و آله) فما كشفوا إلا بعد وفاته (صلى الله عليخ و آله)، وقد ذكرهم الله تعالى لرسوله على نحو الإجمال فقال: «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَهِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ »(۱)

ثم كيف يستبعد منهم مخالفه أوامر الرسول (صلى الله عليخ و آله) فى وصيته وخليفته على بن أبى طالب بعد وفاته وقد خالفوا أوامره مراره فى حياته وهم معه وجها لوجه خذ مثلا لذلك ما أجمع عليه المسلمون جميعا وهى قضيه طلب النبى (صلى الله عليخ و آله) الدواه والكتف فى حال مرضه الذى توفى فيه ليكتب لهم كتاب لن يضلوا بعده أبدأ فعصوا أمره ولم يلبوا طلبه وقالوا أنه يهجر . (۲) فغضب الرسول عليهم وقال قوموا عنى . راجع ذلك فى الصحاح والمسانيد .

۱- سوره التوبه: ۱۰۱.

۲- راجع صحيح البخارى: ج ۷ ص۹، وصحيح مسلم: ج۵ ص۷۶

وفکر فیما شرحناه بعقلک وحکم وجدانک وضمیرک لتعرف أن فکره التشیع والمذهب الشیعی هما عصاره مدلول الکتاب العزیز والسنه الشریفه وتابعان من صمیم العقل والضمیر الإنسانی . ولتعرف أن التشیع قائم علی أساس متین من الدلیل والمنطق والوجدان وهو عباره أخری عن الإسلام التام الکامل الشامل لکل ما جاء به محمد (صلی الله علیخ و آله) من عند الله تعالی بدون زیاده ولا نقصان . کیف لا وهو مذهب أهل البیت (علیهم السلام) الذین أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا..(۱)

والآن نختم البحث حول هذا الموضوع ونعود إلی الغرض المقصود وهو أن من ثمرات ثوره الحسین (علیه السلام) ومن نتائج تضحیاته الجسام انتباه الرأی العام الإسلامی إلی خطأ السیاسات الارتجالیه التی سار علیها ولاه الأمر منذ وفاه الرسول الأکرم (صلی الله علیخ و آله) والتی أدت بالمسلمین إلی النکسات والنکبات وتشتت الکلمه واندلاع الفتن والحروب الداخلیه والمفاسد الاجتماعیه وانحسار الروح الإسلامیه من نفوس المسلمین . أدت أخیره إلی هذه الوصمه المخزیه ولطخه العار فی جبین الإنسانیه حیث لم یمض علی وفاه رسول الإسلام ونبی المسلمین سوی خمسین عاما فقط وإذا المسلمون أنفسهم ینهالون علی أهل بیت نبیهم وأولاد منقذهم وذریه سیدهم محمد (صلی الله علیخ و آله) قتلا وتشریده وإباده وتقطیع أوصال وحمل الرؤوس علی أطراف الرماح من بلد إلی بلد وترک الجثث علی وجه الرمال وحمل بنات رسول الله سبایا حواسرعلی الأقتاب تساق کما تساق سبایا الکفره والأشرار کل ذلک بسبب أنهم أنکروا الظلم والفساد وعارضوا البدع والاستبداد . فهل ارتکبت أمه فی العالم قبل هذه الأمه عاره مثل هذا العار وجریمه أبشع وأخزی من هذه الجریمه؟

۱- إشاره إلی قوله تعالی فی سوره الأحزاب الآیه ۳۳.

قال السید الرضی رحمه الله فی قصیده له :

جزورا جزر الأضاحی نسله

ثم ساقوا آله سوق الأما

لو بسبطی قیصر أو هرقل

فعلوا فعل یزید ماعدی

لیس هذا لرسول الله یا

أمه الطغیان والبغی جزا

کل ذلک من جراء الإعراض عن الإمامه الشرعیه والخلافه الإلهیه بعد رسول الله (صلی الله علیخ و آله) . تماما کما تنبأت به وحذرتهم عنه سیده النساء فاطمه بنت محمد (صلی الله علیخ و آله) فی الخطبه التی ألقتها علی نساء المهاجرین والأنصار بعد اغتصاب الخلافه من الإمام علی (علیه السلام) حیث قالت (علیها السلام):

ویحهم أنا زحزحوها عن رواسی الرساله وقواعد النبوه والدلاله ومهبط الروح الأمین والطین بأمور الدنیا والدین ألا ذلک هو الخسران المبین وما الذی نقموه من أبی الحسن نقموا منه والله نکیر سیفه وقله مبالاته بحتفه وشده وطأته ونکال وقعته وتنمره فی ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجه اللائحه وزالوا عن قبول الحجه الواضحه لردهم إلیها ولحملهم علیها ولسار بهم سیره سجحا لا یکلم خشاشه ولا یکل سائره ولا یمل راکبه ولأوردهم منه" نمیره صافیه تطفح ضفتاه ولا یترنق جانباه ولأصدرهم بطانه ولنصح لهم سره وإعلانا ولم یکن یتحلی من الغنی بنائل ولا من الدنیا بطائل غیر ری الناهل وشبعه الکافل ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الکاذب : «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَی آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَیْهِمْ بَرَکَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَکِنْ کَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا کَانُوا یَکْسِبُونَ »(۱)

ویحهم « أَفَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا یَهِدِّی إِلَّا أَنْ یُهْدَی

۱- سوره الأعراف: ۹۶.

فَمَا لَكَمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ».(۱)

أما لعمرى لقد لقحت فنظره ريثما تنتج ثم احتلبوا القعب دم عبيطه فهنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون ثم طيبوا عن دنياكم نفسأ واطمئنوا للفتنه جأش وأبشروا بسيف صارم وسطوه معتد غاشم وبهرج شامل واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيده وجمعكم حصيده فيا حسره لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم إن ألزمكموها وأنتم لها كارهون.

ونعود فنقول إن ثوره الحسين (عليه السلام) كانت ناجحه وفاتحه ورابحه. ولكن نجاحا معنويا وفتحه فكريه على الصعيد العالمى وربحه عاطفيه ووجدانيا عم النوع الإنسانى بكل شعوبه وطوائفه وقومياته . وأما النصر العسكرى والنجاح المسلح فليسا دائما دليلا على النجاح الحقيقى على حد الكلمه المأثوره : جوله الباطل ساعه وجوله الحق إلى قيام الساعه « وَالْعَاقِبَهُ لِلتَّقْوَى »(۲)

۱- سوره يونس: ۳۵

۲- سوره طه: ۱۳۲.

هل هناک ثمره من ثوره الحسین (علیه السلام) للمسلمین ککل؟

أیها القارئ الکریم لا تظن أن ثوره الحسین (علیه السلام) وتضحیاته السخیه المبارکه قد خدمت التشیع فحسب ؛ کلا ، بل وخدمت المسلمین کأمه واحده وبأجمعهم أیضا وذلک بما ولدته فیهم من وعی وإحساس تنبهوا بها إلی أمر خطیر وغلط کبیر جدا کان محدقه بهم و کاد أن یبدل دینهم وهم لا یشعرون .

وهو أن المسلمین من حیث العموم کانوا ینظرون إلی الخلفاء والأمراء الذین حکموهم منذ أن قبض النبی محمد (صلی الله علیخ و آله) بصفه مزدوجه هی صفه المشرعین والمنفذین فی آن واحد، أی کانوا یتصورون أن الخلیفه له صلاحیه التشریع والتحلیل والتحریم والتغییر والتبدیل، کما له حق التطبیق وصلاحیه التنفیذ قیاسا لهم علی رسول الله (صلی الله علیخ و آله) الذی کان هو المشرع والمنفذ معا ومنهذه النظره الخاطئه من المسلمین إلی حکامهم تجرأ بعض أولئک الحکام علی الاجتهاد ضد نصوص الکتاب والسنه الشریفه وعلی التلاعب بأحکام الإسلام حسب شهواتهم ومصالحهم.

فما أن التحق رسول الله (صلی الله علیخ و آله) بالرفیق الأعلی حتی بدأ الاختلاف بین سیرته وسیره المسؤولین بعده إلی أن جاء دور عثمان فکان الاختلاف بین سیرته وسنه رسول الله بلغ إلی حد قالت عنه أم المؤمنین عائشه وقد أخرجت ثوبا من

ثياب النبى (صلى الله عليخ و آله) تعرضه على الناس، انظروا هذا ثوب رسول الله بعد لم يبل وعثمان قد أبلى سنته .

والخطر الأـكبر الـذى كان يكمن فى تلك الظاهره هو أن المسـلمين كانوا يأخـذون تلك التصـرفات الشاذه عن نصوص القرآن والسـنه الشـريفه من قبل الخلفاء بعين الاعتبار وبأنها من صـميم الإسـلام وشـريعه الله تعالى. لذا فقد اسـتغل الأمويون تلك النظره أكبر فرصه لهم فى سبيل تحقيق مؤامراتهم العـدوانيه ضد الإسـلام ونبى الإسـلام، فأخذوا يحرفون ويشوهون ويتلاعبون بشـعائره ومقـدساته حيثما شاءوا . فمن ذلك مثلا أن معاويه صـلى بهم ذات مره صـلاه الجمعه يوم الأربعاء فصـلوها معه. وسن لهم سـب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المنابر وفى صلاه الجمعه، وأعطى الجزيه للرومان مقابل سحبه المرابطين على الحدود ليحارب بهم أمير المؤمنين عليشه ، ولبسـالحرير والـذهب وشـرب الخمر وقتل النفوس المحترمه على الظنه والتهمه، وألحق زياد بن سـميه بـأبيه أبى سـفيان خلافا لنص الحـديث الشـريف : «الولـد للفراش وللعاهر الحجر(۱) وحول الخلافه الإسـلاميه إلى ملـك وراثى عضوض .... الخ.

وإلى ذلك من بـدعه ومخالفاته التى يطول شـرحها، وكان الناس يأخـذون تلك البـدع بعين الاعتبار وإنها من الـدين كما قدمنا، ولكن بعد ثوره الحسـين (عليه السـلام) تغيرت نظره المسـلمين إلى الحكام والأمراء وظهروا أمام الرأى العام الإسلامى على أنهم سلاطين جور و حكام بالقهر والغلبه وملوك دنيويون ليس لهم صـفه شـرعيه ولا سـلطه تشـريعيه ، فالإسـلام شىء وسيره الحكام والأمراء الذين يحكمون المسلمين شىء آخر لا يمثل أحدهما الآخر فى شىء أبدأ .

۱- الكافى: ج۵ ص ۴۹۱ ح۲.

ولهذا التبدل والفصل بين الحكام وأعمالهم من جهه وبين الإسلام والمسلمين من جهه أخرى بقى الإسلام محفوظه ومصانه على الصعيد الفكرى إلى يومنا هذا، ولولا ذلك لكان الإسلام خبره بعد عين ولكان المسلمون اليوم أمه جاهليه إباحيه لا تعرف الله ولا تؤمن بنبى ولا تقرأ كتابه .

وليس أدل على ذلك أى على ما قلناه من أن ثوره الحسين (عليه السلام) عزلت الحكام عن الشعب وانتزعت منهم صلاحيه التشريع وصفه الشرعيه عن سلوكهم، من ظهور الطوائف، وتعدد المذاهب وتزايد الفرق الإسلاميه بعد عصر الحسين (عليه السلام) مباشره، ووجه الدلاله فيه هو من حيث أن الحكام لما شعروا بمقت الأمه لهم وتنفر الرأى العام منهم وأن الحسين (عليه السلام) قد انتزع بثورته المقدسه الخالده ، السلطه الروحيه من أيديهم وبالتالى تبين لهم أنهم أصبحوا معزولين عن الشعب روحيه ودينيه لذا حاولوا أن يستعيدوا سلطتهم على الأمه ، وسيطرتهم على الشعب ولو من طريق غير مباشر أى بواسطه عملاء لهم من رجال الدين والعلماء الذين تغريهم المناصب وتستغويهم الأموال ليكون هؤلاء العملاء كحلقه وصل بين الشعب والحكام ينفذون سياسه الحكام ويبررون إجرامهم ويدعمون سلطانهم اللاشرعى ومن ثمه يكونوا سلاحا بيد السلطات يحاربون بهم الدين ويدافعون بهم عن حكمهم وسلطانهم القائم باسم الدين .

وهكذا كان .. فقد بدأ الحكام بعد الحسين سياسه التفرقه الطائفيه وتمزيق وحده المسلمين بالطائفيه وتعدد المذاهب التى بلغت فى أواسط الدوله العباسيه إلى أكثر من ثلاثمائه طائفه وفرقه وكل طائفه تنتمى وتنتسب إلى رجل دين أو عالم أو محدث إما مساير للسياسه والحكام كليه، أو سلبى مجامل لهم على أحسن الفروض وبذلك نجحت سياسه «فرق تسد» فى خدمه الحكام نجاحا كبيره وظلوا محتفظين بكراسيهم وسيطرتهم من هذا الطريق، وظل أئمه الهدى من

أهل البيت (عليهم السلام) ومعهم شيعتهم وأصحابهم هم الطائفه الوحيده بين تلك الطوائف الإسلاميه الكثيره الذين يمثلون الحزب المعارض لتلك الحكومات الجائره والذين يقفون فى وجه أولئك العلماء الدجالين ورجال الدين المنافقين السائرين فى ركاب الحكام والأمراء، فهذا مثلا الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) بعث إليه المنصور الدوانيقى مره يقول له: يا أبا عبد الله هلا تغشانا وتزورنا كما يغشانا غيرك من العلماء.

فأرسل إليه الإمام (عليه السلام) يقول له : «ليس عندنا من الدنيا ما نخافك عليه وليس عندك من الآخره ما نرجوك له ولست فى نعمه حتى نهيك ولا ترى نفسك فى مصيبه حتى نعزيك) (١) وقد قال رسول الله (صلى الله عليخ و آله) : «إذا رأيتم العلماء على أبواب الأمراء فقولوا بئس العلماء وبئس الأمراء، وإذا رأيتم الأمراء على أبواب العلماء فقولوا نعم العلماء ونعم الأمراء»(٢) فعلام نصحبك بعد هذا .

فأرسل إليه المنصور ثانيه يقول له : تصحبنا لتنصحنا. فقال الإمام (عليه السلام) :

«إن من يريد الدنيا لا ينصحك وإن من يريد الآخره لا يصحبك .(٣)

ولقد بذل الحكام جهودا كثيرا وحاولوا شتى المحاولات لكى يستميلوا أهل البيت (عليهم السلام) نحوهم ويجذبوهم إلى جانبهم ليكسبوا تأييدهم. ولكن فشلوا وخاب ظنهم وما وجدوا من آل محمد (صلى الله عليخ و آله) إلا الاستقامه على الحق والتصلب ضد الباطل وإعلان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا تأخذهم فى الله لومه

الائم، لذلك قابلوهم بكل ظلم واضطهاد وحاربوهم بكل قسوه وعنف واضطهدوا شيعتهم ومنعوا الناس من الوصول إليهم وأغلقوا أبوابهم وتركوهم شتى مصارعهم وأجمعها فظيعه :

١- راجع مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٠٧ ح ١٤١٦١

٢- راجع الكنيوالألقاب: ج١ ص٢٧٢.

٣- راجع مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٠٧ ح ١٤١٦١

فمكابد للسم قد سقيت

حشاشته نقيه

ومضرج بالسيف آثر

عزه وأبى خضوعه

ومصفد لله سلم أمر

ما قاسا جميعه

وسبيه باتت بأفعى

الهم مهجها لسبعه

وهذا الاضطهاد والتعسف الذى مارسه الحكام ضد أئمه الهدى من آل البيت (عليهم السلام) هو السبب فى انقسام الشيعه أنفسهم إلى عده فرق وطوائف أيضا، لأن إمام الحق كان ممنوعه من إظهار نفسه والدعوه إليه وكان بسطاء من الشيعه يخدعون بالدعايات المضلله والمظاهر الجذابه فيلتفون حول بعض الأشخاص من أبناء الأئمه (عليهم السلام) أو من أقاربهم ويقولون بإمامتهم. مثل الكيسانيه الذين دانوا بإمامه محمد بن الحنفيه رحمه الله بعد الحسين (عليه السلام) لما كان يتحلى به محمد من علم وشجاعه وأنه ابن الإمام على (عليه السلام) وأخو الحسين (عليه السلام) وبالتالى هو أكبر من الإمام زين العابدين (عليه السلام).

ثم الزيديه الذين دانوا بإمامه زيد بن على بن الحسين ××× بدل الإمام محمد الباقر (عليه السلام) . ثم الإسماعيليه الذين قالوا بإمامه إسماعيل بن الصادق (عليه السلام) بدل أخيه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام). وهكذا إلى غيرها من الفرق الشيعيه الأصل والتى شنت عن طريق الحق بسبب اختفاء صوت إمام الحق أو الإرهاب الذى كان يحول دون وصولهم إلى إمام الحق وقد أبيد أكثر تلكالطوائف والفرق ولم يبق منها إلى اليوم سوى الطائفه الزيديه فى اليمن والطائفه الإسماعيليه فى الهند والباكستان، إلى جانب الطائفه الحقه الجعفريه الإماميه الذين يشكلون أكبر طائفه إسلاميه فى العالم والذين ساروا مع التشيع الصحيح إلى آخر الشوط ودانوا بإمامه الأئمه الاثنى عشر المنصوص عليهم من رسول الله (صلى الله عليخ و آله) بالإمامه وهم على بن أبى طالب ثم ابنه الحسن (عليها السلام) ثم أخوه الحسين (عليه السلام) ثم ابنه على زين العابدين (عليه السلام) ثم ابنه محمد الباقر (عليه السلام) ، ثم

ابنه جعفر الصادق (عليه السلام) ثم ابنه موسى الكاظم (عليه السلام) ثم ابنه على الرضا (عليه السلام) ثم ابنه محمد الجواد (عليه السلام) ثم ابنه على الهادى (عليه السلام) ثم ابنه الحسن العسكرى (عليه السلام) ثم ابنه محمد المهدى (عليه السلام) صاحب العصر والزمان عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

وهنا بمناسبه ذكر صاحب الزمان يتولد سؤال كثيرا ما يتساءل به شباب عصرنا الحاضر حول هذا الإمام الثانى عشر عند الشيعه الجعفريه الذى يعتقد فيه أنه غاب عن الأبصار بعد وفاه أبيه الإمام الحادى عشر الحسن العسكرى عليه وذلك قبل أكثر من ألف ومائه وعشرين عاما أى فى سنه (٢٩٠) من الهجره، وهو لا يزال حيا يرزق حتى الآن فى هذه الدنيا إلى أن بأذن الله له بالظهور فيظهر ويطهر العالم من الظلم والجور والفساد فى وقت لا يعرفه على وجه التحديد إلا الله تعالى.

والسؤال فى هذا الموضوع يدور غالبه حول بقائه حيه هذه المده الطويلهوأنه كيف يعيش إنسان حوالى ألف ومائه وعشرين سنه ولا يزال حيه إلى ما شاء الله؟

الجواب : أولا من الناحيه العلميه لا مانع فى ذلك ولا استحاله ، لأن العلم لم يحدد عمر الإنسان وإنما حدد أسباب الوفاه وهى تتلخص فى اختلال المزاج والتوازن الصحى وإصابه الأعضاء الرئيسيه فى الجسم بعطب خطير فكلما حافظ الإنسان على توازن صحته وسلامه أعضاءه الرئيسيه كلما استمر بقائه وطالت حياته ومن هنا يختلف الناس فى طول البقاء وقصره تبعا لسلامه أجسامهم من الأمراض.

ومما لا شك فيه أن الإمام المعصوم المؤيد من قبل الله تعالى يكون أعرف الناس بقوانين الوقايه الصحيحه وأكثر الناس عملا بها وتمسكا بها فلا بد أن يكون أطول الناس عمرا وأكثرهم بقاء فى هذه الحياه ، وقد حدثنا التاريخ عن

أشخاص عمروا فى الدنيا مئات السنين مثل نوح (عليه السلام) الذى عمر أكثر من ألف وخمسمائه سنه وغيره كثيرون ممن عمر مدده تراوح بين المائه سنه والألف سنه وأحوالهم مذكوره فى بطون كتب التاريخ والمعمرين ومنهم مثلا سطيح كاهن الشام الذى عاش ثلاثين قرنه حسب نصوص التاريخ ومات بعد ولاده النبى محمد (صلى الله عليخ و آله) بمده قليله وقصته معروفه.. والواقع أن البحث حول الإمام المهدى (عليه السلام) يحتاج إلى تفصيل واسع لا يسعه المقام وسنعودإليه بمناسبه أخرى إن شاء الله .

والخلاصه هى: إن ثوره الحسين (عليه السلام) حفظت للمسلمين إسلامهم من خطر انقلاب جاهلى ماحق و عرفتهم بأعدائهم المتسترين بثياب الإسلام والحاكمين باسم الإسلام وبعثت فيهم روح الثوره والمعارضه ضد أولئك الأعداء وحفظت لهم شخصيتهم الإسلاميه وقد أجاد المرحوم السيد جعفر الحلى رحمه الله حيث قال : يوم بحاميه الإسلام قد نهضت

له حميه دين الله إذ تركا

رأى بأن سبيل الغنى متبع

والرشد لم تدر قوم أيه سلكا

والناس عادت إليهم جاهليتهم

كأن من شرع الإسلام قد أفكا

وقد تحكم بالإسلام طاغيه

يمسى ويصبح بالفحشاء منهمكا

لم أدرى أين رجال المسلمين مضوا

وكيف صار يزيد بينهم ملكا

العاصر الخمر من لؤم بعنصره

ومن خساسه طبع يعصر الودكا

لئن جرت لفظه التوحيد من فمه

فسيفه بحشا التوحيد قد فتكا

قد أصبح الدين منه يشتكى سقمه

وما إلى أحد غير الحسين شكا

فما رأى السبط للدين الحنيف شفا

إلا إذا دمه فى كربلا سفكا

وما سمعنا على لا علاج له

إلا بنفس مداويه إذا هلكا

ص: ۱۵۵

نفسى الفداء لفاد شرع والده

بنفسه وبأهليه وما ملكا

بقتله فاح للإسلام نشرهدى

وكلما ذكرته المسلمون ذكا

ص: ١٥۶

هل يصح البكاء على الحسين (عليه السلام) وهو الثائر الفاتح؟

يقول الأعسم رحمه الله وهو يخاطب الحسين (عليه السلام) :

تبكيك عينى لا لأجل مثوبه

لكنما عينى لأجلك باكيه

تبتل منكم كربلا بدم ولا

تبتل منى بالدموع الجاريه

تعرفنا فى بحث سابق على أن الذين قتلوا الحسين (عليه السلام) بكربلا لم يكونوا شيعه ولم يكن فيهم شيعى واحد قط . وعليه : فبكاء الشيعه اليوم وقبل اليوم على مصاب الحسين (عليه السلام) ليس بدافع الشعور بالإثم أو لغرض التكفير عن جريمه الآباء حسب ما يتهمهم المغرضون ويشوه عليهم الجاهلون .

والسؤال الآن هو:

إذا ما وجه الصحه وما المبرر فى بكاء الشيعه على الحسين (عليه السلام) بعد علمنا أن الحسين ثائر ناجح فى ثورته محقق لكثير من أهدافه الساميه فى إظهار الحق وفضح الباطل، فلماذا هذا النوح والبكاء والأسى ومظاهر الحداد فيكل عام؟.

فنقول : أولا إن البكاء والتأثر على الحسين (عليه السلام) ليس فرضا إسلاميه ولا واجب شرعيه ولا ركن من أركان التشيع بحيث لا يتم بدونه ولا يتحقق بتركه .

وإنما هو ظاهره حب وولاء للحسين (عليه السلام) وهل يمكن أن تنزل نكبه ومصيبه بحبيب لك و عزيز عليك ثم لا تبكى ولا تتأثر منها. والحسين (عليه السلام) حبيب كل مؤمن وعزيز كل إنسان وقد أصيب بأعظم المصائب وأفدح الكوارث لأجل الحق والعداله دفاعا عن الإيمان والإنسانيه فكيف لا يبكيه أو لا يتأثر عليه الإنسان. ومع غض النظر عن هذا فإن فى البكاء عليه وجوهه أخرى اللحسن والصحه نذكر بعضها فيما يلى:

الوجه الأول : توقع الثواب من الله سبحانه والأجر منه تعالى فى الآخره حيث أن فى البكاء على الحسين (عليه السلام) تأسى بالنبى الأكرم وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) إذ قد ثبت بالتواتر أن رسول الله (صلى الله عليخ و آله) كان يعلم بما جرى على الحسين (عليه السلام) بعده وبكى على مصابه فى عده مواطن ولعن قاتليه وعبر عنهم بأشرار الأمه. وكذلك ابنته فاطمه الزهراء (عليها السلام) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسن السبط (عليه السلام) قد ثبت عنهم فى الأخبار الصحيحه أنهم بكوا على مصاب الحسين (عليه السلام) كلما تذكروه.

وأما بكاء الأئمه المعصومين على الحسين (عليه السلام) بعده فمعروف مشهور فهذا مثلا الإمام زين العابدين (عليه السلام) عاش بعد أبيه الحسين خمسه وثلاثين سنه ما قدم بين يديه طعام ولا شراب إلا وتذكر أباه الحسين (عليه السلام) وبكى وهو يقول : كيف آكل وقد قتل أبى جائعا وكيف أشرب وقد قتل أبى عطشانا؟(١) وذلك إمامنا موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) الذى كان إذا أهل عليه شهر المحرم لا يرى ضاحكه حتى تمضى منه تسعه أيام فإذا كان اليوم العاشر منه كان يوم بكائه ومصيبته وحزنه .(٢)

١- راجع وسائل الشيعه: ج٢ ص٢٨٢ ح ٣٦٥٨

٢- راجع وسائل الشيعه: ج١۴ ص ۵٠۴ ح١٩۶٩٧

وقبله أبوه الإمام الصادق (علیه السلام) الذی دخل علیه الراوی یوم العاشر من المحرم فوجده کاسف اللون باکیا حزینه وکان غافلا عن یوم عاشوراء فلما سأل الإمام (علیه السلام) عن السبب قال (علیه السلام) : «أو غافل أنت عن هذا الیوم الذی قتل فیه الحسین (علیه السلام) ، فمن جعله یوم حزنه ومصیبته جعل الله له یوم القیامه یوم فرحه وسروره وقت بنا فی الجنان عینه.(۱) إلی أن قال (علیه السلام) : «إن یوم الحسین أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذل عزیزنا وأورثنا الکرب والبلاء إلی یوم الانقضاء فعلی مثل الحسین فلیبک الباکون فإنه ذبح کما یذبح الکبش.(۲)

ولا تنسی الإمام الرضا (علیه السلام) الذی یقول عنه دعبل بن علی الخزاعی رحمه الله أنشدته فبکی حتی أغمی علیه فأمسکته حتی أفاق فقال : أنشد یا دعبل، فأنشدته فبکی حتی أغمی علیه ثانیه وهکذا إلی ثلاث مرات . وهو القائل (علیه السلام) : «کل جزع وبکاء مکروه للعبد إلا الجزع والبکاء علی الحسین (علیه السلام) فإنه فیه مأجور».(۳)

فکیف لا یحسن البکاء علی الحسین (علیه السلام) والحزن والحداد علی مصابه بعد أن بکاه النبی محمد (صلی الله علیخ و آله) وآله أهل بیت العصمه. وهل التأسی برسول الله مکروه وقبیح بعد أن أمرنا الله تعالی فی کتابه العزیز بالتأسی به علی وجه عام فقال سبحانه : «لَقَدْ کَانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ لِمَنْ کَانَ یَرْجُو اللَّهَ وَالْیَوْمَ الْآخِرَ وَذَکَرَ اللَّهَ کَثِیرًا »(۴)

وهل یسوغ للمؤمن أن یرغب عن التأسی بآل البیت (علیهم السلام) بعد أن ثبت

۱- راجع وسائل الشیعه: ج۱۴ ص ۵۰۴ ح۱۹۶۹۶

۲- رجع بحار الأنوار: ج۴۴ ، ص۲۸۳ ح ۱۷ و۲۲.

۳- راجع وسائل الشیعه: ج۱۴ ص۵۰۶ ح۱۹۷۰۲.

۴- سوره الأحزاب: ۲۱.

عنده أن يوم الحسين (عليه السلام) كان مثاره للحزن ومدعاه للأسى والبكاء بالنسبهلهم (عليهم السلام) دائمه وفى كل الأحوال والمناسبات، ورد فى أحوال الإمام الصادق (عليه السلام) أنه كان إذا ذكر جده الحسين (عليه السلام) أو ذكر عنده لا يرى ضاحكه طيله ذلك اليوم وتغلب عليه الكآبه والحزن. وكان (عليه السلام) يتسلى عن المصائب التى ترد عليه من قبل الأعداء مصائب الحسين (عليه السلام) فمن ذلك مثلا :

لما أمر المنصور الدوانيقى عامله على المدينه أن يحرق على أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) داره فجاءوا بالخطب الجزل ووضعوه على باب دار الصادق (عليه السلام) وأضرموا فيه النار فلما أخذت النار ما فى الدهليز تصايحن العلويات داخل الدار وارتفعت أصواتهن فخرج الإمام الصادق (عليه السلام) وعليه قميص وإزار وفى رجليه نعلان وجعل يخمد النار ويطفئ الحريق حتى قضى عليها فلما كان الغد دخل عليه بعض شيعته يسلونه فوجدوه حزينه باكيه فقالوا: ما هذا التأثر والبكاء أمن جرأه القوم عليكم أهل البيت وليس منهم بأول مره؟ فقال الإمام عليه : لا.. ولكن لما أخذت النار ما فى الدهليز نظرت إلى نسائى وبناتى يتراكضن فى صحن الدار من حجره إلى حجره ومن مكان إلى مكان هذا وأنا معهن فى الدار فتذكرت روعه عيال جدى الحسين عليه يوم عاشوراء لما هجم القوم عليهن ومناديهم ينادى أحرقوا بيوت الظالمين .

فالغرض : إن البكاء على الحسين (عليه السلام) والتأثر من مصائبه وإظهار الحزن والأسى يوم قتله كل ذلك أمر محبوب و مرغوب فيه لأنه من التأسى برسول الله (صلى الله عليخ و آله) وبأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) وقد قال الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) فى كلمته المعروفه : «شيعتنا منا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا .. الخ .(۱)

الوجه الثانى: تعظيم شعائر الحسين (عليه السلام) وتعزيز عظمته وتكريم مقامه أمام

۱- راجع بحار الأنوار: ج۶۵ ص۱۷ ح۲۴

الرأى العام حيث ورد عن الرسول (صلى الله عليخ و آله) قوله : « ميت لا- بواكى عليه لا- إعزاز اله» أى لا- احترام له. وهو أمر طبيعى لأن القيمه المعنويه للفقيد وعظمته الإنسانيه تعرف عند من لا يعرفونه من عظيم أثر فقده فى نفوس عارفيه وكلما عظم الفقيد عظم مصابه على الناس ولذا غضب رسول الله (صلى الله عليخ و آله) لما لم يسمع البكاء على عمه حمزه بن عبد المطلب بعد رجوعه من معركه أحد، وذلك لأن حمزه لم يكن عنده أحد فى الدار يبكون عليه فقال النبى (صلى الله عليخ و آله) متأثره وخاصه لما سمع البكاء على الشهداء من الأنصار: «ولكن عمى حمزه لا بواكى عليه (١)، فلما سمع الأنصار بعثوا إلى دار حمزه من يبكى عليه فسر رسول الله (صلى الله عليخ و آله) وقال : «على مثل حمزه فلتبكى البواكى .. (٢) فلا شك فى أن الميت الذى لا- يبكى لفقده ولا يحزن على موته لا قيمه له فى نظر الناس وإن ذلك دليل حقارته وضعف شخصيته ومقامه وهذا أمر عرفى ومنطقى ، وقد أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * «وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ*«وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * «كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ » (٣)

معلوم أن الغرض من بكاء السماء والأرض هو أهل السماء وأهل الأرض، أى أنهم ماتوا غير مأسوف عليهم ولم يؤثر موتهم حزنا فى نفس أحد ولا فقدهم فراغا فى الحياه بعدهم، وهذا دليل هوانهم على الناس واحتقارهم فى نظر الناس وانعدام احترامهم بين الناس رغم قوتهم وقدرتهم الماليه ورغم ملكهم وسلطانهم الذى كانوا قد فرضوه على الناس .

١- راجع وسائل الشيعه: ج٣ ص ٢٤١ ح ٣٥١٦.

٢- راجع أزواج النبى وبناته: ص٧٢.

٣- سوره الدخان: ٢٥- ٢٩.

سئل الإمام على (عليه السلام) : ما هو حسن الخلق يا أمير المؤمنين؟.

فقال (عليه السلام) : «هو أن تعاشروا الناس معاشره إن عشتم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم .(۱)

وقد أوصى الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أن تستأجر له نوادب بعد موته يندبوا عليه يمنى من مكه أيام موسم الحج ولمده عشر سنوات إظهاره لمقامه المجهول لدى عامه الناس بسبب ظلم الأمويين واضطهادهم له (عليه السلام) .

فأى وسيله يمكن أن يعبر بها عن عظم منزله الفقيد بين أصحابه ومحبيه أقوى دلاله وأوضح تعبيره من البكاء عليه ثم أى ظاهره أدل وأوضح تعبيرا عن شديد حبنا للفقيد وعظيم تعلقنا بالفقيد من ظاهره البكاء عليه وجريان الدموع لموته .

وهل رأيت أو سمعت أن زعيمه شعبيه فى العالم مات أو قتل ولم يبك عليه أتباعه وأنصاره وشعبه ، ولم يجعلوا يوم وفاته يوم حداد وأسى وخاصه إذا كان موته بصوره مفجعه وقاسيه وتقتل أولاده وأطفاله وإخوانه وعشيرته وتقطع رؤوسهم وترض أجسادهم بحوافر الخيل وتحرق خيامه على نسائه وينهب ثقله وو... إلى آخر ما هناك من صور إجراميه ووحشيه تقشعر منها الجلود وتتفتت الأكباد والقلوب .

ولا يقال هنا بأن حادثه الحسين (عليه السلام) قديمه جدا قد مضى عليها أكثر من ثلاثه عشر قرن فإلى متى هذا البكاء لها والحزن عليها، وكل فقيد فى العالم مهما عظم فإنما يبكى عليه لأيام معدوده ثم يطوى ذكره فى زوايا التاريخ وبطون الكتب؟! .

الأنا نقول:| أولا: إن عظمه الحسين (عليه السلام) تفوق عظمه كل عظيم فى العالم بعد جده

۱- سوره الدخان: ۲۵-۲۹.

المصطفى (صلى الله عليخ و آله) وأبيه المرتضى (عليه السلام) فقياسه على غيره من عظماء الإنسانيه قياس مع الفارق الكبير .

وثانيا: إن الكيفيه التى فقد عليها الحسين (عليه السلام) لم يفتقد عليها حتى الآن أى فقيد قط، قتل جائعا عطشانا شعثا مغبره غريبه وحيده ثاكلا مكروبا مستضعفه يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار ويستعين فلا يعان يسمع ضجيج عياله وصراخ أطفاله وهم بين الآلاف من الأعداء ينتظرون منهم كل مكروه. ومن الناحيه الثانيه ينظر إلى قومه وصحبه حوله مجزرين كالأضاحى، مع العلم بأن الذين قتلوه هم أمه جده المصطفى الذين ثار لأجلهم وقام لإنقاذهم من الظلم والاضطهاد .

لذلك فإن فقده فريد فى بابه جديد أبده ودائمه لا يؤثر عليه مرور الزمن ولا يخفف من وقعه تعاقب القرون والأجيال فهو كما قال عنه الأدباء والشعراء قديما وحديثا .

فقال بعضهم:

فقيد تعفى كل رزء ورزءه

جديد على الأيام سامى المعالم

وقال الآخر:

وفجائع الأيام تبقى مده وتزول

وهى إلى القيامه باقيه

وقال الآخر:

كذب الموت فالحسين مخلد

كلما مرت الدهور تجدد

وقال آخر:

مصاب له طاشت عقول ذوى الحجا

إذا ماتعفاكل رزء تجددا

لقد صلب المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) حسب زعم المسيحيين قبل ألفى عام تقريبا، وهاهم المسيحيون لا يزالون يجددون ذكرى صلبه كل عام ويبكون له ويحزنون، وقد اتخذوا من خشبه صلبه شعارا عاما لهم يرفعونه

فوق كل المؤسسات والجمعيات والكنائس معلنين بذلك أسفهم وحزنهم على مصابه ومأساته ، مع العلم بأن مأساه المسيح (عليه السلام) بسيطه جدا فى جنب مأساه الحسين عليه . فلماذا يلام الشيعه على حزنهم وبكائهم لمأساه الحسين (عليه السلام) ولا يلام غيرهم على الحزن والبكاء لمأساه سائر العظماء..

والخلاصه هى: أن هناك شخصيات و حوادث فى العالم لا يستطيع التاريخ هضمها ولا الزمان إسدال الستار عليها ولا الأجيال نسيانها لسبب بسيط ، وهو عقم الأيام عن الإتيان بمثلها، وفى طليعه تلك الشخصيات شخصيه الحسين (عليه السلام) وفى طليعه تلك الحوادث حادثه عاشوراء.

الوجه الثالث: هو أن البكاء على الحسين (عليه السلام) يرمز إلى تأييد الحسين (عليه السلام) فى ثورته المباركه وإعلان الثوره العاطفيه على الظلم والظالمين، والتعبير عن أعمق مشاعر الاستنكار والسخط ضد أعداء الحق والعدل ، والإعراب عن الأسف على عدم وجودنا فى صفوف أصحاب الحسين سادات الشهداء الخالدين وعدم نيلنا توفيق وسعاده نصره الحسين (عليه السلام) فى يوم عاشوراء . فيا ليتنا كنا معك أبا عبد الله فنفوز فوزا عظيما. لبيك داعى الله إن لم يجبك بدنى عند استغاثتك ولسانى عند استنصارك فقد أجابك قلبى وسمعى و بصرى ..

هذا لسان حال شيعه الحسين فى كل مكان وزمان فإجابه القلب بالإيمان بمبدأ الحسين الذى قتل لأجله، وإجابه السمع بالاستماع إلى سيره الحسين وأقواله، وإجابه البصر سكب الدموع على مآسى الحسين (عليه السلام) .

فالبكاء لكل واحد من هذه الأهداف والغايات الثلاث أمر طبيعى و عقلائيوظاهره فطريه خيره من ظواهر الفطره السليمه التى وقاها الله تعالى من نكسه القساوه والغلظه و تحجر الضمير وهى أخطر الأمراض النفسيه والانحرافات الروحيه التى يتعرض لها بعض الأفراد و قانا الله شرها وهى المعبر عنها بموت القلب .

وإليك ما قاله الأستاذ العقاد ص ۱۹۰ من كتابه (أبو الشهداء) : «إن الطبايع الآدميه قد أشربت حب الشهداء والعطف عليهم وتقديس ذكرهم بغير تلقين وإنما تنحرف عن سواء هذه السنه لعوارض طارئه تمنعها أن تستقيم أو من نكسه فى الطبع، لأن العطف الإنسانى نحو الشهداء هو كل ما يملك التاريخ من جزاء.. الخ..

هل تتصور أيها القارئ الكريم إنسان يستمع إلى تلك المآسى الجسام التى وقعت على الحسين (عليه السلام) و آله من الصغار والكبار والرجال والنساء ولا ينكسر قلبه ولا يتأثر وجدانه ولا يتحرك ضميره ثم تعتبره إنسانه طبيعيه سليم الفطره؟ كيف وقد قال الحسين (عليه السلام) نفسه فى المأثور عنه: «أنا قتيل العبره ما ذكرت عند مؤمن إلا استعبر . (۱)

وجاء فى الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليخ و آله) : «جفاف العيون من قساوه القلوب وما ضرب بن آدم بعقوبه أشد عليه من قساوه القلب» وقد وصفالله سبحانه المؤمنين بقوله : «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ »(۲)

والخلاصه: لم يجد الخبراء وعلماء النفس والأخلاق بين الصفات الإنسانيه كلها صفه أفضل وأشرف من الرحمه ورقه القلب على الآخرين حتى أن بعض الفلاسفه عدل عن تعريف الإنسان بالحيوان الناطق وهو التعريف المشهور . عدل عنه إلى أنه (حيوان ذو عطف) وعليه فلا إنسانيه مطلقه بدون العطف على مصائب الآخرين وبدون الرحمه ورقه القلب على نكبات المظلومين ومآسى المنكوبين .

والحقيقه أن الشيخ الأعسم رحمه الله قد مثل فى البيتين السابقين شعور كل

۱- راجع كامل الزيارات: ص۱۰۸ ح۳

۲- سوره الفتح: ۲۹.

إنسان سليم الفطره تجاه الحسين (عليه السلام) حيث قال :

تبكيك عينى لا لأجل مثوبه

لكنما عينى لأجلك باكيه

تبتل منكم كربلا بدم ولا

تبتل منى بالدموع الجاريه

ص: ۱۶۶

ما الحكمه من زياره قبر الحسين (عليه السلام) ؟

قال بعض الأدباء :

بزوار الحسين خلطت نفسى

لتحسب منهم يوم العداد

فإن عدت فقد سعدت وإلا

فقد فازت بتكثير السواد

وهذه ظاهره أخرى عند الشيعه لم تسلم أيضا من النقد أحيانا ومن التساؤل والاستفهام عنها أحيانا أخرى وهى زياره قبر الحسين (عليه السلام) بكربلاء من أرض العراق فى مواسم عده من أيام السنه وخاصه يوم عاشوراء وهو يوم ذكرى مصرعه ويوم الأربعين أى العشرين من شهر صفر وهو يوم ذكرى عوده الرأس الشريف من الشام والتحاقه بالجسد على يد الإمام زين العابدين (عليه السلام) الذى عاد فى ذلك اليوم مع السبايا من الشام فى طريقهم إلى المدينه المنوره فصادف وصولهم إلى كربلاء فى يوم الأربعين بعد قتل الحسين (عليه السلام) .

وهناك مواسم أخرى لزياره قبر الحسين فى خلال السنه مثل ليله النصف من شعبان وليله القدر من شهر رمضان ويوم عرفه ويوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى وغيرها تمتلئ فيها مدينه كربلاء بالزائرين من الشيعه والقادمين إليها من كل مكان .

وهذه الظاهره ليست جديده عند الشيعه وإنما هى سنه مستمره بينهم منذ تاريخ قتل الحسين ومنذ سنه إحدى وستين هجريه حتى الآن وقد حافظوا على

القيام بزياره قبر الحسين بكل إمكانياتهم وقابلوا لأدائها تحديات جمه كلفتهم الأموال والأنفس فى كل من العهدين المشؤومين الأموى والعباسى.

والآن وفى عصرنا يوجد أناس يتساءلون : ما هو الغرض العقلائى من زياره قبر الحسين وخاصه إذا كانت الزياره تستلزم شد الرحال و تجشم عناء السفر وصرف الأموال؟!.

نقول : إن زياره قبر الحسين (عليه السلام) خير موضوع فمن شاء استقل ومن شاء استكثر، على حد تعبير الإمام الصادق (عليه السلام).(١)

أجل إنه عمل صالح و موضوع حسن و محبوب عقلا و شرعا، أما حسنه من الناحيه العقليه فلأن تقديس العظماء وتمجيد الأبطال بعد موتهم نزعه فطريه وسنه عقلائيه سائده فى كافه أنحاء العالم وبين جميع الأمم والشعوب العالميه والحضارات الإنسانيه منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا، بل إن عصرنا هذا وجيلنا الحاضر هو أكثر تمسكا وأشد محافظه على هذا التقليد من السابق فنرى بعض الدول التى ليس لها زعيم سابق معروف وبطل عالمى شهير تمجد فيه البطوله والفداء فى سبيل الأمه ، يعمدون إلى بناء نصب تذكارى يسمونه الجندى المجهول) يرمزون به إلى التضحيه الفذه والفداء المثالى فى سبيل الوطن، ويمجدون فيه البطوله والشهامه . وها نحن نسمع ونقرأ ونرى إنه ما من رئيس دوله زار أو يزور دوله أخرى فى الشرق أو فى الغرب إلا وكان فى برامج زيارته موعد خاص لزياره ضريح عظيم تلك الدوله أو مؤسسها أو محررها، أو زياره النصب التذكارى فيها للجندى المجهول ، فيضع على ذلك الضريح أو ذلك النصب إكليلا من الزهور ويؤدى التحيه المرسومه .

حتى الدول الشيوعيه التى نبذت كل التقاليد العامه والمراسيم القديمه فإنهم

١- راجع الحدائق الناضره: ج۶ ص ٨٠.

لا يزالون محتفظين بهذا التقليد ولا يمكن أن يزور زائر رسمى زياره رسميه للاتحاد السوفياتى السابق مث ما لم يقصد قبر لينين مفجر الثوره الشيوعيه فى روسيا ويؤدى التحيه لقبره، ومما يذكر بهذه المناسبه أن من مراسيم الأعياد عند أهالى موسكو أن يزوروا ضريح لينين كل عيد وفى كل مناسبه ، وفى الولايات المتحده الأمريكيه لا يزال ضريح الرئيس جون كندى القتيل بزار من قبل آلاف الأمريكان فى الأعياد والمناسبات وربما يكون عليه أحيانا.

والخلاصه: هى أن زياره قبور الأبطال ومراقد العظماء وأضرحه الشهداء سيره عقلائيه وسنه إنسانيه لا تخص قوما أو أمه أو طائفه فلماذا يلام الشيعه أو ينتقدون إذا زاروا مرقد الإمام الحسين بكربلاء وهو سيد الشهداء الأحرار وقدوه القاده الأبطال والمثل الأعلى لرجال الإصلاح والفداء فى العالم، الذى أنقذ أمته من خطر المحو والزوال ودفع بها نحو الأمام والسير على الطريق المستقيم بعد أن كلفه ذلك جميع ما ملك فى هذه الحياه، ففى زياره قبر الحسين (عليه السلام) من المكاسب الروحيه والفوائد الفكريه والأخلاقيه ما ليس مثلها فى زياره أى مرقد وضريح آخر.

ولذا قال الإمام الصادق (عليه السلام) : «من زار الحسين (عليه السلام) عارفا بحقه فكأنما زار الله فى عرشه».(١)

وفى حديث آخر عنه (عليه السلام) قال : «زياره الحسين (عليه السلام) فرض على كل من يؤمن للحسين بالولايه»(٢)

ألا ترى الشعوب الغير المسلمه تنحت الصور وتقيم التماثيل لرجالها المصلحين فى الساحات العامه والمواقع الحساسه من مدنها .. لماذا يصنعون

١- راجع تهذيب الأحكام: ج٦ ص ٥١ ح ٣٥

٢- راجع وجوب معرفه الإمام المعصوم بعد النبى: ص٢٩٦

ذلـك، لاـ شـك أنـك تعرف أنهم يفعلون ذلـك تكريما لـذكراهم وشـكرا التضـحياتهم وتلقينا لسـيرتهم وعملهم إلى الشـباب الحاضـر والأجيال القادمه، غير أن الإسـلام يحرم النحت وصـنع التماثيل مطلقا ولأى شخص كان فلذا ليس أمامنا نحن المسلمين لأجل تكريم زعماءنا المخلصـين وشـهداءنا الأحرار لأجل الإعراب عن شكرنا لهم ولأجل تلقين أجيالنا الطالعه سيرتهم ومبادئهم إلا زياره قبورهم والوقوف أمام مراقدهم خاشعين مستوحين منها ذكريات التضحيه والفداء فى سبيل المصلحه العامه .

هذا منطق الشـيعه وفلسـفتها لهذه الظاهره وهو كما تراه منطق العقل فى كل زمان ومكان ، وفى الختام إليك نبذه من كتاب (أبو الشهداء) للعقاد حول هذا الموضوع قال فى ص١٢٩:

وشاءت المصادفات أن يساق ركب الحسـين (عليه السـلام) إلى كربلاء بعـد أن حيل بينه وبين كل وجهه أخرى، فاقترن تاريخها منـذ ذلك اليوم بتاريـخ الإسـلام كلهومن حقه أن يقترن بتاريخ بنى الإنسان حيثما عرفت لهذا الإنسان فضـيله يسـتحق بها التنويه والتخليـد ، فهى – أى كربلاء – اليوم حرم يزوره المسـلمون اللعبره والذكرى ، ويزوره غير المسـلمين للنظر والمشاهده ولكنها – أى كربلاء – لو أعطيت حقها من التنويه والتخنيد لحق لها أن تصـبح مزاره لكل آدمى يعرف البنى نوعه نصيبا من القداسه وحظ من الفضـيله لأننـا لاـ نـذكر بقعه من بقاع هـذه الأرض يقترن اسـمها بجمله من الفضائل والمناقب أسـمى وألزم لنوع الإنسان من تلـك التى اقترنت بـاسم كربلاء بعـد مصـرع الحسـين (عليه السـلام) فيها، فكل صـفه من تلك الصـفات العلويه التى بها الإنسان إنسـان وبغيرهـا لاـ يحسب إلاـ ضـربا من الحيـوان السـائم فهى مقرونه فى الـذاكره بأيـام الحسـين (عليه السـلام) فى تلـك البقعه الجرداء» انتهى محل الشاهد من كلام العقاد.

وقد التزم أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم بالحفاظ على زياره الحسين (عليه السلام) فى

ظروف صعبه وشاقه وقد كلفتهم تضحيات غاليه ، ففى عصر المتوكل العباسى مثلا فرضت ضريبه ماليه قدرها ألف دينار من ذهب على كل شخص يرد كربلاء لزياره قبر الحسين (عليه السلام) ، ولما رأت السلطات العباسيه أن هذه الضريبه الباهظه لم تمنع الناس من زياره الحسين (عليه السلام) أضافوا إليها ضريبه دمويه فكانوا يقتلون من كل عشره زائرين واحد يعين من بينهم بطريق القرعه. وكان أئمه أهل البيت (عليهم السلام) يعلمون ذلك كله ولم يمنعوا الناس من زياره الحسين (عليه السلام) لما فيها من مكاسب روحيه واجتماعيه وسياسيه للمؤمنين. بل يحثونهم على الاستمرار فى زياره قبر الحسين (عليه السلام) رغم كل الصعاب والعقبات ، ويقولون لهم أن لزائر قبر الحسين عليه بكل خطوه يخطوها حسنه عند الله سبحانه .

هل فی مراسیم عاشوراء عمل حرام شرعا؟

أکثر ما یثیر الاستغراب والتساؤل فی مظاهر عاشوراء عند الشیعه هو ما یقوم به بعضهم من مظاهر عزائیه قاسیه تتصف بالعنف أحیانا مثل اللطم علی الصدور العاریه والضرب علی الظهور والأکتاف المجرده بالسلاسل الحدیدیه الجارحه وإدماء الرؤوس بالسیوف وغیر ذلک.. مما یثیر الاستغراب لدی البعض بل یثیر الاستهجان والانتقاد لدی البعض الآخر ویتساءلون لماذا یفعل هؤلاء هکذا بأنفسهم؟ ولماذا لا یمنعهم العلماء ورجال الدین؟ وهل أن هذه الأعمال جائزه شرعا وصحیحه بحسب العرف العقلائی؟.

والجواب علی هذا السؤال هو:

إن تلک الأعمال من حیث الأصل مباحه شرعا إذا کان القیام بها لهدف مشروع وغرض عقلائی ولم یترتب علیها ضرر کبیر أو خطر علی حیاه الإنسان، هذا ما یقوله العلماء مراجع التقلید العلیا فی کل زمان ومکان.

هذا من حیث الأصل، وأما قیام الشیعه بها فی عاشوراء فهو أولا لأغراض عقلائیه مشروعه وبدافع الحب والولاء الشدید للحسین (علیه السلام). فهم بتلکالأعمال یعبرون عن تأسیهم بالحسین (علیه السلام) ومواساتهم له فی تحمل ألم الجراح وجریان الدماء وفی نفس الوقت یمثلون بها دور العمل الفدائی فی سبیل قضیه الحسین (علیه السلام) التی استشهد دفاعا عنها، ویظهرون استعدادهم للتضحیه من أجلها بکل غال و عزیز. بالإضافه إلی أنها - أی تلک الأعمال - عندهم

كتظاهره كبرى ضد أعداء الحسين (عليه السلام) الذين يخطئون الحسين (عليه السلام) فى قيامه ذد الدوله الأمويه ويبررون إقدام يزيد على قتل الحسين (عليه السلام) وهؤلاء موجودون بيننا وفى عصرنا بكثره!، ومن جهه أخرى هى كتأييد عملى ودعم شعبى لثورته المقدسه وبالتالى هى استنكار صارخ للظلم والعدوان وتأييد للتحرر والإصلاح فى كل زمان ومكان، كيف لا ومظاهر القسوه والعنف فى أعمال الاحتجاج أمر متداول فى عصرنا هذا، فكم نسمع عن أشخاص أحرقوا أنفسهم حتى الموت وأضربوا عن الطعام حتى أشرفوا على الموت كل ذلك احتجاجا على ظلم أو اعتداء فلم يسخر منهم شباب العصر بل يعتبرونهم بذلك أبطالا مناضلين ، ولكن إذا قام شيعه أهل البيت بما هو أقل من ذلك وأبسط اتهموا بالسخف والرجعيه والوحشيه .. لماذا؟

أضف إلى ذلك أن قيامهم بتلك الأعمال هو بمثابه تدريب وتمرين على خلق الروح النضاليه وعلى عمل التضحيه والاستشهاد عندهم ليكونوا دائما وأبداعلى استعداد تام لتلبيه نداء الحق وداعيه الثوره الإصلاحيه العالميه فى أى وقت .

لا شك أن الروح النضاليه الفعاله والمعنويه العسكريه الراقيه لا تتحققان لدى شباب الأمه بمجرد بعض التمارين الحاليه الجوفاء والتمثيليات الفارغه التى لا تخلق سوى جيش انهزاميه فراره غير كرار يصدق عليهم قول الشاعر العربى القديم :

وفى الغزوات ما جربت نفسى

ولكن فى الهزيمه كالغزال

ويصدق عليهم قوله تعالى : «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ»(۱)

۱- سوره المنافقون: ۴.

أجل إن الاستهانه بالموت تحتاج إلى تهيوء وتدريب جدى وتمارين شاقه خشنه ، وإلا فالواقع ما قاله البطل الثائر زيد بن على بن الحسين (عليه السلام) : «ما كره قوم حر السيف إلا ذلوا». (۱)

والخلاصه: هى أن هذه دوافع الشيعه وأهدافهم لدى قيامهم بتلك الأعمال فى عاشوراء وهى كما تراها دوافع مشروعه وأهداف عقلائيه نافعه. هذا مع العلم بأنهم لا يرون فيها ضرره ولا يحسون منها خطره على صحتهم ولاعلى حياتهم حسب ما يؤكدونه هم أنفسهم القائمون بتلك الأعمال وحسب ما يشاهد منهم بالوجدان . بل الثابت منهم وعنهم عكس ذلك أى أنهم قد يستفيدون من بعضها فوائد صحيه . نعم قد تقع بعض الأخطاء من قبل بعض القائمين بتلك الأعمال أو من بعض المشرفين عليها فتؤدى عفوا إلى بعض الأضرار البسيطه وذلك نادره والنادر الشاذ لا يقاس عليه .

أما إذا أيقن أحد بحصول ضرر بالغ على نفسه من تلك الأعمال فلا يجوز له خاصه أن يقوم بها حتما.

هذه خلاصه وجهه نظر الشيعه ورأى علمائهم الكبار والمطابقه لفتاوى مراجعهم العليا فى النجف الأشرف وغيرها منذ خمسين عاما أو أكثر حتى اليوم، وتلك الفتاوى مجموعه ومدونه مع ذكر تواريخها وبنصوصها التفصيليه فى ضمن بعض الكتب المؤلفه حول موضوع الشعائر الحسينيه ، أو فى كراسات خاصه مطبوعه يمكنك الإطلاع عليها إذا شئت ولا أعلم مرجع دينيه من مراجع التقليد عند الشيعه سئل عن حكم هذه الأعمال العزائيه فى عاشوراء إلا وأجاب بالجواز والمشروعيه ، هذا مع العلم بأن هذه الأعمال كانت تحرى ويقوم بها الشيعه أيام عاشوراء منذ قديم الزمان وتحت سمع وبصر كبار

۱- راجع بحار الأنوار: ج۴۶ ، ص۱۸۱.

العلماء السابقين أرباب الكلمه النافذه واليد المبسوطه، أمثال الشيخ المفيد والكلينى والصدوق والسيد المرتضى والسيد الرضى والشيخ الطوسى والسيد مهدى بحر العلوم الكبير والشيخ جعفر الكبير والشيخ الأنصارى .. وهكذا إلى عصرنا هذا أمثال الميرزا النائينى والسيد أبو الحسن والشيخ كاشف الغطاء والسيد الحكيم وغيرهم.. فكانوا يؤيدون تلك الأعمال ويدعمونها ماديه ومعنويه ، وفى هذا دلاله كافيه على جواز تلك الأعمال ومحبوبيتها شرعا، وفيه أيضا قناعه كافيه لمن يطلب الحق ومعرفه الواقع، بدون تعنت وتصلب واستبداد فى الرأى .

أما الناقدون والمعارضون لتلك الأعمال العزائيه فليس عندهم سند منطقى ولا قاعده عامه عقلائيه يصح الاستدلال بها فى معارضتهم لها فإنهم يقولون مثلا : إن القيام بهذه الأعمال توجب السخريه والاستهزاء بهم من قبل الأجانب .

ونقول فى الجواب : إن السخريه والاستهزاء والاشمئزاز من قبل بعض الناس على عمل ما، لا يثبت فساد ذلك العمل ولا يقتضى تركه لمجرد ذلك ولا توجد قاعده عقلائيه تقول أن كل عمل أثار السخريه من قبل شخص أو أشخاص فذلك العمل باطل فاسد يجب تركه ، لا لشىء سوى استهزاء بعض الأشخاص البعيدين عن معرفته و حقيقته ، ولا يوجد عاقل فى العالم يؤمن بأن محض السخريه ومجرد الاستهزاء بشىء ما سبب كاف وعله تامه لفساد ذلك الشىء.

إذ لو كان الأمر هكذا لوجب على رسول الله (صلى الله عليخ و آله) فى بدء الدعوه أن يترك الرساله والدعوه إلى الإسلام، لماذا؟ لأن قريش صارت تستهزأ به وتسخر من دعوته وتشمئز منه لذلك ، أو لوجب عليه أن يترك الصلاه على الأقل لأنها كانت أكثر ما فى الإسلام إثاره لسخريه المشركين واستهزائهم منه بها. فهل ترك

الصلاه؟! طبعا كلا .

بل أقول لو كان مجرد استهزاء البعض على القيام بعمل ما يبرر تركه لكان يلزمنا نحن المصلين فى هذا العصر أن نترك الصلاه لأنها أصبحت موضع سخريه واستهزاء من قبل أكثر الشباب والمتمدنين من أهل زماننا هذا فهل يصح تركها لذلك خوف أن يقال لنا رجعيين ؟ وهاهو الحجاب للمرأه أصبح عيبا وعاره ومدعاه للسخريه والاتهام بالرجعيه فهل صار حراما وخلعه واجبه أو جائزه شرعا لذلك؟ وها هى أكثريه النساء فى البلاد الإسلاميه قد خلعن حجابهن وبرزن سافرات فهل أحسن بهذا صنعا؟.

وأعود فأكرر القول بأن مجرد استهزاء ومحض سخريه تصدر من أناس على أفعال وأعمال أناس آخرين لا يبرر الحكم على تلك الأعمال بالفساد والسوء حتى يثبت فساد تلك الأعمال من حيث العوامل والنتائج، فإذا كان العمل صحيح العوامل والأسباب وصحيح النتائج والثمرات بشكل عام، فحينئذ الاستهزاء به كهواء فى شبك «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ».(۱)

وإننى إذ أقول هذا لا أستبعد أن يكون أكثر هؤلاء المنتقدين للشعائر الشيعيه الحسينيه قد وقعوا تحت تأثير الدعايه الأمويه من حيث يشعرون أو لا يشعرون. تلك الدعايه التى نشطت بشكل ملحوظ فى السنوات الأخيره فى كثير من البلدان الشيعيه وبقصد القضاء نهائيه على كل أثر من ذكر ثوره الحسين (عليه السلام) . علما منهم بأن هذه الذكرى هى الوسيله الوحيده الباقيه للدعوه الصادقه المخلصه إلى الحق ومكافحه الباطل، من إحياء ذكرى الحسين فقط ترتفع أصوات المعارضه الصحيحه ضد الظلم والظالمين ، منهذه الذكرى

۱- سوره الرعد : ۱۷.

تنطلق الأضواء الكاشفه فتتسلط على كل زوايا المجتمع ومنعطفات طريق السعاده الاجتماعيه لتلفت أنظار الناس إلى ما أمامها من أخطار وعقبات فيتجنبونها ويواصلون سيرهم بسلام آمنين .

أيها القارئ الكريم؛ إن ساحه كربلاء يوم العاشر من المحرم سنه ۶۱ هجريه كانت أشبه بمسرح تمثيل فى جانب منه قام الحسين (عليه السلام) وأصحابه بتمثيل أروع دور المثاليه الإنسان وأسمى ما يمكن أن يرتفع إليه بروحه وخلقه وأريحيته بحيث لا يبقى فى الوجود ما هو أشرف منه وأفضل سوى خالقه العظيم.

فى الطرف الآخر قام أعداء الحسين (عليه السلام) بتمثيل أدنى وأسفل درك من الحضيض يمكن أن يتدنى إليه ويهوى فيه هذا البشر من اللؤم والخبث والقسوه والأنانيه بحيث يندى منه جبين الوحش ولا يبقى فى الوجود ما هو شر منه ولا أسوأ مطلقا. ولا تزال حوادث تلك المعركه هى المعالم الواضحه والحد الفاصل والسمات الظاهره بين الحق والباطل وهى المقياس الدقيق لمعرفه الخير من الشر إلى أبد الآبدين.

أجل إن معركه كربلاء لم تنتهى بنهايه يوم العاشر من المحرم بل هى لا تزال قائمه بصورها المختلفه وأحجامها العديده وفصولها المتغيره فى كل زمان ومكان، وما دام فى الحياه خير وشر وحق وباطل، وما أحسن تصوير الشاعر لهذا المعنى فى معركه كربلاء حيث قال :

كأن كل مكان كربلاء لدى

عينى وكل زمان يوم عاشوراء

فالحسين (عليه السلام) من وجهه نظر الشيعه وكل الخبراء فى العالم إنما هو رمز الخير والعدل والديمقراطيه الحقه والعداله الاجتماعيه .

والأمويون هم رمز الرذيله والجور والاستبداد والظلم الاجتماعى، وكل الأعمال العزائيه التى يقوم بها الشيعه أيام عاشوراء إنما يعبرون بها عن دعمهم

وتأييدهم للخير والعدل والحق، واستنكارهم وكرهم للظلم والباطل، وهذا دليل على وعيهم الاجتماعى ونضجهم السياسى الكامل حسب ما يؤكده الباحثون وحسبما هو واضح من ثوراتهم التحرريه عبر تاريخهم الطويل والملىء بالتضحيات .

ص: ١٧٩

متى بدأت أعمال الاحتفال بذكرى عاشوراء؟

قد يتوهم البعض أن شعائر الذكرى فى عاشوراء المتداوله لدى الشيعه اليوم، إنما هى أمور مستحدثه ودخيله لا أصل لها فى العصور الإسلاميه الأولى ، وبالتالى فهى من دسائس المغرضين والدخلاء الذين يضمرون الشر بالإسلام والمسلمين.

فأقول لهؤلاء: إن هذا الوهم خطأ لا يدعمه إلا الجهل بحقائق التاريخ وحوادث الماضى البعيد، ولا يبعد أن يكون هذا التوهم بذاته من وحى الدساسين وتلقين المغرضين أعداء الشيعه والتشيع.

أما إقامه مظاهر الحداد والاحتفال لذكرى عاشوراء فهى قديمه جدا قدم مأساه عاشوراء بالذات حيث بدأت مجالس العزاء والاجتماعات للنوح والبكاء على مأساه الحسين (عليه السلام) بعد مرور أيام قليله على مصرع الحسين (عليه السلام) وذلك بتوافد أهل الضواحى والسواد إلى كربلاء بعد رحيل الجيش، واجتماعهم رجالا ونساء حول قبر الحسين (عليه السلام) ، ولما عاد الإمام زين العابدين من الشام إلى كربلاء يوم الأربعين وجد أهل السواد مجتمعين حول قبر الحسين وقبور الشهداء بالحزن والحداد فاستقبلوه بالبكاء والعويل يتقدمهم الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الأنصارى رحمه الله ، ولما عاد أهل البيت إلى المدينه المنوره استقبلهم الناس بالحداد والأسى والنوح والبكاء وضجتالمدينه فى ذلك اليوم ضجه واحده حتى صار ذلك اليوم كيوم مات فيه رسول الله (صلى الله عليخ و آله) ثم أقيمت

مجالس العزاء فى أنحاء المدينه وخاصه فى حى بنى هاشم فكان مجلس الإمام زين العابدين ومجلس العقيله زينب ومجلس الرباب زوجه الحسين (عليه السلام) ومجلس أم البنين أم العباس بن على (عليه السلام) وغيرها تملأ أجواء المدينهبالكآبه والحزن والحداد .

وكان الإمام زين العابدين عليه (عليه السلام) كل فرصه لإثاره العواطف وإحياء ذكر المأساه فى نفوس الجماهير، فمن ذلك مثلا : مر ذات يوم فى سوق المدينه على جزار بيده شاه يجرها إلى الذبح فناداه الإمام (عليه السلام) : يا هذا هل سقيتها الماء؟ فقال الجزار: نعم يا بن رسول الله نحن معاشر الجزارين لا نذبح الشاه حتى نسقيها الماء، فبكى الإمام (عليه السلام) وصاح: وا لهفاه عليك أبا عبد الله الشاه لا تذبح حتى تسقى الماء وأنت بن رسول الله تذبح عطشانه.

وسمع (عليه السلام) ذات يوم رجلا ينادى فى السوق : أيها الناس ارحمونى أنا رجل غريب. فتوجه إليه الإمام (عليه السلام) وقال له : لو قدر لك أن تموت فى هذه البلده فهل تبقى بلا دفن؟ فقال الرجل : الله أكبر كيف أبقى بلا دفن وأنا رجل مسلم وبين ظهرانى أمه مسلمه ! فبكى الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقال : وا أسفاه عليك يا أبتاه تبقى ثلاثه أيام بلا دفن وأنت ابن بنت رسول الله (صلى الله عليخ و آله) واستمر أئمه الهدى (عليهم السلام) يحثون شيعتهم على التمسك بإحياء ذكرى عاشوراء رغم الإرهاب والضغط الذى مارسه الحكام ضدهم وكانوا هم صلوات الله عليهم يفتحون أبوابهم للشعراء والمعزين أيام عاشوراء منذ عصر الإمامين الباقر والصادق ××× حتى عصر الإمام على الرضا (عليه السلام) فى عهد المأمون العباسى الذى توسعت فيه شعائر الحسين (عليه السلام) وانتشرت مجالس العزاء أيام عاشوراء بتأييد من الإمام الرضا (عليه السلام) ودعم من المأمون.

فكانت دار الإمام الرضا (عليه السلام) فى أيام عاشوراء تزدحم بالناس يستمعون فيها إلى رثاء الحسين (عليه السلام) وكلمات الحث والتشويق والتشجيع من

الإمام (عليه السلام) فكان من أقواله المأثوره : «إن أهل الجاهليه كانوا يعظمون شهر المحرم ويحرمون الظلم والقتال فيه لحرمته ، ولكن هذه الأمه ما عرفت حرمه شهرها ولا حرمه نبيها فقتلوا فى هذا الشهر أبنائه وسبوا نسائه فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب»(۱)

ولم تزل شعائر عاشوراء تزداد وتتسع بما تلاقيه من الدعم والتأييد المعنوى من قبل أهل البيت (عليهم السلام) والعلماء الأعلام فى كل الأوساط الشيعيه حتى قامت الدوله الحمدانيه الشيعيه فأعطت شعائر عاشوراء قدره كبيره من الدعم والتأييد ثم قامت الدوله البويهيه الموالیه لأهل البيت (عليهم السلام) فوسعوا ذكرى عاشوراء وأعطوها صفه رسميه تعطل من أجلها الأسواق والأعمال والدوائر الحكوميه وتخرج المواكب العزائيه بالأعلام السود وشارات الحداد تحت رعايه وإشراف كبار العلماء وأقطاب رجال الدين .

فكانت بغداد مثلا فى عهد عضو الدوله الحسن بن بويه الديلمى، تخرج عن بكره أبيها يوم العاشر من المحرم فى مواكب عزائيه ضخمه يتقدمها رجال الدين والدوله، ولما قامت الدوله الفاطميه فى مصر والمغرب العربى انتقلت شعائر عاشوراء إلى تلك الأقطار ودامت حوالى القرنين من الزمن إلى أن قضى عليها الأيوبى بالقهر والإكراه .

ثم لما قامت الدوله الصفويه وملوكها علويون نسبا ينحدرون من سلاله الإمام السابع موسى الكاظم (عليه السلام) أيدوا شعائر عاشوراء ووسعوها ومثلوا واقعه كربلاء تمثيلا حيه تحت رعايه وتوجيه علماء الطائفه ومراجع التقليد أمثال العلامه الحلى والمحقق المجلسى وغيرهما رضوان الله عليهم أجمعين .

وهذا التمثيل له جذور فى سيره الأئمه المعصومين (عليهم السلام) فإنه قد أخذ من

۱- راجع وسائل الشيعه: ج۱۴ ص۵۰۴ ح ۱۹۶۹۷

حيث الأصل من ظاهره وردت فى مجلس الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أيام عاشوراء، فقد حدث شاعر أهل البيت الكميت بن زيد الأسدى رحمه الله قال : دخلت على أبى عبد الله الصادق يوم عاشوراء فأنشدته قصيده فى جده الحسين (عليه السلام) فبكى وبكى الحاضرون، وكان قد ضرب ستره فى المجلس وأجلس خلفه الفاطميات فبينما أنا أنشد الإمام يبكى إذ خرجت جاريه من وراء الستار وعلى يدها طفل رضيع مقمط حتى وضعته فى حجر الإمام الصادق (عليه السلام) فلما نظر الإمام إلى ذلك الطفل اشتد بكائه وعلا نحيبه وكذلك الحاضرون.

ومعلوم أن إرسال الفاطميات لذلك الطفل فى تلك الحال ما هو إلا بقصد تمثيل طفل الحسين (عليه السلام) الذى ذبح على صدر أبيه بسهم حرمله لعنه الله فى يوم العاشر من المحرم وهو عبد الله الرضيع، وغيره من الأطفال الذين قتلوا فى ذلك اليوم.

والخلاصه هى: إن إحياء ذكرى عاشوراء قديم عند الشيعه قدم المأساه نفسها فما زال أهل البيت وشيعتهم يحتفلون بذكرى تلك المأساه الفريده من نوعها منذ السنه الأولى لقتل الحسين (عليه السلام) وإلى اليوم يحدودهم لذلك الحب والولاء للحسين (عليه السلام) أولا، ثم خدمه الدين والدعوه إلى الحق وتركيز المفاهيم الإنسانيه لدى النشأ، ثانيا : والله من وراء القصد وهو ولى المؤمنين، وصدق الأديب الفاضل السيد جعفر الحلى رحمه الله حيث قال :

فى كل عام لنا بالعشر واعيا

تطبق الدور والأرجاء و السككا

وكل مسلمه ترمى بزينتها

حتى السماء رمت عن وجهها الحبكا

يا ميتأترك الألباب حائره

وبالعراء ثلاثه جسمه تركا

لماذا يلتزم الشيعه بالسجود على التربه الحسينيه من أرض كربلاء؟

هـذا السؤال كثيره ما يوجه إلى الشـيعه من قبل مخالفيهم منـذ القـدم وإلى الآن، وقـد لا يحصل المتساءلون على الجواب الشافى والرد المقنع الصـحيح لأن المسؤولين عن هـذا السؤال قـد لا يكونون من أهل العلم والاختصاص وطبيعى أن التعرف على تقاليد الأمه وعادات الطائفه يجب أن يكون عن طريقعلمائها وكتب عقائدها « وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا »(١)

والحقيقه هى أن الشـيعه لا يلتزمون بالسـجود على التربه الحسـينيه بالخصوص بل يلتزمون بالسـجود على التربه الطبيعيه مطلقه من أى مكان كانت سواء من أرض كربلاء أو من أى أرض فى العالم. بشرط أن تكون التربه طاهره من النجاسه ونظيفه من الأوساخ وطبيعيه أوليه ، يعنى غير مفخوره مثـل الخزف والسـمنت والجص ومـا شاكـل .. فإذا لم تحصل هـذه التربه بهـذه الشـروط حينئذ يجوزون السـجود على مـا تنبته التربه من أنواع النباتـات والأخشـاب وأوراق الأشـجار مما لا يؤكل ولا يلبس عاده. فالمأكول من النبات كالفواكه والخضر وما شاكلها التى يأكل منها الإنسان عاده وعرفا لا يصح السجود عليها وكذلك

١- سوره البقره: ١٨٩.

الأعشاب التی یصنع منها بعض الملبوسات عاده کالحریر الصناعی والقطن مثلا.

فأقول إن الشیعه لا یلتزمون بالسجود علی التربه الحسینیه وإنما یفضلونویرجحون السجود علیها فقط حیث یتیسر لهم السجود علیها .

وإلیک الآن أهم الأدله التی یستندون إلیها فی ذلک الالتزام وهذا التفضیل إما وجوب السجود علی الأرض الطبیعیه فلقول الرسول الأکرم (صلی الله علیخ و آله) فی الحدیث المتواتر بین المسلمین : «جعلت لی الأرض مسجدا وطهوره)(۱) فالأرض لغه وحسب مفهومها الحقیقی هی التراب أو الرمل أو الحجر الطبیعی دون المعادن کالذهب والفضه والفحم الحجری وسائر الأحجار الکریمه وغیرها کالجص والإسمنت والآجر وکل المفخورات الأخری، ولا یعدل عن هذا المعنی الحقیقی إلی غیره إلا بقرینه صارفه واضحه، ولا یوجد فی الحدیث مثل تلک القرینه.

وکلمه (مسجد) تعنی مکان السجود ، والسجود لغه هو وضع الجبهه علی الأرض تعظیمه، وهذا هو معناه الحقیقی الذی لا یعدل عنه إلا بقرینه لفظیه أو معنویه کما فی بعض الآیات الکریمه التی جاء فیها کلمه سجود أو مشتقاتها بمعنی الطاعه والانقیاد أو مطلق التعظیم والاحترام، مثل قوله تعالی : « وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَیْتُهُمْ لِی سَاجِدِینَ»(۲) وقوله تعالی :«وَلِلَّهِ یَسْجُدُ مَنْ فِی السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ »(۳) وفی غیرها« یَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِی السَّمَاوَاتِ »(۴) إلی غیر ذلک ..

۱- من لا یحضره الفقیه: ج ۱ ص ۲۴۰ ح ۷۲۴

۲- سوره یوسف: ۴.

۳- سوره الرعد : ۱۵

۴- سوره الحج: ۱۸.

(وطهوره) أى مطهره، فالأرض الطبيعيه تطهر الإنسان من الحدث عند فقد الماء بالتيمم، قال تعالى : « فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا » (۱) أى طاهره، والصعيد وجه الأرض مطلقه أو التراب الخالص خاصه. كما أن الأرض تطهر أيضا من الخبث كل ما لامسها مثل الإناء الذى ولغ فيه الكلب فإنه يعفر بالتراب سبعه وباطن الخف إذا مشى به الإنسان على الأرض الطبيعيه و باطن القدم كذلك وطرف العصا الملامس للأرض وما يشبه ذلك.

فعلى ضوء هذا الحديث يعرف أن السجود لا- يصح إلا- على الأرض الطبيعيه الفطريه حسب معناها اللغوى والحقيقى . وذلك بوضع الجبهه عليها مباشره بدون حائل بينها وبين الجبهه.

نعم هذا هو الفرض الإسلامى بالنسبه إلى السجود ولكن بما أن الأرض الطبيعيه الطاهره النظيفه قد لا تتيسر للسجود فى بعض الأمكنه مثل البيوت والمساجد التى غطى أرضها بالرخام المفجور أو الإسمنت أو ما شاكل ذلك أو التى فرش أرضها بالسجاد أو البسط الصوفيه أو القطنيه أو ما شابهها مما لا يصح السجود عليها . لذلك اتخذ الشيعه أقراصا من التراب الخالص الطاهر يصنعونها للسجود عليها طاعه لله تعالى وامتثالا- للفرض . فهذه الأقراص التى يسجد الشيعه عليها ما هى إلا جزء من الأرض الطاهره الطبيعيه أعدت للسجود فقط . تسهيلا لأداء الفرض الأولى فهل تجد فى ذلك خلافا أو منافاه للكتاب والسنه الشريفه؟.

أترى أيها القارئ الكريم أن السجود على الفرش التى تحت الأقدام والأرجل أحسن من السجود على قطعه طاهره نظيفه من الأرض التى لم يلامسها شيء سوى جبهه المصلى فقط؟ الجواب طبعا كلا، ثم كلا .. إن

۱- سوره النساء: ۳۳. وسوره المائده: ۶.

الشيعه بعملهم هذا يجمعون بين أداء الفرض وهو السجود على الأرض الطبيعيه وبين مراعاه النظافه التى هى من لوازم الإيمان وسمات المؤمن.

وأما تفضيل الشيعه التربه الحسين (عليه السلام) على غيرها من الأرض، فلأنها - أى تربه الحسين - رمز عميق الدلاله على أقدس بقعه وأطهر تربه حيث جرى عليها أقدس تضحيه فى تاريخ بنى الإنسان فى سبيل الحفاظ على الصلاه وإقامتها بل فى سبيل الدين وبقائه . إن تربه الحسين تذكر المصلى بعظم أهميه الصلاه فى الإسلام ومدى تأكد وجوبها على الإنسان ذلك الوجوب الذى لا يسقط عن المسلم بحال إلا نادره، تذكره بذلك لأن الحسين (عليه السلام) أقامها فى أحرج المواقف وأداها فى أشد الحالات، فصلى صلاه الظهر عند الزوال يوم عاشوراء فى ميدان القتال وساحه الحرب حيث الأعداء يحيطون به من كل جانب يرمونه بالسهام وأصحابه تصرع من حوله، ولو لم يقف رجلان من أصحابه أمامه وهما سعيد ابن عبد الله الحنفى وزهير بن القين اللذان وقفا أمامه يدرءان عنه سهام القوم لما استطاع الحسين (عليه السلام) أن يكمل صلاته ولصرع فى أثنائها كما صرع بعض أصحابه فيها منهم سعيد بن عبد الله الذى سقط إلى الأرض صريعا وقد أصابه ثلاثه عشر سهما.

فأى عمل يمكن أن يعبر عن أهميه الصلاه ويؤكد وجوب أدائها على المسلم مهما كانت الظروف والأحوال مثل هذا العمل الذى قام به الحسين (عليه السلام) .

هذا بالإضافه إلى ما يمكن أن يستوحيه المصلى أثناء صلاته من ذكرى الحسين (عليه السلام) من معانى جمه وعظيمه منها مثلا تصور عظمه الإسلام وأهميه الدين بشكل عام حيث دفع الحسين (عليه السلام) ثمن بقائه وصيانته غاليه جدا فكشف (عليه السلام) بذلك عن حقيقه أن الدين أثمن وأغلى وأفضل من كل ما فى الحياه والوجود، وهو أولى بالبقاء من كل شىء سواه فى مقام دوران الأمر بين

بقائه أو بقاء غيره. فالغير أولى بالتضحيه به لأجل بقاء الدين، والسبب فى ذلك واضح وهو أن الحياه بكل ما فيها من نعم وخيرات وزينه ولذه من المال والبنين وغيرهما إنما يستفاد منها حقيقه وتكون خير للإنسان وراحه له ولذه إذا كان المجتمع يسوده الدين ونظام القرآن وشريعه الله تعالى ، يسوده ذلك فكره وعملا من حيث العقيده والسلوك لأنه حينئذ فقط يسود الحق والعدل ويأخذ كل ذى حق حقه ويؤدى كل مسؤول واجبه ولا تظلم نفس شيئا قالسبحانه وتعالى : «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا »(۱) «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (۲)

والخلاصه هى: إن الشيعه إنما يفضلون السجود على تربه الحسين (عليه السلام) على غيرها من بقاع الأرض لأن الصلاه فى حقيقتها صله مع الله تعالى وتوجه إليه وتذكر له وخضوع و خشوع بين يديه ولا شك أن ذكرى سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين خير وسيله للحصول على أكبر قدر ممكن من تلك الأمور كلها وذلك بسبب السجود على تربته المقدسه.

وإلى هنا نكتفى بهذا القدر من الإجابه على هذا السؤال وإن أردت المزيد من التفصيل فيه فراجع كتاب (الأرض والتربه الحسينيه) للمرحوم حجه الإسلام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره).

وفى الختام أرى من المناسب أن أسجل هنا فقره من كتاب (أبو الشهداء) ص۱۳، تؤيد الفقرات الأخيره، قال العقاد وهو فى معرض بيانه ما اكتسبته

۱- سوره طه: ۱۲۳ و ۱۲۴

۲- سوره الأعراف: ۹۶

أرض كربلاء من قدسيه بسبب الحسين (عليه السلام) .

وليس فى نوع الإنسان صفات علويات أنبل ولا ألزم له من الإيمان والفداء والإيثار ويقظه الضمير وتعظيم الحق ورعايه الواجب والجلد فى المحنه والأنفه من الضيم والشجاعه فى وجه الموت المحتوم، وهى ومثيلات لها من طرازها هى التى تجلت فى حوادث كربلاء منذ نزل بها ركب الحسين (عليه السلام) ولم تجتمع كلها ولا تجلت قط فى موطن من المواطن تجليها فى تلك الحوادث التى جرت فى كربلاء.

فيا كربلاء طلت السماء وربما

تناول عفوا حظ ذى السعى قاعد

الأنت وإن كنت الوظيعه نلت من

جوارهم مالم تنله الفراقد

ص: ١٩٠

هل يحدث إحياء ذكرى الحسين (عليه السلام) تفرقه وحزازات طائفيه بين المسلمين كما يزعم البعض؟

قد يمر هذا السؤال على بعض الخواطر ويرد فى أفكار بعض الناس وخاصه شباب هذا العصر الذى نشطت فيه المحاولات الإلحاديه وقويت فيه الدعايه ضد شعائر الدين ومظاهر الإسلام بكل صورها وفى مقدمتها الشعائر الحسينيه التى هى من صميم شعائر الله ومظاهر الدين تلك الشعائر التى هى من أقوى الوسائل لنشر الوعى السياسى والاجتماعى والأخلاقى بين الأحداث والشباب .

ومن ثم نشطت الدعايه المعاديه ضد هذه الشعائر الحسينيه بكافه أنواعها من عقد المآتم وتنظيم المواكب وغيرها. وكثيرا ما ترفع ضدها شعارات مضلله وخداعه باسم الدين وبالتظاهر بالحرص على وحده المسلمين والاهتمام باتفاق كلمتهم وتوحيد صفوفهم أمام العدو المشترك فيزعمون أن إحياء ذكرى ثوره الحسين (عليه السلام) ينافى هذا الهدف بسبب ما تولده هذه الذكرى من التفرقه الطائفيه لأنها - أى تلك الذكرى - تشتمل كما يزعمون على الطعنوالتنديد والمس بكرامه بعض الصحابه وبعض خلفاء المسلمين وبعض رجال الأمه المحترمين . ولذا يجب ترك هذه الشعائر وعدم إحياء تلك الذكرى حفاظا على وحده المسلمين .

هكذا تقول تلك الدعايه اليوم حسب ما نقرأ ونسمع منها بين حين وآخر والجواب عليها ببساطه هو أن نقول :

أولا: إن ثوره الحسين (عليه السلام) لم تخدم مصلحه الشيعه فحسب ولا مصلحه المسلمين فحسب؛ بل خدمت مصلحه الإنسانيه العليا فى كل زمان ومكان وعليه فالحسين ليس للشيعه فقط بل لجميع المسلمين ولكل الناس الخيرين فى العالم، وقد أجمعت كلمه الخبراء والعلماء بكنه ثوره الحسين وحقيقتها. على أن واجب كل شعب وأمه أن تحيى ذكرى الحسين (عليه السلام) خدمه لمصلحه أبنائها وتربيه لشبابها على الشعور بعزه النفس وإباء الظلم والكرامه الإنسانيه فى حياتهم، فذكرى ثوره الحسين (عليه السلام) لا تفرق بل بالعكس توحد الكلمه على الحق والعدل .

ثانيا: إن الذى أمر بقتل الحسن (عليه السلام) هو يزيد بن معاويه البالغ من العمر فى ذلك اليوم إحدى وثلاثين عاما فقط ، وإن الذى نفذ الأمر هو عبيد الله بن زياد . لعنه الله البالغ من العمر فى ذلك اليوم ثمانيه وعشرين عاما، وإن الذى باشر تنفيذ الأمر هو قائد الجيش عمر بن سعد بن أبى وقاص (لعنه الله)البالغ من العمر فى ذلك اليوم حوالى خمسه وعشرين عامه. وهم كما ترى ليسوا من صحابه رسول الله (صلى الله عليخ و آله) بالمعنى المعروف أى ليس منهم أحد أدرك الرسول (صلى الله عليخ و آله) وجالسه وسمع حديثه . فمن هم هؤلاء الصحابه الذين يخشى من الطعن بهم فى إحياء ذكرى الحسين (عليه السلام).

نعم ربما يتعرض فى خلال الذكرى إلى معاويه بن أبى سفيان باعتباره مهد الطريق إلى قتل الحسين (عليه السلام) عن قصد أو غير قصد بتوليته ابنه على إماره المسلمين . ومعاويه معلوم الحال لدى الجميع أسلم قبل وفاه الرسول الأكرم بخمسه أشهر بعد أن ضاقت عليه الأرض وعلم أن الإسلام سيعم وينتشر فدخل فى الإسلام خوفا وطمع لا عن عقيده وإيمان وكان صعلوكا مستحقره

لدى المسلمين ومعدوده فى المؤلفه قلوبهم الذين لا يتجاوز الإسلام شفاههم ولا يؤمن شرهم على المسلمين إلا بالمال .

والادعاء بأن معاويه كان من كتاب القرآن بين يدى النبى (صلى الله عليخ و آله) كذب وافتراء لم يوجه الرسول (صلى الله عليخ و آله) إلى معاويه كتابه أى جزء من الوحى أو آيه من القرآن ، نعم كان يكتب للرسول (صلى الله عليخ و آله) بعض الرسائل التى كان يرسلها النبى (صلى الله عليخ و آله) إلى الملوك والرؤساء.. وكان المسلمون فى حياه الرسول يزدرون معاويه ويكرهون مجالسته. ولا أشك أن المسلمين الواعين فى عصرنا هذاليس فيهم من يحب معاويه ويقدسه ويحترمه وهو يقرأ ويسمع ما شاع وذاع وملأ الآفاق عن بدعه وآثامه وموبقاته إبان ملكه وإمارته ، تلك البدع والآثام التى ختمها بفرض ابنه يزيد الفاسق الماجن الخمار السكير فرضه خليفه على المسلمين من بعده فقتل آل الرسول (صلى الله عليخ و آله) وأباح مدينه الرسول لجنده ثلاثه أيام دماء وأموالا وأعراضأ وأخيره هدم الكعبه وأحرق أستارها.

فالغرض هو : أنه لا يوجد فى ذكرى ثوره الحسين ذكر لصحابه ولا لرجال دين محترمين يخشى أن يطعن فيهم أو تمس كرامتهم. وبالتالى فإن هذه الذكرى المقدسه لا تفرق بين المسلمين أبدأ. نعم تفرق بين المسلمين والمنافقين الدجالين الذين هم على طراز معاويه ويزيد وابن زياد و عمر بن سعد. وهذا التفريق يرحب به كل مسلم ويتمناه «لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ »(1) وهذه التفرقه هى من ثمرات ذكرى ثوره الحسين بلا شك ومن الأهداف المقصوده من أحيائها بل ومن أهداف ثوره الحسين (عليه السلام) بالذات .

ثالثا: كيف يعقل أن تكون ذكرى ثوره الحسين (عليه السلام) مفرقه للصف ومتشتته للوحده بين المسلمين مع أن ثوره الحسين (عليه السلام) بالذات ضربت أروع

۱- سوره الأنفال: ۳۷

مثال للوحده بين المسلمين حيث جمعت بين أفراد مختلفين وأشخاص متباينين من حيث العنصر والقوميه والدين والمذهب والوطن والسن والجنس. وحدت بينهم الثوره توحيد كاملا حتى جعلتهم وكأنهم جسم واحد وشخص واحد يتحركون ويعملون وينطقون بإراده واحده ويد واحده ولسان واحد. وهم أصحاب الحسين (عليه السلام) الذين كانوا حوالى الثلاثمائه وثلاثه عشر رجل. كان فيهم العربى القرشى والعربى غير القرشى إلى جنب الفارسى والتركى والرومى والزنجى والمسيحى والمسلم السنى والمسلم الشيعى من أقطار الحجاز والكوفه والبصره واليمن منهم الفقير والغنى والحر والعبد والرئيس والمرؤوس من مختلف مراحل العمر كالشيخ الكبير والكهل والشاب والمراهق والصبى .. وكان معهم جمله من النساء من الهاشميات والعربيات يقدر عددهن بحوالى العشرين امرأه .

أجل لقد قدم الحسين من وحده أصحابه نموذجا كاملا عن الوحده الإنسانيه العالميه التى ينشدها الإسلام ودعا إليها القرآن وثار لأجل تحقيقها سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) ومن قبله أبوه الإمام على (عليه السلام) . الذى هو القدوه المثلى للمسلمين جميعا فى العمل لوحده المسلمين والحفاظ عليها والتضحيه فى سبيلها بمصلحته ومصلحه أبنائه ومصلحه شيعته. صبر على اغتصاب حقوقه وحقوق أهل بيته وشيعته خمسه وعشرين سنه مده حكم الخلفاء الثلاثه قبله ولقد تعاون مع الخلفاء الغاصبين لحقه فى الشؤون العامه وخدمه المصلحه العليا بكل إمكاناته وطاقاته حسب ما هو معروف لدى الجميع .. وكذلك جميع أبنائه الأئمه الأحد عشر (عليهم السلام) سالموا خلفاء الوقت وسايروا الحكومات الإسلاميه على حساب مصلحتهم الخاصه وحقوقهم المشروعه لأجل صيانه الوحده الإسلاميه .

والخلاصه هى: أنه ليس فى شعائر الشيعه وذكرياتهم شعار ولا ذكرى تفرق

المسلمين أو تورث حزازات طائفيه بينهم.

بل إن الـذى يفرق ويمزق صف الوحده الإسـلاميه ويثير الحزازات الطائفيه والفتنه بين المسـلمين هم أولئك العملاء المأجورون من قبل الاستعمار وأعداء المسلمين الذين ينفثون سموم التفرقه بين حين وآخر بواسطه بعض الكتب أو المقالات أو الخطب التى تحمل وتتحامل على الشيعه بالكذب والافتراء والتهم والسب والشتم ونسبه الكفر والشرك إليهم بكل صراحه ووقاحه.

إن الذين يفرقون كلمه المسـلمين هم أولئك الذين يكتبون عن الشيعه إنهم صنيعه الصهيونيه ومن أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى الذى ابتدع مذهب الشـيعه ، وعبد الله بن سبأ هذا قد أجمع الخبراء على أنه أسطوره خياليه لا وجود له إلا فى أذهان هؤلاء الذين يريدون التشهير بالشيعه.

إن مذهب الشـيعه فى الإسـلام إنما هو مذهب أهل البيت (عليهم السـلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيره، ذلك المذهب الذى يفرض التعاون بين المسـلمين جميعا على البر والتقوى ومصـلحه الإسـلام العليا. ذلك المذهب الذى يعتبر المسلم أخا للمسـلم شاء ذلك أم أبى.. وأخيرا أقول أن الشـيعه لا يهاجمون ولا يعتـدون بل يدافعون عن الحق وبالحق وليس فى مذهب التشيع شىء غير الحق.

وما يقوله المشاغبون على الشـيعه أيضا: هو أن الشـيعه شـغلوا بالبكاء والعويل على الحسـين (عليه السـلام) عن مصالحهم الحيويه وقضاياهم المصيريه فتخلفوا عن ركب العالم علميه واقتصاديه وصناعيه وسياسيا.

أقـول: إن قولهم هـذا يـذكرنى بقول بعض الملحـدين الـذين يقولون أن المسلمينشـغلوا بالصـلاه والصـيام والحلال والحرام عن مسايره ركب التطور العالمى فظلوا متخلفين عن الأمم الأخرى .

أجل ؛ ما أشبه قول المشاغبين عن الشيعه بقول الملحدين عن المسلمين

عـامه، ومـا أقرب الـدوافع والغايـات للقولين، تلـك الغايـات التى تتلخص بكلمه واحـده وهى (التشويه) فكل من القولين مغالطه مفضوحه لا تنطلى إلا على السذج من عوام الناس وإلا فكل عاقل عارف يعلم يقينا أن الإسلام بكل ما فيه، لا دخل له فى تخلف المسلمين مطلقه، كما أن إحياء ذكرى عاشوراء بكل ما فيه لا دخل له فى تخلف الشيعه مطلقا.

إن السبب الأساسى فى تخلف المسلمين عامه والشيعه خاصه فى العصور الأخيره، هو الاستعمار الكافر بأساليبه وعملائه وسياساته .

وإن قلت : من الذى من العدو المستعمر من السيطره عليهم واستعمارهم؟.

قلت : هم الحكام الخونه الذين اغتصـبوا السـلطه من أصـحابها الشـرعيين منذ العصور الأولى وبعد وفاه الرسول (صلى الله عليخ و آله) على وجه التحديد، وإلى اليوم..

ص: ۱۹۶

استنتاج العبر من ثوره الحسين (عليه السلام)

أجبنا فى الفصول السابقه قدر الإمكان عن أهم النقاط التى يقع التساؤل حولها فى ثوره الحسين (عليه السلام).

يبقى علينا أن نعرف ما هى أهم العبر والدروس التى يمكن أن نستخلصها من تلك الحادثه الفريده فى بابها المليئه بالعظات، والتى منها :

أولا: صدق القول المأثور «ما ضاع حق ورائه مطالب» يعنى أن الحق، أى حق، لا يضيع بالاغتصاب ولا يذهب إلى الأبد بالعدوان ، إذا كان وراء ذلك الحق صوت يرتفع بالمطالبه به وإن كان الصوت ضعيفه، ودعوه مستمره لاسترجاعه ولو كانت الدعوه فرديه ، المهم عدم السكوت عنه واليأس من حصوله ، هذه هى سنه الحياه وقانون الطبيعه فى كل زمان .

وكمثال على ذلك نذكر حق أهل البيت (عليهم السلام) عامه وحق على بن أبى طالب (عليه السلام) خاصه الذى اغتصب بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليخ و آله) مباشره وأنكر إنكاره كليه، ولكن ما استطاع الغاصبون لحقه محو ذلك الحق واقتلاع الإيمان به من الرأى العام والضمير الإنسانى. فبعد مرور خمس وعشرين عاما على اغتصاب حقه (عليه السلام) قامت ثوره شعبيه ضد الغاصبين واكتسحتهم عن طريق الإمام (عليه السلام) وحمله الثائرون على الأكتاف حتى أجلسوه فى مجلسه الشرعيوأحلوه مقامه الطبيعى وسلموه حقه المغتصب.

ومن الجدير بالملاحظه أن الأمويين حاولوا بكل الوسائل إخراج على (عليه السلام)

من قلوب الناس وأفكارهم وتحويله عن قمه المجد والعظمه والمثاليه بإعلان سبه وشتمه ولعنه على المنابر والمنع من ذكر فضائله ومكارم أخلاقه ثم بنشر الأكاذيب فى الطعن به وتشويه سمعته وبمطارده شيعته ومواليه ومحبيه بالإرهاب والقتل والسجن والتشريد والحرمان مده نصف قرن أو أكثر من عهدهم المشؤوم .. ولكن ما استطاعوا وباءوا بالفشل الذريع وأنتجت محاولاتهم تلك عكس مطلوبهم، فما أن زال كابوس إرهابهم عن الناس حتى ظهر على (عليه السلام) على شاشه القلوب والأفكار كأعظم إنسان مثالى وأظهر شخصيه متكامله بين مجموعه الأنبياء والصديقين والأوصياء والقديسين من الأولين والآخرين، ولقد أجمعت كلمه البشريه جمعاء على حبه وتقديسه والاعتراف بفضله وفضائله .

ويذكر بهذه المناسبه أنه سأل أحد الخبراء فقيل له ما تقول فى على بن أبى طالب ؟ قال : «ما أقول فى رجل كتم فضائله الأعداء بغض و حسده، وكتم فضائله الأولياء خوفا وحذره، وقد ظهر من بين ذين من فضائله ما ملأ الخافقين». وقد قامت باسمه وعلى مبدأ الولايه له دول كثيره فى التاريخ، منها مثلا الدوله الحمدانيه والبويهيه والفاطميه والصفويه والقاجاريه وغيرها... حتى جعلت من اسمه (عليه السلام) شعارا لها ترفعه على المآذن فى كل يوم وليله فى خلال الأذان والإقامه، وذلك بالشهاده له بالولايه والإمامهبعد الشهادتين

الواجبتين ، ثم تستمر هذه الشهاده الثالثه فى الأذان كرمز للتشيع فى العالم الشيعى إلى يومنا هذا..

وفى ذات الحسين (عليه السلام) دليل واضح على صدق مدلول هذه الكلمه «ما ضاع حق ورائه مطالب » ، أجل ما ضاع ثأر الحسين (عليه السلام) ولا ذهبت تلك الدماء الزكيه هدره، فلقد ظهر المختار بن أبى عبيده الثقفى فى الكوفه البلد الذى قتل الحسين (عليه السلام) وأخذ يتبع الذين خرجوا إلى حرب الحسين (عليه السلام) أين

ما كانوا حتى قتل منهم حوالى الثمانيه عشر ألفا من أصل الثلاثين ألف رجل الذين قاتلوا الحسين (عليه السلام) بكربلاء، وفيهم عبيد الله بن زياد أمير الكوفه آنذاك وعمر بن سعد قائد الجيش الذى خرج إلى حرب الحسين (عليه السلام) والشمربن ذى الجوشن وخولى بن يزيد و حرمله بن كاهل وغيرهم من قاده ذاك الجيش .. ونكل بهم أشد تنكيل وبعث برؤوس بعضهم إلى المدينه إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومحمد بن الحنفيه .

وأما الذين أفلتوا من يد المختار وهربوا من الكوفه استولى المختار على أموالهم وممتلكاتهم وقسمها بين الفقراء والمنكوبين من بنى هاشم وشيعتهم، وهؤلاء الذين هربوا أيضا لم يفلتوا من العقاب والانتقام فقد سلط عليهم أينما حلوا من قتلهم وأبادهم حتى لم يمض على قتل الحسين (عليه السلام) سوى بضع سنوات إلا وقد أفنوا عن آخرهم وقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

يقول العقاد فى (أبو الشهداء) ص١٨١ : «وتلك جريره يوم واحد هو يوم كربلاء وإذا بالدوله العريضه تذهب فى عمر رجل واحد مديد الأيام وإذا بالغالب فى يوم كربلاء أخسر من المغلوب». .

كل ذلك بفضل المطالبه المستمره التى كانت قائمه من قبل أهل البيت وشيعتهم بشتى الصور والوسائل.

ثانيا: ومن تلك العبر والدروس التى تستخلص من ثوره الحسين (عليه السلام) أيضا صدق القول المأثور الآخر.. «الظلم لا يدوم»(١) وأن تراه أحيانا يستمر عشرات الأعوام فإنها قليله وضئيله بالنسبه إلى عمر الزمن، ولو قدر لدوله ظالمه أن تدوم وتستقر على الظلم والعدوان لدامت الدوله السفيانيه التى

١- راجع فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج٢ ص١٣٥.

أسسها معاويه بن أبى سفيان فى الشام مئات من الأعوام، ولكنها زالت بعد هلاك مؤسسها بأربع سنوات فقط، وقامت على أنقاضها دوله مروانيه بعد فتره من الفوضى والانحلال ، والدوله المروانيه تختلف عن سابقتها الدوله السفيانيه ، وإن الجهود التى بذلها معاويه بن أبى سفيان كانت تستهدف بقاء الملك فى أسرته آل أبى سفيان عبر مئات السنين، ولكن رب ساع لقاعد.. .

ولكى تعرف مدى قوه ذلك الملك الذى أقامه معاويه لأسرته وبنيه هاك استمع إلى فقرات من وصيته ساعه موته إلى ولده وخليفته يزيد (لعنه الله):

.. واعلم يا بنى إنى قد كفيتك الرحله والترحال ووطأت لك الأمور وذللت لك الصعاب وأخضعت لك رقاب العرب وجعلت الملك وما فيه طعمه لك وإنى لا أتخوف عليك فيما استتب لك إلا من أربعه .. . (١)

والخلاصه التى لا خلاف حولها هى : أن الدوله والحكومه التى خلفها معاويه بن أبى سفيان كانت حصينه وقويه إلى أقصى ما يمكن قد توفرت فيها كل عناصر البقاء والدوام ما عدى عنصر واحد فقط وهو العدل والحق، وهذا العنصر هو الأصل والأساس لدوام كل شىء فى هذه الحياه خاصه الدوله «العدل أساس الملك الدائم)(٢)، لذا فلقد انهارت تلك الدوله بأسرع وقت كما سبق ، وذلك عندما تنازل معاويه الثانى ابن يزيد عن العرش دون أن ينصب أحداً مكانه ومات بعد ثلاثه أيام.

ومما يذكر أنه رقى المنبر قبل إعلان تنازله عن العرش وألقى خطبه بليغه تعرض فيها المظالم جده معاويه بن أبى سفيان و لجرائم أبيه يزيد بن معاويه ومآثم آل أبى سفيان وأكد أن آل محمد (صلى الله عليخ و آله) أجدر وأحق بالخلافه والسلطان .

١- راجع نظريات الخليفتين: ج٢ ص ١٥٠.

٢- راجع غرر الحكم و درر الكلم: ص ٣٤٠ ح ٥٨ ٧٧.

وما قاله فى تلك الخطبه :

أيها الناس إنا بلينا بكم و بليتم بنا فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا ألا وأن جدى معاويه بن أبى سفيان نارع الأمر من كان أولى به منه فى القرابه من رسول الله (صلى الله عليخ و آله) وأحق فى الإسلام. سابق المسلمين وأول المؤمنين ، وابن عم رسول رب العالمين ، وأبا بقيه خاتم المرسلين فركب منكم ما تعلمون وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته وصار رهنا بعمله، ثم قلد أبى وكان غير خليق للخير فركب هواء واستحسن خطئه وعظم رجائه فأخلفه الأمل و قصر عنه الأجل فقلت منعته وانقطعت مدته وصار فى حفرته رهنما بذنبه وأسيرا بجرمه»..

ثم بكى وقال :

إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه وقد قتل عتره الرسول (صلى الله عليخ و آله) وأباح حرمه المدينه، وأحرق الكعبه المشرفه، وما أنا المتقلد أموركم ولا المتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم فوالله لئن كانت الدنيا مغنما فلقد نلنا منها حظا وإن تكن شرا فحسب آل أبى سفيان ما أصابوا منها .. ثم نزل من على المنبر ودخل داره ومات بعد ثلاثه أيام رحمه الله عليه .

وأخيرا وليس آخره فإن العبر والدروس التى نستفيدها بكل وضوح منشهاده الحسين (عليه السلام) كثيره ونضيف إلى ما قدمنا منها :

«ما كان لله ينمو» هذا القول المأثور والحكمه البالغه تتجسد بصوره واضحه فى ثوره الحسين (عليه السلام) ، فإنها رغم بساطتها وصغر حجمها و قصر مدتها لكنها قد اتسعت أصدائها وانعكاساتها ونمت ردود فعلها على مرور الأيام حتى أصبحت تعتبر فى طليعه الثورات الكبرى التى حولت سير التاريخ وأثرت فى تحرر المجتمع وحفظ كيان الأمه أثرا كبيره بل ولقد صار الخبراء والباحثون يؤمنون بأنها - أى ثوره الحسين (عليه السلام) - هى الثوره المثاليه فى باب الثورات

الإنسانيه والإصلاحيه والشعبيه مطلقه وأصبحت ثارات الحسين (عليه السلام) نداء كل ثوره ودوله تريد أن تفتح لها طريقه إلى أسماع الجماهير وقلوبهم، وفعلا لقد تأثر بها أكثر الثائرين فى العالم بعد الحسين (عليه السلام) وجعلوا من ثورته وثباته وصلابه عزيمته وصبره وشجاعته ... جعلوا من كل تلك الأمور قدوه مثلى الثوراتهم، يقال عن مصعب بن الزبير مثلا الذى ثار على عبد الملك بن مروان وبقى وحده فى المعركه عرض عليه الأمان والسلام من قبل عبد الملك فرفض وهو يقول ما ترك الحسين (عليه السلام) لابن حره عذره. ثم تقدم إلى القتال وحده وقاتل حتى قتل وكان يتمثل بقول الشاعر:

وإن الأولى بألطف من آل هاشم

تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وكان من بعض أصدائها القريبه وردود فعلها المباشره ثوره أهل المدينه على سلطان يزيد وثوره عبد الله بن الزبير فى مكه المكرمه وثوره المختار الثقفى فى الكوفه ثم ثوره مصعب بن الزبير فى البصره وثوره زيد بن على وابنه يحيى بن زيدفى كل من الكوفه وخراسان.

وأما انعكاساتها البعيده فكثيره أيضا وأهمها ثوره السفاح التى قضت على الدوله الأمويه نهائيه وجاءت بالدوله العباسيه إلى الوجود.

أجل إن ثوره الحسين (عليه السلام) رغم بساطتها كما ذكرنا فلقد باركها الله وبارك آثارها وثمراتها وتعلقت إرادته سبحانه بأن تبقى ذكراها خالده متجدده متوسعه عامه بعد عام. وها هى قد مضى عليه ما يقارب الألف وأربعمائه سنه وذكراها تتجدد بتزايد وتوسع فى عده أقطار إسلاميه وتتعطل فيها الدوائر الرسميه والأعمال والأسواق يوم ذكرى ثوره الحسين (عليه السلام) و تحتفل بإحياء هذه الذكرى شعوب كثيره وقوميات شتى و عناصر متعدده من البشر، مع العلم بأن هذا كله على الرغم من العقبات التى وضعها ويضعها المخالفون والمعارضون لتلك الشعائر فى طريق إقامتها ورغم المحاولات المستمره التى يبذلونها للقضاء عليها

قضاء كليه، ولكن «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ».(۱)

نعم إنما هى إراده الله سبحانه التى تبنت ذكرى ثوره الحسين (عليه السلام) وقدرت لها البقاء لأن فى بقائها حجه بالغه ودعوه قائمه إلى طريق الخير والسعاده والشرف والكرامه ، تلك الحجه وذلك الطريق المتمثلين فى العمل الذى قام به الحسين (عليه السلام) إيمان بالله وحب للإنسانيه وتضحيه فى الدفاع عنها حتى النصر أو الموت .والذى نقصده من معنى البساطه فى ثوره الحسين (عليه السلام) هى البساطه من حيث الزمن بلحاظ أنها لم تستغرق سوى بضعه أيام منذ أن صمم الحسين (عليه السلام) على ملاقاه القوم وفشلت معهم كل الجهود السلميه التى بذلها لحقن الدماء ولأجل أن يفسحوا له المجال ليسير فى أرض الله العريضه إلى حيث ينتهى به السر ويخرج من منطقه نفوذ ابن زياد أو ربما يجتمع بيزيد بن معاويه للتفاوض معه حول الخلافه ومصلحه الأمه، وقد جرت منه لهذا الغرض عده اجتماعات بينه وبين قائد الجيش عمر بن سعد وقد كتب عمر بن سعد باقتراحات الحسين (عليه السلام) إلى عبيد الله بن زياد والى العراق وكاد ابن زياد أن يلين ويوافق على اقتراحات الحسين (عليه السلام) ، ولكن الشمر بن ذى الجوشن وآخرين من بطانته الذين كان لهم تأثيره كبيره عليه حولوا رأيه وحسنوا له الاستمرار على حصار الحسين (عليه السلام) حتى يستسلم له أو يقاتله . وكانت النهايه التى انهارات فيها كافه المحاولات السلميه هى يوم التاسع من المحرم لما ورد الشمر إلى كربلاء بآخر كتاب من ابن زياد إلى عمر بن سعد يأمره فيه بكل تأكيد بأن يغلق باب المحادثات مع الحسين (عليه السلام) ويعرض عليه أحد أمرين فقط، فإما الاستسلام وإما الحرب، ثم يأمره أيضا أن لا يطيل المده أكثر مما طالت وأن يعجل فى أمر

۱- سوره يس: ۸۲

الحسين (عليه السلام) مهما أمكن حيث علم ابن زياد أن الزمن ليس فى جانبمصلحته وكان الشمر بن ذى الجوشن يحمل أمرا سريه خاصه من ابن زياد بأنه إن امتنع عمر بن سعد من تنفيذ الأوامر الصادره إليه ضد الحسين (عليه السلام) فليقتله ويتولى هو – أى الشمر – قياده الجيش.

ولكن عمر بن سعد لما قرأ كتاب عبيد الله بن زياد التفت إلى الشمر وقال له : لعنك الله يا شمر ولعن ما قدمت به والله إنى لأظن أنك أفسدت علينا ما كنا رجونا صلاحه ولن يستسلم الحسين (عليه السلام) أبدا إن نفس أبيه لبين جنبيه. فقال له الشمر : أخبرنى عما أنت فاعله أتمضى لأمر أميرك وتقاتل عدوه وإلا فاعتزل وخلى ذلك بينى وبين الجيش، فقال عمر بن سعد: لا ولا كرامه لك، أنا أتولى ذلك فدونك أنت فكن على الرجاله ثم نهض لحرب الحسين (عليه السلام) وزحف بالجيش نحو معسكر الحسين (عليه السلام) عشيه الخميس لتسع مضين من المحرم سنه إحدى وستين من الهجره، ولكن الحسين (عليه السلام) استمهلهم سواد تلك الليله فأمهلوه إلى صبيحه العاشر من المحرم حيث بدأت الحرب أول ارتفاع الشمس وانتهت بمصرع الحسين (عليه السلام) قبل غروبها بقليل من نفس ذلك اليوم.

فالثوره الحسينيه من بدايتها إلى نهايتها لم تستغرق سوى بضعه أيام فقط، هذا من حيث المده والزمن وأما من حيث المكان فإن حدودها لم تتجاوز منطقه كربلاء ذلك الوادى على شاطئ الفرات المحاط بسلسله من التلال المتصله على امتداد الصحراء وعرفت قديما باسم (كور بابل) ثم صحفت إلى كربلاء وبالقرب منها منطقه تسمى (نينوى)، وقيل أنها كربلاء بالذات ومن أسمائها أيضا (وادى الطفوف) و (الغاضريات). ولم يكن لها شىء تذكر به من الوقائع أو التربه أو الموقع الجغرافى قبل وقعه عاشوراء عليها.

وأما من حيث عدد الثائرين فيها فإنه لم يتجاوز الثلاثمائه والثلاثه عشر على أكثر الفروض بين رجل وصبى وطفل وشيخ وكهل .

فهی إذا ثوره بسیطه کما وکیفه وزمان ومکانه، ولکنها أعظم ثوره فی العالم کله من حیث المفهوم والمضمون، من حیث التجرد والواقعیه والإخلاص لله سبحانه وتعالی ومن حیث العطاء والفداء.

فبین عشیه وضحاها وفی خلال نهار واحد فقط أبیدت واستئصلت بیوت وأسر من آل رسول الله (صلی الله علیخ و آله) ، أو کادت أن تستأصل، قال بعض الشعراء:

عین جودی بعبره وعویل

واندبی إن ندبت آل الرسول

سبعه کلهم لصلب علی

قد أصیبوا وتسعه لعقیل

أجل لقد استأصل ولد الحسین (علیه السلام) ولم ینج منهم سوی زین العابدین (علیه السلام) وذلک بأعجوبه ، وأبید ولد الحسن (علیه السلام) ولم یسلم منهم سوی طفلین صبیین والحسن المثنی الذی سقط جریحا فحمله أخواله بنو فزاره وتشفعوا فیه عند عمر بن سعد وابن زیاد ثم حملوه إلی الکوفه وعالجوا جراحه حتی شفی وعاد إلی المدینه، ولم یبق من أولاد عقیل بن أبی طالب وأولاد جعفر بن أبی طالب سوی الأحفاد الصغار حتی هؤلاء قتل بعضهم سحقا تحت حوافر الخیول لما هجم القوم علی الخیام، قالوا : خرج صبی یدرج من مخیم الحسین (علیه السلام) وفی أذنیه درتان تتذبذبان علی خدیه وهو مدهوش مذعور من هجوم الأعداء علی الخیام، یلتفت یمینا ویسارا وأمه خلفه تلاحظه وتحرسه فدنا عنه رجل من القوم علی فرس بیده عمود من حدید فضرب الصبی علی رأسه وأرداه إلی الأرض قتیلا.

وقد وجد عده أطفال من آل الحسین (علیه السلام) یوم الحادی عشر من المحرم وهم موتی من العطش علی وجه الرمال بعد أن فروا من المخیم عند هجوم الخیل یوم عاشوراء، ولما صرع وهب بن حباب الکلبی یوم عاشوراء خرجت أمه من الخیمه حتی جلست عند مصرع ولدها تندبه وتبکیه ، فقال الشمر بن ذی الجوشن لغلامه ویلک اضرب رأسها فخدش الغلام رأسها وقتلها بمکانها .

هـذا بعض ما يمكن تصويره وبيانه من مآسى تلك الثوره البسيطه المتواضعه والتى ظهرت بعد انتهائها وبعد مرور بعض الزمن عليها كأعظم ثوره فى الدنيا من حيث المثاليه والقدسيه، وذلك رغم محاولات الأمويين وغيرهم لإعفاء آثارها وطمس معالمها وجعلها كأنها لم تكن شيئا مذكورا«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »(۱)

ونعود ثانيه إلى القول المأثور «ما كان لله ينمو.. » أجل إن الشواهد على صدق هذا القول كثيره فى التاريخ، بل وفى حياتنا اليوميه أيضا ففى التاريخ أن موسى بن عمران (عليه السلام) مثلا أعان ابنتى شعيب وسقى لهما من البئر التى ازدحم عليها الرجال وكان عمله هذا خالصا لوجه الله تعالى ما كان ينتظر بل لا يتصور من ورائه ربحا أو نفعا فى الدنيا، فبارك الله له فى ذلك العمل البسيط فوصل بسببه إلى شعيب نبى الله على تلك القريه ونال الأمن والزوجه والمال فى كنفه، وبالتالى اختاره الله رسولا إلى فرعون وملئه .

وهذا مثل آخر هو يوسف الصديق (عليه السلام) اتقى الله واستعصم وتورع عن الخيانه وكافح شهوته ساعه لوجه الله تعالى لا خوفا من الناس وطمعا فيهم، فبارك الله ذلك العمل والكفاح ضد نفسه الأماره فأوصله إلى ملك مصر مع النبوه و عظيم الزلفى.

ومن هذه الأمثله ذلك الشاب البار بوالديه فى عصر موسى بن عمران (عليه السلام) وكانت له بقره فلما وقع حادث القتل فى بنى إسرائيل ولم يعرف القاتل حتى اشتروا منه تلك البقره بملء جلدها ذهبا وذبحوها وضربوا المقتول ببعض أعضائها فأحياه الله تعالى وأخبر بقاتله ، وبذلك كشفت عنهم تلك الفتنه التيكادت أن تقع فيهم ويذهب ضحيتها خلق كثير منهم.

۱- سوره التوبه : ۳۲

وإلى أمثالها من الشواهد الكثيره، إلا أن موقف الحسين (عليه السلام) فى كربلاء أوضحها دلاله وأشدها تأكيدا على صدق هذا القول المأثور «ما كان لله ينمو»..

لقد وقف (عليه السلام) ومعه نفر قليل من الأعوان بدون عده ولا مدد محصورين ممنوعين عن الماء وورائه جمع من النساء والأطفال، وأمامه جيش من الأعداء وقد تجردوا من كل صفه إنسانيه وفقدوا الضمير والوجدان وبالإضافه إلى أن ذلك الجيش كان يفوق عدد أصحابه بمئات المرات حيث كان لا يقل عن الثلاثين ألفا.

يقول المرحوم عباس محمود العقاد فى كتابه (أبو الشهداء) يصف أعوان يزيد: «وإنما بقيت ليزيد شرذمه على غراره أصدق ما توصف به أنها شرذمه جلادين يقتلون من أمروا بقتله ويقبضون الأجر فرحين» .

ويقول أيضا: «فكان أعوان يزيد جلادين وكلاب طراد فى صيد كبير وكانوا فى خلائقهم البدنيه على المثال الذى يعهد فى هذه الطغمه من الناس ، ونعنيبه مثال المسخاء المشوهين الذين تمتلئ صدورهم بالحقد على أبناء آدم ولا سيما من كان منهم على سواء الخلق وحسن الأحدوثه». .

أقول لقد وقف الحسين (عليه السلام) وأصحابه يوم عاشوراء ذلك الموقف الحرج والشاق الصعب ، مع أنه كان فى وسع كل واحد منهم أن يتجنب القتل بكلمه يقولها أو بخطوه يخطوها ، ولكنهم جميعا آثروا الموت عطاشا جياعه مناضلين من دون أن يكون لهم أى أمل فى النصر العاجل والانتصار العسكرى، ولكن وقفوا لوجه الله تعالى مخلصين له بالجهاد فى سبيل دينه وشريعته مضحين بأنفسهم فى سبيله.

وقفوا والموت فى قارعه

لوبها أرسى ثهلان لزالا

فأبوا إلا اتصالا بالضبا

وعن الضيم من الروح انفصالا

أرخصوهاللعوالى مهجه

قد شراها منهم الله فغالا

ونختم هذا الفصل بكلمه للعقاد فى (أبو الشهداء) ص ١٩٤ :

وباء الحسين فى ذلك الموقف بالفخر الذى لا فخر مثله فى تواريخ بنى الإنسان غير مستثنى منهم عربى ولا عجمى ولا قديم ولا حديث »

وجميل جدا ما شبه به بعض الكتاب موقف الحسين (عليه السلام) وموقفه خصومه يوم كربلاء فقال ما مضمونه :

إن ساحه الصراع فى كربلاء كان أشبه بمعرض عالمى أقيم على تلك البقعه، وكان لذلك المعرض جناحان فقط : جناح الحسين (عليه السلام) وأصحابه وجناحأعدائه ومقاتليه ، وقد عرض كل من الجانبين فى جناحه الخاص نماذج وصور عن هذا الجنس البشرى فى طرفى صعوده وسقوطه ، فعرض الحسين (عليه السلام) وأصحابه للعالم نماذج مثاليه خالده عن أقصى مراحل التكامل البشرى والكمال الإنسانى من مصنع الإسلام وصناعه القرآن ، كما عرض أعدائه فى الجانب الآخر نماذج خالده للعالم عن أسفل درك المسخ والسقوط والانتكاس البشرى من مصنع الجهل وصناعه الحكم الأموى»، فكربلاء إذا معرض بشرى عالمى قائم ومفتوح حتى يومنا هذا دون منافس ولا نظير .

والخلاصه هى : إن الحسين (عليه السلام) وإن خسر المعركه العسكريه والحرب المسلحه بسبب غدر أهل العراق ، ولكنه وبلا شك .. قد ربح المعركه السياسيه بكل أبعادها وكسب الحرب الدعائيه بأوسع حدودها وانتصر على أعدائه الأمويين على صعيد الرأى العام العالمى، فخلده التاريخ رمزا للشهاده والتضحيه فى سبيل العقيده والكرامه الإنسانيه . وخلد الأمويين أيضا رمزا للانتهازيه والنفعيه والسقوط الإنسانى. فلا تجد فى العالم غالبه أشبه بمغلوب من الأمويين فى موقفهم من الحسين (عليه السلام) ولا تجد مغلوبا أشبه بغالب ومنتصر من الحسين (عليه السلام) فى ثورته ضد الأمويين وهذا ما قصده الحسين (عليه السلام) بموقفه يوم عاشوراء وعبر عنه تعبيرا صريحا فى كتابه إلى من تخلف عنه بقوله :

ص: ٢٠٨

أما بعد .. فمن لحق بى منكم استشهد، ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح.. والسلام ...

ولقد أجاد بعض الأدباء حيث قال :

يا شهيد الطفوف تفديك روحى

كنت والله ضيغما هدارا

كلما كرروا عليك هجوما

زادك الكرنحده واصطارا

إن تكن كربلا رأتك وحيدا

وتنادى فلم تجد أنصارا

وابن هند يسوق جيش كثيفا

يملأ البحر جلبه والقفازا

فطواه الزمان ملكا غريرا

سيئ الذكر ماجنه خمارا

وبنا من علاك مجدا طريفا

خالد الذكر كالنهار اشتهارا

ص: ٢٠٩

من دفن الحسين (عليه السلام) وأصحابه ومتى وكيف؟

من القواعد العامه والثابته عند الشيعه هى أن المعصوم لا يجهزه ولا يدفنه إلا معصوم مثله ، فرسول الله (صلى الله عليخ و آله) مثلا جهزه ودفنه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذلك سيده النساء فاطمه (عليها السلام) قام الإمام (عليه السلام) بغسلها وتجهيزها ودفنها ليلا- وعفا موضع قبرها حسب وصيتها ××× ، والإمام على (عليه السلام) جهزه ودفنه ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) .. وهكذا كل إمام أو معصوم قام بتجهيزه المعصوم الآخر.

والآن السؤال هو: من الذى دفن الحسين (عليه السلام) مع العلم أن ابنه الإمام زين العابدين كان أسيره بأيدى الأعداء فى الكوفه؟.

نقول: أجل كان على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) أسيره بأيدى الأعداء ولكن نتمكن من الخروج من السجن ليلا مساء الثانى عشر من المحرم ووصل إلى كربلاء صبيحه الثالث عشر منه ودفن أباه الحسين (عليه السلام) و صحبه بمعونه رهط من بنى اسد كانوا هناك ولما فرغ من مواراتهم جميعا وعرفهم بمواقع قبور الاصحاب والهاشميين وأبى الفضل العباس و حبيب بن مظاهر، عند ذلك عرفهم بنفسه وطلب إليهم أن يقوموا بضيافهالزائرين ودلالتهم وتعريفهم، ثم ودعهم وعاد إلى سجن عبيد الله بن زياد ليلا دون أن يشعر به الحراس وكانت عمته العقيله زينب (عليها السلام) قد افتقدته تلك الليله ولما عاد أخبرها أنه مضى لمواراه جثمان أبيه الحسين (عليه السلام) وصحبه .

ص: ٢١١

نعم لقد دفن جسد الحسين (عليه السلام) فى الثالث عشر من المحرم، أى بعد مقتله بثلاثه أيام ولكن رأس الحسين بقى على أطراف الرماح وبأيدى الأعداء وبين يدى ابن زياد ويزيد لعنهما الله حتى أعاده الإمام زين العابدين إلى كربلاء عندما رجع من الأسر وألحقه بالجسد الشريف وذلك بعد أربعين يوما منمقتله أى فى العشرين من شهر صفر.

هذا أصح الأقوال وأقربها إلى الاعتبار عند المحققين ، وهناك أقوال مختلفه فى تحديد مدفن رأس الحسين ، غير أن الذى عليه الشيعه هو القول الأول أعنى أن الإمام السجاد أعاده إلى كربلاء ودفنه مع الجسد، وبهذه المناسبه تكونت زياره الأربعين حيث تفد المواكب العزائيه وآلاف الزائرين إلى كربلاء يوم العشرين من شهر صفر فكأنهم يقومون بدور الاستقبال للإمام السجاد وبنات الرساله العائدين من الشام ومعهم رأس الحسين (عليه السلام) . وفى نفس الوقت يجددون الاحتفال بذكرى مرور أربعين يوما على شهاده الحسين (عليه السلام) .

وأول من قام بهذه الزياره عفوا ومن غير قصد إلى المناسبه المذكوره هو الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الأنصارى رحمه الله الذى عظم عليه نبأقتل الحسين (عليه السلام) ليه، وهو فى المدينه فخرج منها متوجها إلى كربلاء لزياره قبر الحسين (عليه السلام) ، واصطحب معه رجلا يقال له بن عطيه وغلاما له، وصادف وصوله إلى كربلاء يوم التاسع عشر من صفر، أى قبل ورود أهل البيت (عليهم السلام) بيوم واحد. فلما وصل جابر إلى كربلاء توجه إلى شاطئ الفرات فاغتسل وغسل ثيابه ثم توجه نحو القبور الطاهره بهدوء وخشوع وكان يسبح الله ويهلله ويقول لصاحبه بن عطيه قصر الخطا فى زياره الحسين (عليه السلام) فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليخ و آله) يقول إن لزائر الحسين (عليه السلام) بكل خطوه حسنه عند الله تعالى.

ولما أتم جابر زياره قبر الحسين (عليه السلام) توجه إلى قبور الشهداء حوله وسلم عليهم وحياهم أحسن تحيه ثم قال لهم : أشهد أننا قد شاركناكم فيما أنتم فيه

من دفن الحسين عليه وأصحابه ومتى وكيف؟من الأجر الجزيل عند الله سبحانه . فقال له بن عطيه : وكيف نكون شركائهم فى أجرهم وثوابهم مع أننا لم نضرب بسيف ولم نطعن برمح والقوم كما ترى قد بذلوا أنفسهم وضحوا بكل ما لديهم، فكيف نكون شركائهم؟ فقال جابر : نعم يا بن عطيه لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليخ و آله) يقول: «من أحب عمل قوم أشرك معهم فى عملهم، (۱) وإن نيتى ونيه أصحابى على ما مضى عليه الحسين وأصحابه .

والخلاصه: لقد التقى جابر بن عبد الله الأنصارى فى اليوم الثانى بالإمام زين العابدين (عليه السلام) عند قبر الحسين (عليه السلام) واستمع منه إلى تفاصيل ما جرى هناك فكثر البكاء والعويل حول قبر الحسين (عليه السلام) وأقيمت المأتم من قبل أهل السواد والنواحى الذين كانوا قد توافدوا لزياره قبر الحسين (عليه السلام) وللسلام على زين العابدين وبنات الرساله واستمروا على تلك الحال ثلاثه أيام ثم بعد ذلك ارتحل زين العابدين (عليه السلام) بالعائله من كربلاء مواصلا سيره نحو المدينه المنوره .

۱- راجع مستدرک الوسائل: ج۱۲ ص۱۰۸ ح۱۳۶۴۸ .

شقيقات الحسين (عليه السلام) كم عددهن ومن هن؟

المشهور بين المؤرخين أن بنات فاطمه (عليها السلام) اثنتان : زينب العقيله وأختها أم كلثوم، والمشهور بينهم أيضا أن أم كلثوم هذه تزوجها عمر بن الخطاب . غير أن بعض المحققين ينفى وجود أم كلثوم بتاتا ويرى أن زينب العقيله كانت تكنا بأم كلثوم وأنها هى البنت الوحيده لفاطمه الزهراء (عليها السلام) ويستند فى رأيه هذا على ظواهر تاريخيه ، منها أنه لم يرد لها . أى لأم كلثوم ذكر فى حوادث وفاه فاطمه (عليها السلام) ، حيث أوصت ببعض الأشياء التى تعود لها إلى زينب وأوصتها بأمور تتعلق بالحسين (عليه السلام) ولم يرد فى وصاياها ذكر لأم كلثوم. ومنها أيضا أن كثيره من قضايا كربلاء والسبى من خطب وكلمات وأعمال تنسب تاره إلى زينب وتنسب نفسها إلى أم كلثوم تاره أخرى، الأمر الذى يدل على أن زينب وأم كلثوم واحده يعبر عنها تاره بالاسم وتاره بالكنيه .

وهناك بعض الخبراء من علمائنا الأعلام يقر وجود أم كلثوم كبنت ثانيه الفاطمه (عليها السلام) ولكن ينفى تزويجها من عمر بن الخطاب نفيا قاطعه، ومنهم الحجه الجليل الشيخ المفيد قد فى أجوبه المسائل السرويه، حيث يقول وفع والخبر الحاكى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) زوج أم كلثوم من عمر بن الخطاب خبر لم تثبت صحته لأن مصدره الأول والوحيد هو الزبير بن بكار وهو غير مأمون ولا موثوق به لأنه مشهور بالعداوه لعلى (عليه السلام) وأهل بيته فهو متهم فيما يروى عنهم لا يوثق بخبره، هذا بالإضافه إلى أنه مضطرب فى نقله لهذا الخبر

و مختلف فى روايته مما يدل على كذب الخبر ووهن الروايه .. والله أعلم .

وأما زينب الكبرى فإنها عقيله آل أبى طالب وسيده النساء بعد أمها فاطمه ووصيه أخيها الحسين (عليه السلام) وكافله الإمام زين العابدين، وعلى العموم هى شريكه الحسين عليه فى حركته المباركه وثورته المقدسه وشقيقه الحسن والحسين فى أشرف نسب ورضاع ونشأه . انتقلت من أصلاب طاهره إلى أرحام مطهره رضعت من ثدى الإيمان والعصمه نشأت فى حجر النبوه والإمامه درجت فى بيت الوحى والرساله ، فكانت (عليها السلام) نموذجا صالحا ومثالا صادقه لأهل ذلك البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيره.

ومن ثم أفادت بعض الأخبار بأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان ينظر إلى العقيله زينب نظرته إلى أمها فاطمه من حيث الإجلال والاحترام وكان يحدثهاويحدث ثقاه أصحابه بالمحن الجسام التى أمامها وبالدور البطولى الذى ينتظرها فى أعظم صراع بين الخير والشر فى التاريخ.

والواقع أن الدور الذى قامت به العقيله زينب فى تلك الثوره لا يقل صعوبه ولا تأثيرا فى نصره الدين من دور الحسين (عليه السلام) وأصحابه .

فهى بحق بطله كربلاء ظهرت على مسرح تلك الحوادث المؤلمه والمواقف الرهيبه بأجلى مظاهر البطوله وأعلى مستويات الشجاعه من حيث الصبر والاستقامه ورباطه الجأش وامتلاك الأعصاب ، تماما كما وصفها هذا السيد الأديب ، قال :

بأبى التى ورثت مصائب أمها

فغدت تقابلها بصبر أبيها

لم تلهو عن جمع العيال و حفظهم

بفراق أخوتها وفقد بنيها

وقال الآخر:

قد ورثت زينب عن أمها

كل الذى جرى عليها وصار

وزادت البنت على أمها

من دارهاتهدى إلى شر دار

وإن شئت هلم معى لنستعرض آيات باهرات عن بطوله العقيله زينب (عليها السلام) وشجاعتها :

لما صرع الحسين (عليه السلام) خرجت السيده زينب متوجهه إليه تشق طريقها بين الجماهير وتتخطى القتلى والجرحى حتى وصلت إلى مصرع أخيها الحسين (عليه السلام)فوجدته بحاله تفتت القلوب وتقطع الأكباد و تجرى الدموع دما ، فكان المتوقع منها طبعا وهى أخته الثكلى وشقيقته المفجوعه به، أقول كانالمتوقع منها أن تفقد كل تماسك وتوازن وتشق جيبها وتنشغل بالصراخ والعويل واللطم والبكاء وما شاكل ذلك.

ولكنها لم تفعل شيئا من هذا القبيل أبدا بل جلست عند رأس الحسين (عليه السلام) بهدوء ووقار ومدت يديها تحت ظهر الحسين (عليه السلام) ورفعت رأسه عن الأرض وأسندته إلى صدرها ورفعت طرفها نحو السماء وقالت وهى خاشعه خاضعه بين يدى الله تعالى : «اللهم تقبل منا هذا القربان ، اللهم تقبل منا هذا الفداء»..

يوم الحادى عشر:

الأسير عاده يظهر عليه آثار الذل والاستكانه أمام أسره، وخاصه المرأه مهما كانت عظيمه وقويه ولكنها إذا وقعت فى أسر العدو تلين الكلام معه وتتطلب عطفه وشفقته .

أما عقيله آل أبى طالب وبنت أمير المؤمنين على (عليه السلام) فإنها ما ذلت ولا خضعت بالقول لأى من أولئك الطغاه الغالبين ، تخاطب القائد الفاتح عمر بن سعد يوم الحادى عشر عندما قدم النياق إلى النساء للركوب ، قالت : ويلك يا بن سعد سود الله وجهك أتأمر الأجانب أن يركبونا ونحن بنات رسول الله (صلى الله عليخ و آله) قل لهم فليتباعدوا عنا حتى يركب بعضنا بعضا.

وقالت لعبيد الله بن زياد ذلك الطاغى المتجبر لما سألها قائلا : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهلك؟ فأجابته قائله: «ما رأيت إلا جميلا- أولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانه).(١)

وقالت ليزيد بن معاويه وهى أسيره بين يديه وفى المجلس العام :

«أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله (صلى الله عليخ و آله) سبايا .. ولئن جرت على الدواهى مخاطبتك إنى لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكبر توبيخك لكن العيون عبرى والصدور حرا فاسع سعيك و كد كيدك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا..

والله يا يزيد ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك ، وهل رأيك إلا فند وجمعك إلا بدد وأياك إلا عدد وسيعلم من سوى لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا، ألا فالعجب كل العجب من قتل حزب الله النجباء بأيدى حزب الشيطان الطلقاء، وهذه الأيدى تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكى تنتابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل...

اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا واحلل غضبك على من سفك دمائنا وقتل حماتنا».. (٢)

والخلاصه: إنها سلام الله عليها ما ظهر عليها ذل الأسر وضعف السبى أبدا، لقد قابلت الحوادث الجسام والمصائب العظام بشجاعه فائقه ورباطه جاش .

١- راجع بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص١١٥.

٢- راجع بحار الأنوار: ج٤٥ ، ص١٥٨

ومن الجدير بالذكر إضافه إلى ما سبق أن رجلا من الشخصيات كان حاضره فى مجلس يزيد فنظر إلى فاطمه بنت الحسين (عليه السلام) فالتفت إلى يزيد وقال : يا أمير أطلب منك أن تهب لى هذه الجاريه تكون خادمه عندى . وقبل أن يرد عليه يزيد بشىء قامت إليه الحوراء زينب (عليها السلام) وقالت له : صه يا لكع الرجال ، ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك.

فقال يزيد: إن ذلك لى ولو شئت أن أفعل لفعلت .

فقالت له العقيله (عليها السلام) : كلا إلا أن تخرج عن ملتنا وتدين بدين غير ديننا .

فغضب يزيد وقال : إنما خرج عن الدين أبوك وأخوك .

فردت عليه السيده زينب (عليها السلام) قائله : بدين الله ودين جدى وأبى وأخى اهتديت أنت وأبوك وأخوك إن كنت مسلمه.

ولما لم يجد يزيد جوابا قال لها : كذبت يا عدوه الله .

فقالت (عليها السلام) : أنت أمير تشتم ظلمه وتقهر بسلطانك .

فسكت يزيد وما رد عليها، وسكتت زينب (عليها السلام) فأعاد الرجل الشامى مقالته وقال : يا أمير هب لى هذه الجاريه تكون خادمه لى.

فقال له يزيد: وهب الله لك حتفه قاضيا ويلك أتعرفها والتى تنهاك عنها .فقال الرجل: لا. ولكنك تقول هؤلاء خوارج خرجوا على فقتلت الرجال وسبيت النساء.

فقال يزيد: ويلك أما التى تريدها خادمه فى بيتك فهى فاطمه بنت الحسين بن على، وأما التى تمنعك عنها فهى عمتها زينب بنت على بن أبى طالب . فلما سمع الرجل ذلك قال : ويل لك يا يزيد أتقتل آل بيت رسول الله وتسبى نسائهم !!؟. (١)

١- راجع اللهوف: ص١٨٦

وهكذا وبمثل هذه المواقف الرائعه أعطت السيده زينب (عليها السلام) المثل الأعلى للمرأه المسلمه المثاليه كيف تتغلب على عواطفها فى اللحظات الحرجه وكيف تسيطر على غرائزها بقوه العقل والتفكير الواعى فتساهم بذلك فى خدمه الدين والعدل والمصلحه العامه مع الحفاظ على عزتها وكرامتها.

وهذا مما يؤكد لنا القول بأن المرأه أنفع عنصر فى الحياه إن أخضعت عواطفها لإراده العقل والتفكير الواعى وجندت قواها لخدمه المصلحه الحقيقيه، وأنها تكون أضر وأخطر عنصر فى الحياه إذا جعلت من نفسها آله طيعه للشهوات والغرائز الحيوانيه، وسارت وراء عواطفها بدون قيد من عقل ولا رادع من ضمير ولا وازع من دين فتكون بذلك أقوى سلاح بيدالشيطان .

نهايه المطاف:

وأخيرا عادت السيده زينب (عليها السلام) من الأسر إلى مدينه جدها الرسول (صلى الله عليخ و آله) وبدأت فيها حربها الدعائيه ونضالها الإعلامى ضد الأمويين، وذلك بعقد المجالس والاجتماعات النسائيه العامه وسرد المصائب والمحن التى لاقاها أهل البيت (عليهم السلام) من الأمويين وأعوانهم حتى تركت الرأى العام فى المدينه المنوره كبركان يقذف اللعنات على يزيد وأتباعه، واستشعر حكام المدينه بالخطر فأرسلوا الرسل والرسائل إلى يزيد ينذرونه بخطر الثوره فى المدينه إن بقيت السيده زينب (عليها السلام) مستمره على عملها هذا، فلما وقف يزيد على حقائق الأمور الجاريه هناك بعث إلى حاكم المدينه يأمره بإبعاد زينب عليها منها إلى مصر، أى إلى أى بلد آخر غير المدينه المنوره .

فظن الوالى أن يزيد يقصد إبعادها إلى بلاد مصر خاصه ، فخرجت زينب مع نساء من قومها إلى مصر، واستقبلها والى مصر بإجلال وإكرام وعاشت هناك مواصله كفاحها الدعائى بجد ونشاط إلى أن فاجأها الأجل المحتوم فى

الخامس عشر من رجب المبارک سنه خمس وستین للهجره عن عمر ناهز الستین عامه ودفنت هناک ، فصلوات الله وسلامه علیها واللعنه الدائمه علیأعدائها

وظالمیها أبد الدهر.

هذا وهناک أقوال وأخبار أخری عن وفاتها ومدفنها سلام الله علیها منها الخبر القائل بانها بقیت فی المدینه المنوره حزینه نادبه باکیه علی أخیها الحسین إلی أن ماتت فیها ودفنت فی البقیع، علی الرغم من عدم وجود قبر معلوم لها هناک .

ومنها الخبر الذی مفاده أنها (علیها السلام) هاجرت مع زوجها عبد الله بن جعفر الطیار إلی الشام عام المجاعه، وکان لعبد الله بن جعفر ضیاع ومزارع حول دمشق فهاجر إلیها مع عائلته وبقیت السیده زینب (علیها السلام) إلی أن توفیت ودفنت حیث مکان قبرها المعروف الیوم فی ضواحی دمشق .

وأخیرا الخبر الذی یقول بأن السیده زینب (علیها السلام) ماتت فی الشام وهی فی السبی، ولم ترجع إلی المدینه ، ماتت أیام السبی فی الشام ودفنت هناک کما ماتت قبلها السیده رقیه بنت الحسین (علیه السلام) ودفنت فی مرقدها المعروف داخل دمشق.

هذه مجموعه الأخبار والأقوال التی قیلت عن مکان وفاه السیده زینب بنت علی (علیه السلام) و مرقدها الشریف ، ولکن القول الأول أشهرها بین المؤرخین وأوثقها فی رأی الخبراء، والله أعلم.

والظاهر الذی لا یبعد عن الاعتبار هو أن السیده زینب الکبری بنت فاطمه الزهراء (علیها السلام) هی التی مرقدها فی مصر.. وأما التی فی الشام فهی زینب الصغری بنت الإمام أمیر المؤمنین (علیه السلام) من غیر فاطمه الزهراء (علیها السلام) ولم أقف علی ترجمه وافیه لحیاتها وأسباب دفنها هناک.

وهذا من جنایات التاریخ علی آل الرسول (صلی الله علیخ و آله) حیث أهمل الکثیر من

أحوالهم وسيرتهم، وكثيرا ما نسب الأكاذيب والافتراءات إلى بعضهم بغرض التشويه لسمعتهم والحط من كرامتهم.

وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، وفى الختام نتساءل ونقول مع الأديب الفاضل السيد حيدر الحلى رحمه الله :

ماذنب أهل البيت حتى

منهم أخلوا ربوعه

تركوهم شتى مصارعهم

وأجمعها فظيعه

فمكابد للسم قدسقيت

حشاشته نقيعه

ومضرج بالسيف آثر

عزه وأبى خضوعه

ومصفده لله سلم أمر

ماقاسى جميعه

وسبيه باتت بأفعى

الهم مهجتها لسبعه

حملت ودائعكم إلى

من ليس يعرف ما الوديعه

آل الرساله لم تزل

كبدى لرزئكم صديعه

فإنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين المعصومين ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم..

الفهرس

الإهداء ٥

تقديم ٧

مقدمه الطبعه الأولى....١٣

مقدمه الطبعهالثانيه.....١٧

من هو الحسين (عليه السلام) نسبا وحسبأ ومقامه فى المجتمع؟..... ٢١

ما هو عاشوراء مفهومه وبدايه ٢٩

لماذا فاق يوم الحسين (عليه السلام) أيام غيره من الشهداء؟.....٣٥

هل ألقى الحسين (عليه السلام) بنفسه إلى التهلكه بثورته ضد الأمويين؟ ٤١

لماذا امتنع الحسين من البيعه ليزيد بن معاويه؟.....٤٧

لماذا لم يفعل الحسن (عليه السلام) مثلما فعل الحسين (عليه السلام) ؟...٥٥

لماذا لم يقم بالسيف أحد من الأئمه (عليهم السلام) بعد الحسين (عليه السلام) ؟ ٦١

هل يمتاز الحسين (عليه السلام) على سائر الأئمه (عليهم السلام) فى الصفات التى اشتهر بها؟ ٦٩

لماذا يوصف الحسين (عليه السلام) يشه بسيد الشهداء؟ ٧٩

لماذا هاجر الحسين (عليه السلام) من المدينه؟.....٨٥

لماذا حمل الحسين (عليه السلام) عياله وأطفاله فى هجرته الثوريه؟.....٩٣

لماذا توجه الحسين (عليه السلام) بهجرته فى البدايه إلى مكه المكرمه؟.....١٠١

كيف وثق الحسين بأهل الكوفه ولماذا خرج إليهم؟ ١٠٥

هل الذين قتلوا الحسين (عليه السلام) كانوا شيعه؟ ١١٣

هل كان الحسين (عليه السلام) يطلب الحكم بثورته؟.....١١٩

هل كان الحسين (عليه السلام) عالما بمصيره المعروف؟...١٢٧

لماذا يأذن الحسين (عليه السلام) لأصحابه بالتفرق عنه؟.....١٣١

هل كانت ثوره الحسين (عليه السلام) ناجحه ومحققه لأهدافها؟ ١٣٧

هل هناك ثمره من ثوره الحسين (عليه السلام) للمسلمين ككل ١٤٩

هل يصع البكاء على الحسين (عليه السلام) وهو الثائر الفاتح؟ ١٥٧

ما الحكمه من زياره قبرالحسين (عليه السلام) ؟ ...١٦٧

هل فى مراسيم عاشوراء عمل حرام شرعا؟ ...١٧٣

متى بدأت أعمال الاحتفال بذكرى عاشوراء؟....١٨١

لماذا يلتزم الشيعه بالسجود على التربه الحسينيه من أرض كربلاء؟.....١٨٥

هل يحدث إحياء ذكرى الحسين (عليه السلام) تفرقه؟ ...١٩١

استنتاج العبر من ثوره الحسين (عليه السلام) ١٩٧

من دفن الحسين (عليه السلام) وأصحابه ومتى وكيف؟.....٢١١

شقيقات الحسين (عليه السلام) كم عددهن ومن هن؟ ٢١٥

الفهرس.....٢٢٣

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹